

تكملة الاعيان

بسيرة أهل عمان

للامام نور الدين عبد الله بن حميد الدالمي

رحمة الله

الجزء الثاني

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

تنبیہات

بعد انتهاء طبع الجزء الثاني من تحفة الاعيان بدا لي أن أقدمه ببعض تنبيهات على ما اشتمل عليه من الغموض وما فات المصنف أن يذكره في بعض المواضع وكان جديراً بالذكر ولا يعد هذا سوى مجرد التنبيه والتعليق فأقول :

التنبيه الأول

استعمل المصنف كثيراً من الكلمات التي هي لغة خاصة بأهل عمان كقوله : فخشى ماله . فنقم فيه من خلف . وضربه بالتنق . وما أشبه هذا وانظروا أنه كان يعول في ظهور المعنى على مساق العبارة وهو أمر يصعب على أكثر الناس فشلا يريد بخشى ماله قطع نخيله والمال للنخيل خاصة كذا قيل لي . ومعنى نقم فيه من خلفه أطلق عليه البندقية فكان أعرب لم يزل فيهم سمجية وضع الالفاظ قان البندقية اذا أطلقها الانسان أثاره نقم البارود وهو دخانها فقالوا نقم فيه . والتنق هي البندقية في الالفاظ الشائعة وأصل اللفظ من الاصطلاح التركي

التنبيه الثاني

كثيراً ما يطلق المصنف لفظ حربته فلا يريد معنى المفاعلة بين الطرفين وإنما يريد وجود الفعل من طرف واحد وهو الطرف المعتمد به : طرف الدولة فيكون المعنى شهر عليه الحرب على ما يتبادر

التنبيه الثالث

ذكر المصنف في صحيفة ٥٦ وما بعدها أن الامام يومئذ كاتب ملك اليمن في استرداد المدافع المتروكة بظفار ، وان ظفار غادرها الامام اختياراً فاستولى عليها الملك اليمن ولم يبين المصنف أن ظفار رجعت الى حظيرة عمان وهي اليوم تحت سلطة سلطان مسقط السيد تيمور بن فيصل وذلك أنه لما استتب الامر للملك تركي بن سعيد

تَحْفَتُ الْأَعْيَانِ

بِسِيرَةِ أَهْلِ عُمَانَ

لِلْإِمَامِ نُورِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدِ السَّامِيِّ

الجزء الثاني

قام بتصحيحه والتعليق عليه

أبو إسحاق إبراهيم أطفيش

الجزائري الميزابي

طبع على نفقة أنجال المؤلف

سليمان وأحمد بن محمد السَّامِيِّ

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

القاهرة

مطابع دار الكتاب العربي بمصر

محمد حلمي المنيلوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب إمامة الإمام

المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب ، من ولد نصر
ابن زهران ، وهو أول إمام في اليماربة وأول من قامت به دولتهم .
وكانوا قبل ذلك كغيرهم من العرب رؤساء في الرستاق وما يليها بعد
ما تقسمت الممالك في أيدي الرؤساء على حسب ما قدمنا ذكره في الباب
السابق . وسبب اجتماع المسلمين بعد فرقتهم ما وقع عليهم من أمراء
الظلم وملوك الغشيم من تراكم الفتن وشدة المحن واختلفت آراء أهل
الرستاق ووقعت بينهم المحنة والشقاق وسلطانهم يومئذ مالك بن أبي العرب
المقدم ذكره في الباب الأول وهو جد الإمام ناصر بن مرشد . ثم مات
مالك وبقيت الرستاق في يد بني بنيه وهم أولاد عم الإمام فتراسل
المسلمون وتشاوروا أن ينصبوا لهم إماماً يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ، وقدوة العلماء يومئذ خميس بن سعيد الشقصي الرستاقى صاحب
« منهج الطالبين » قيل وفيهم مسعود بن رمضان النهاني السمدى النزوى
وصالح بن سعيد الزاملى العقري النزوى بل قيل إن عدة العلماء يومئذ
كانوا أربعين عالماً أو يزيدون ولعلمهم لم يحضروا البيعة كلهم بل حضر
بعضهم ورضى الباقون وكانت بينهم المراسلات والتشاور فوقعت
خيرتهم على ناصر بن مرشد وكان فيما قيل ريبك للقاضي خميس بن سعيد
وكان قد عرفه قبل ذلك فدلهم عليه فرضى به الجميع فعمدوا عليه الإمامة
بالرستاق في عام أربع وعشرين بعد الألف ، وكان الإمام يسكن قصرى

من بلد الرستاق وكانت الممالك في يد الرؤساء فعضده رجال اليعمد بأنفسهم وأمدوه بأموالهم وذخائرهم وأجمع رأيهم أن يهجموا على القلعة ليلا وكان فيها بنو عمه بعد موت جده مالك فاستفتحها الإمام ثم توجه إلى قرية نخل وكان فيها عمه سلطان بن أبي العرب فحاصره أياماً ثم افتتحها وكانت فرقة من أهلها غير تابعة للإمام فظاهرت عليه الأعداء فحاصروه في الحصن ثم أتاه رجال اليعمد فنصروه وبدد الله شمل أعدائه وقيل إنه في هذه الغزوة أظهر الله له كرامة فأشبع جراب تمر أربعمائة رجل وكذلك مورة أرزوهي في التقدير عن نصف جونية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وأقام بنخل واليآ ثم رجع إلى الرستاق ثم قدمت إليه رسل من نزوى يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك وسار في قومه من رجال اليعمد وأناخوا بشرجة صفد من سمد نزوى وأقام بها ليلة فلم يصدقوه فيما وعدوه فرجع إلى الرستاق وأقام بها مدة . ثم جاءه أحمد ابن سليمان الرواحي ورجال من بني رواحة وقوم من عصابة مانع بن سنان العميري ملك سمائل يومئذ فأقاموا معه يدعونه إلى ملك سمائل ووادي بني رواحة فأجابهم وسار في رجال اليعمد حتى جاوز حدش ونزل وادي بني رواحة وترك بعض قومه عند الأمير مانع بن سنان بعد أن دخل في طاعة الإمام واتفق رأى الإمام والأمير مانع أن يتوجها بالجيش إلى نزوى وسار معهم القاضي خميس بن سعيد وناصرت الإمام عصابة من أهل أزكى بالمال والرجال فملك أزكى وقصد نزوى فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة ونزل منها بالعقر وأقام فيها العدل والانصاف وكانت فرقة من أهل العقر يقال لهم بنو أمبو سعيد وهم

رؤساء أهل العقر وقيل إن أصلهم من بني نافع وهم رهط الشيخ بشير بن المنذر تسفرت أحلامهم وشايبهم قوم من أهل سوق نزوى واجتمعوا أن يدخلوا على الامام بجيشهم يوم الجمعة عند السعى إلى الصلاة فأخبر الامام بذلك وتحقق أمرهم عنده فأمر بإخراجهم من مكانهم ونهى عن قتلهم بل أمر أن ينفوا من أماكن الإمام فخرجوا صاغرين والتجأ جمهورهم إلى مانع بن سنان في بلد سمائل وكان مانع قد أعطى الامام اليهود والمواثيق على الطاعة نخان ونكث والتجأت فرقة منهم إلى سيف بن محمد الهنائي بهلى وأزرتة على حرب الامام فاستقام الحرب بين الامام والهنائي فأمر الإمام ببناء حصن في عقر نزوى وكان قديماً قد بناه الصلت بن مالك فأتى الامام بنيانه ، وجاء إليه أهل منح يدعونه إلى إقامة العدل فيهم فتوجه إلى منح وافتتحها وأظهر العدل فيها وظاهره أهلها بأموالهم وأنفسهم ثم رجع إلى نزوى ، ثم أتاه أهل سمد الشان وكان المالك لها على بن قطن الهلالي فوجه الامام لها جيشاً يقدمهم الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان فافتتحها ، ثم أتاه أهل أبراء وكان المالك لها محمد بن جفير بن جبر فجيش عليها الامام وافتتحها ودانت له سائر الشرقية ما خلا صور وقريات فانهما كانتا في يد النصارى ، ثم إن الامام جهز جيشاً وسار على الهنائي بهلى فوصل إلى قاع المرخ نخان بعض جيشه فرأى الرجوع أصح فرجع إلى نزوى وجعل يجمع الجيوش والعساكر فاجتمع له خلق كثير فسار بهم إلى الظاهرة وافتتح وادى فدى وأمر ببناء حصنها ونصره أهل العلاية من ضنك وكان مقدمهم الشيخ العالم خميس بن رويشد ورجال الغياليين واستقام أمره بها على رغم القالين .

ثم خرج الإمام يطوف بمالكه حتى وصل سمد الشان ومعه بنو ريام
ورجع إلى الرستاق ، ثم خرج على الإمام محمد بن جفير فدخل قرية نخل
واحتوى عليها ما خلا الحصن فنبض إليهم الإمام بجيش عرمرم ونصره
رجال المعاول فما لبث القوم فيها غير ليلة أو ليلتين حتى ولوا الادبار ثم رجع
الإمام إلى الرستاق ، ثم تحركت الظاهرة فأقبل الشيخ خميس بن رويشد
يستنصر الإمام عليها فجهاز الإمام جيشاً وسار مع الجيش بنفسه حتى نزل
بالصخبرى ونصره أهل السر ورجال الضحاحكة بالمال والرجال ومضى
قاصداً حصن النجى وفيه جمهور آل هلال ومعهم البدو والحضر فاستقام
بينهم الحرب وكانت وقعة عظيمة قتل فيها أخو الإمام جاعد بن مرشد
ثم توجه الإمام إلى عبرى فافتتحها وأقام بها ليلتين ورجع إلى الصخبرى
وحصر حصن النجى حتى فتحه الله له فولى فيه خميس بن رويشد وجعل
بقرية بات واليا من أهل الرستاق وجعل معه محمد بن سيف الحوقانى
وأمرهما بفتح ما بقى من قرى الظاهرة ورجع الإمام إلى نزوى ثم خرج عليه
آل هلال وكانوا بناحية ضنك فى موضع يقال له الافلاج فغزوا الظاهرة
فالتقام ولادة الإمام بموضع يقال له الدير ففرضوا جمعهم وأخذوا إبل قطن
ابن قطن ليستعينوا بها عليهم وحاصروا حصن قطن بن قطن وركب قطن
إلى الإمام ففدى إبله بتسليم حصنه فأنعم له الإمام برد الابل وسلم قطن
الحسن فأقام به الإمام والياً ثم توجه الولاية إلى حصن مقنيات فحاصروه
وكان به وزير من قبل الجبور جيش الجبور بنى هلال من بدو وحضر
وأولاد الريس ونهضوا إلى مقنيات فظنوا أن لاطاقة لهم بها فقصدا إلى بات
نخاف الولاية عليه ثقله الماء به ولأنه عليه المعتمد فسار المسلمون من مقنيات

إلى بات ولم يشعر بهم الجبور فوقع بينهم القتال من صلاة الفجر إلى نصف النهار فشق ذلك على المسلمين وكثر القتل في البغاة حتى قيل أنهم عجزوا عن دفنهم فكانوا يجعلون السبعة والثمانية في خبة وثبت الله المسلمين ، فلما بلغ الخبر إلى الامام جيش جيشاً وأم به الهنأى بهلى وكان دخوله بهلى ليلة عيد الحج فحاصرها شهرين إلا ثلاثة أيام ثم أقبلت الجبور لنصرة الهنأى فالتقتهم جحافل الامام فاقتلوا قتالاً شديداً وقتل من جيش الجبور قاسم بن مذكور الدهمشي وناس كثير فرجعت الجبور وبقى الهنأى ومن معه محصورين حتى سلم الحصن وخرج منه بجميع رجاله وآلة حربته وماله وبقى الحصن خالياً فأقام الامام فيه والياً ورجع إلى نزوى .

ثم توجه الامام إلى سمائل لمحاربة مانع بن سنان العميري لنكثه العهد ونقضه الميثاق فلم يمتنع مانع من الامام وصالحه على أن لا يخرج منه من حصنه بل يكون تابعاً للحق فتركه الامام ، ثم عزم الامام على بناء حصن سمائل القديم فبناه وشيد أركانه وجعل فيه والياً ورجع إلى نزوى . ثم جهز جيشاً إلى مقنيات وسار إليها فلما وصلها وقعت بينهم الحروب فنصره الله عليهم فما لبثوا في حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر وافتتح الامام الحصن وجعل فيه محمد بن علي بن محمد والياً ، ثم أن سعيداً الخيالي ومن معه أسروا العداوة للامام وكاتبوا عليه الجبور وأدخلوهم قرية الصخبري وقتلوا رجلاً من الضحاكة وناساً من شراة الامام فدافعهم من حضر ووقعت بينهم وقائع في مواضع : منها وقعة بالعجيفة وهي وقعة شديدة ، ومنها وقعة بالغابة ، ومنها وقعة بالمطهرة ، ومنها وقعة بالزيادة وهي وقائع شديدة كاد أن يتزعزع منها ركن الاسلام وقد أدبر عن الوالى كثير

أمر عليه مسعود بن رمضان وأمره أن يسير إلى مسكد وكان فيها يومئذ
النصارى فسار مسعود بمن معه حتى نزل طوى الرولة في مطرح فخرج
إليهم النصارى فتعاطوا كؤوس الحمام وعظم بينهم الالتحام فنصر الله
المسلمين وهزم المشركين وقتل منهم خلق كثير لا يحصون عدداً فتمنعوا
بالكيتان وبعالى البنيان وهدم المسلمون من مسكد بروجاً شاهجة وأبنية
منيعة ، ثم ان النصارى طلبوا الصلح فصالحهم القائد على فك ما في أيديهم
من أموال العمور وأموال الشيعة من صحار فأذعنوا لذلك وأخذ منهم
العهود وأعطاهم الأمان ورجع إلى الامام منصوراً .

ذكر قتل مانع بن سنان العميرى

وذلك أن مانعاً لم يزل مضمراً للعداوة قادحاً في الدولة يعطى العهد
وينقضه ويدعن للطاعة وينكث ويطلب للامام الغوائل ويلتمس للدولة
الخلل ، فاستأذن مداد بن هلوان الامام في قتل مانع بالاحتيال فأذن له
فكاتبه مداد ليدخله حصن لوى وأطمعه فيه بلطف وكان الوالى فيها
يومئذ حافظ بن سيف فلم يزل مداد يكاتب مانعاً ويتلطف وكان مانع
في دبا فركن إلى قول مداد وفرح به وطمع في الحصن فركب من دبا إلى
صحار فأقام بها أياماً ينتظر أمر مداد فجدد له مداد الوعد وضمن له بدخول
الحصن وواعده على ليلة معلومة : فلما كانت تلك الليلة فرق الوالى العسكر
يدورون في البلاد كأنهم يسرون وتماهدوا أن يلتقوا على مانع من اليمن
والشمال فلم يدر مانع إلا وقد أحاطت به الرجال فأخذ قهراً وقتل صبراً
وتفرقت جنوده وقتل من بقى معه .

ذكر فتح الصير

وهي جلفار وكان فيها العجم وبعض النصارى فجهز الامام إليهم جيشاً وأمر عليه علي بن أحمد وعضده بينى عمه من آل يعرب فسار بالجيش إلى جلفار ومالكها يومئذ ناصر الدين العجمي فأحاط بهم جيش الامام وكان بحصن الصير برج معتزل له جدار متصل بالحصن وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار وكانت النصارى في البحر تدفع بمدافعها المسلمين عن الحصن فعزم المسلمون على الهجوم على البرج فهاجموا عليه ليلاً وأخذوه قهراً ومالوا على الحصن فافتتحوه وجعل فيه قائد الجيش والياً وكان فيها حصن على الساحل للفرنج فسار إليه بعض الجيش وفيهم رجال الدهامش وخميس بن محزم فدخلوا الموضع نهراً واحتوا على ما فيه فامتنع النصارى بالحصن فحاصروهم المسلمون وبنوا حولهم حصناً فذل المشركون وطلبوا الصلح على أن يهبطوا من الحصن فصالحهم القائد فهبطوا وجعل القائد فيه والياً ورجع علي بن أحمد بمن معه إلى نزوى فاستبشر الامام بالفتح واستبشر المسلمون بقدومه وبفتح الصير

ثم ان الامام أمر حافظ بن سيف واليه على لوى وكان معه رجال العمور شراة أن يسير إلى صحار ويبنى بها حصناً وكان بها يومئذ النصارى فأرسل الوالى إلى من بقربه من القرى من بنى خالد وبنى لام والعمور واجتمع معه عسكر كثير وكان رجال من صحار يدعونه إلى ملكها فمضى إليها بجيشه وبات بقرية عمق وعميت الأخبار على أهل صحار حتى

صباحها ضحوة النهار في آخر يوم من محرم الحرام في سنة ثلاث وأربعين ١٤٢
بعد الألف فنزل بموضع يقال له البدعة فزحف المسلمون على المشركين
حتى وصلوا إلى حصن ابن الأحمر واشتد بينهم الطعن والضرب وكانت
النصارى تدفع بمدافعها من الحصن وكان الظفر فيها للمسلمين ثم انتقل
الوالي من البدعة إلى مكان هو أقرب إلى العدو فجاءت ضربة مدفع
فاخترقت القوم حتى وصلت مجلس الوالى فأصابته راشد بن عباد فمات
شهيداً رحمه الله ، ثم أخذ الوالى في بناء حصن فأسس في الحال وتم بنيانه
ونزل به الوالى ولم تنزل الحرب قائمة بالليل والنهار ، ثم ان القاضى خميس
ابن سعيد سار بمن معه من رجال اليعمد وغيرهم حتى نزلوا قرية بوشر
فأرسلت النصارى إليه تطلب الصلح فأجابهم إلى ذلك وأرسل عيونه إلى
مسكد ثم ركب بمن معه حتى نزل بمطرح فواجهته وجوه النصارى
وصالحتة ورفع عنهم الحصار وفك عنهم المقابض ورخص للناس في السفر
إليهم وكفت الأيدي عن القتال ، ثم ان الإمام جهز جيشاً إلى صور
فحاصرها الجيش حتى فتحوها وسار بعض الجيش إلى قربات وكان بها حصن
للنصارى فبنى المسلمون فيها حصناً وفتحوا حصن النصارى ، واحتوى الإمام
على جميع عمان إلا صحار ومسكد ففيهما النصارى على الصلح السابق تحت
الطاعة ، ثم ان ناصر بن قطن بعد خروجه من ينقل هرب إلى الأحساء وبقى
بمن معه يغازو بادية عمان ويأخذ المواشى وينهب من لقي ويفعل ذلك كل
سنة ويرجع إلى الأحساء فكتب الإمام إلى الوالى محمد بن سيف أن يتجسس
عن قدوم ناصر فإذا علم به التقاه بالجيش دون عمان فجمع الوالى العسكر من
البدو والحضر فلما علم بقدوم ناصر تلقاه فلما علم ناصر بجيش الإمام قصد

الظفرة ودخل حصنها وتعصب له بنو إياس ووجه ناصر رسله إلى الوالى يطلب الصلح وكان قد قل على الوالى الزاد وبعدت عليهم الدار فصالحه على رد ما نهبوا وغرم ما أتلفوه مما اكتسبوه ورجع الوالى بمن معه ، وأما ناصر فإنه جمع البدو من الظفرة فعزم على الهجوم على حصن الجو وكان فيه أحمد بن خلف واليا وتابع ناصرأ كافة أهل الجو وأعانوه على الوالى وداروا بالحصن فعلم به الولاة من الباطنة والظاهرة فأتوه ناصر بن نخرجت جيوش الأعداء منهزمين ، ثم أتى القائد الأكبر عبد الله بن محمد من نزوى بجيشه فأمر بهدم حصون الجو كافة ما خلا حصن الإمام وتفرقت الأعداء وقصد عمير بن محمد صحار مع النصارى وقصد الباقون العقبة من جلفار فكانوا يقطعون الطرق ويفزون البلدان فسارت عليهم الولاة فقتل من قتل وأنهزمت الأعداء وأخذ الوالى إبلهم ورجع إلى عمان ولعل أخذ الإبل كان للاستعانة عليهم مادامت الحرب قائمة ومضى ناصر ابن قطن ومن معه إلى الباطنة فهجم بمن معه على إبل بنى خالد وبنى لآم فأخذوها وسلبوا ما على النساء من الحلى والكسوة ورجعوا بذلك إلى الإحساء .

ثم إن ناصر بن قطن أتى إلى عمان مرة أخرى وقصد الباطنة للنهب والسلب فجهز له الإمام جيشاً وأمر عليه على بن أحمد وعضده بمحمد بن صلت الريامى وعلى بن محمد العبرى وأحمد بن بلحسن البوشرى فمضوا إلى لوى فأقبل ناصر بن قطن بقومه فوقع بينهم الحرب ثم ركب ناصر بمن معه إلى قرية محيس فاتبعه الوالى بمن معه ثم ركب ناصر قاصداً أرض الشمال فركب الوالى فى طلبه وكان أول من لحقه أحمد بن بلحسن البوشرى

ومراد وراشد بن حسام وبعض الشراة بموضع يقال له الخروس فوق
القتل في المسلمين قبل أن يتكامل جيشهم فقتل المتقدمون أجمع ولله الدوام
فلما وصل الجيش رأوا أصحابهم صرعى ولم يروا أحداً من قوم ناصر ، ثم ان
ابن حميد محمد بن عثمان الخالدي وكان من أصحاب ناصر بن قطن غزا بلاد
السر وكان فيها محمد بن سيف الحوقاني واليا وفيها أيضاً سعيد بن خلفان
أحد أنصار الإمام فأناخ ابن حميد بقرب النقي من الظاهرة فطلب سعيد
ابن خلفان من ابن حميد المواجهة للمشاهدة فأجابه إلى ذلك من غير أن
يأخذ لنفسه أما نافتوا جهوا في مسجد الشريعة من النقي فجرى بينهما
الكلام في التجروء على أموال الناس وقتلهم ونهب أنعامهم فقال سعيد
ابن خلفان لابن حميد : أما ترد ما أخذت ونهبت من أموال العباد ؟ فأعرض
عنه بوجهه وتولى ، وقال : حاش وكلا . وأظهر عتواً وعناداً فأمر سعيد
بأسره فأسر وأمر به فأدخل الحصن ، ثم أمر به فقيد ثم ركبوا به إلى الرستاق
فأرسل سعيد إلى الإمام بخبره فأجابه بأن يجعله في قلعة الرستاق فحبس بها
خمسة أشهر . وفي بعض النسخ سبعة أشهر ثم مات في حبسه ليلة السابع
من الشهر .

ثم إن الإمام جهز جيشاً من الباطنة وعمان وأمر عليهم سعيد بن خلفان
وعضده بجفيز بن محمد بن جفيز وأمره أن يسير إلى الشمال فيأخذ إبل
ناصر بن قطن وهي قوته التي يستعين بها على بغيه فسار القائد بمن معه
فالتقاء بنو إياس دون الإبل في موضع يقال له الشعبية وهو قرب الظفرة
فاقتلوا واشتد بينهم الضرب والطعن وقتل أمير بني إياس صقر بن عيسى
وجماعة من رجاله ثم غضب محمد بن عيسى لقتل أخيه ورأى الموت خيراً

له من الحياة بعده فحمل على جيش المسلمين فالتقوه فقتلوه فطلب بنو إياس العفو فمعا عنهم ورجع ، ثم جهز الإمام جيشاً آخر من الباطنة وغيرها وأمر عليهم أيضاً سعيد بن خلفان وعضده بعير بن محمد بن جفير الجبرى وأمرهم أن يسيروا إلى ماء يقال له دعفس عليه إبل ناصر ابن قطن وهو في ناحية الشمال فوجدوا الإبل هنالك وأخذوها ورجعوا منتصرين آمنين فجعلوا الإبل أمانة عند عمير بن محمد بن جفير وكان لعير راع يقال له على فأشار إليه بعض الخدم بأخذ الإبل والتقرب بها إلى ناصر بن قطن فسار بها إليه ثم ان ناصر بن قطن وعلى بن محمد مازالا يغزوان بمن معهم أطراف عمان ويقطعون الطرق حتى خافت منهم البادية والتجأوا إلى البلدان فجهز الإمام جيشاً أخرج فيه بنى عمه سيف بن مالك وسيف بن أبي العرب وحزاما وأخرج معهم رؤوس القبائل فساروا قاصدين ناصر بن قطن ومن معه فنزلت أول زمرة من جيش الإمام وفيها شرارة الجيش فبادرهم العدو قبل أن يتكاملوا فقتلوا عن آخرهم وخرج ناصر بن قطن إلى الاحساء ورجع الجيش وقد أصيبوا بإخوانهم ، ثم إنه لم يكن لناصر بن قطن بعد هذا ذكر فلعله مات أو ضعفت قوته وظهر أمر الإمام وانتشر عدله فى الخاص والعام واستولى على جميع عمان إلا مسكدا فقد كان فيها النصارى وقد تقدم أنهم صالحوا مرتين ونكثوا وما زالوا ينكثون ثم نصب لهم الامام الحرب حتى وهنوا وضعفوا ووهى سلطانهم وتفرق أعوانهم وكاد الموت والقتل يأتى على أكثرهم .

ثم توفى رضى الله عنه والمسلمون عنه راضون وله مؤازرون

ومناصرون وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر ليال خلون من ربيع الآخر
سنة خمسين وألف ، وكانت إمامته ستاً وعشرين سنة ودفن بنزوى مع
مساجد العباد ، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة إن صح ما قيل أنه
نصب وهو ابن عشرين سنة ومات ولم يعقب إلا ابنة واحدة فعدوا
ذلك من كراماته إذ اتفق له في هذا الحال ما اتفق لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فإنه مات ولم يعقب إلا ابنة واحدة وهي فاطمة الزهراء
ومات بعده بستة أشهر والله أعلم .

ذكر كراماته رضى الله عنه

فمن ذلك ما قيل أن ليلة مولده رؤيت النجوم كأنها تهاوى بعضها
على بعض فارتاع الناس لذلك ، وقيل إن الامام كان ذات ليلة راقداً على
سطح بيته فرأت أمته كأن ناساً عليهم لباس فاخر يصلون عليه فارتاعت
لذلك ، وقيل أن رجلاً كان نائماً في مسجد قصرى من الرستاق فرأى
كأن في إحدى زوايا المسجد سراجاً مضيئاً فلما انتبه رأى في تلك الزاوية
الامام مضطجماً وذلك قبل أن يعقد له ، وقيل إن أمه كان لها زوج بعد
أبيه وكان الامام رحمه الله يأمرها أن تصنع له طعاماً قبل طعامهم لثلا
تبقى بقية من طعام زوجها فتدخل في طعامه فخالفت أمره يوماً فعجنت
طحين زوجها ثم خبزته ولم تغسل الوعاء فصبت طحين الامام في ذلك
الوعاء فقيل إن يدها لصقت بالطوبج ولم تقدر على نزعها حتى رضى عنها
الامام ، وقيل ان ناساً من السفهاء اجتمعوا في بيت رجل منهم يسبون

الامام بعد بيعته فنهتهم زوجة صاحب البيت فلم ينتهوا فخرجت عنهم
نخراً عليهم سقف البيت فأتوا جميعاً . وقيل ان امرئاً شتم الامام فورمت
رجله بالحال فمات ، واستهزأ مملوك بثياب الامام بعد موته فمسها بظهره
فمات من ييس ظهره . وقيل ان مطية أكلت من طعام بيت المال
فتحرشت ولم تزل كذلك حتى رأت الامام فأتت إليه فوضعت رأسها
على عاتقه فلم تزل كذلك حتى جاء ربها فسأله الامام عن حالها فأخبره
أنها أكلت من طعام بيت المال فتحرشت فرضى له الامام وأحله ومسح
بيده الكريمة على رأسها فبرئت مما بها وزاد في بعض الكتب فقال :
وكثير من الدواب إذا أكلت من مال المسلمين دون رأيه تأملت بالفور
والله أعلم ، وقيل ان جراب تمر أشبع أربعائة من قومه وكذلك مورة
أرز أشبعت أربعائة من قومه وذلك في غزوة نخل ، وقيل في ليلة من
الليالي التي قامت فيها البغاة على الامام بعقر نزوى سمع ناس صلصلة وقعقة
فراى رجل في المنام كأنه يسأل عن ذلك فقيل له ان بعض الجن أعان
الامام على أعدائه وكذلك قيل ان أعداءه سمعوا تلك الليلة زلازل ورجفة
وكانهم يخطفون من على السيران حتى انهزموا وقيل انه كان الامام
ذات ليلة نائماً فوق سطح في أيام الحر إذ أتى إليه رجل يريد قتله فوقف
على رأس الامام وفي يده خنجر مشحوذة والامام نائم فلم يقدر أن يضرب
الامام وأمسك الله على يده حتى انتبه الامام فرآه واقفاً على رأسه وبيده
خنجر مشحوذة فسأله ما تريد ؟ فقال : ما يسعني غير عفوك ، فعفا عنه
ولم يعاقبه ، وقيل ان بدويًا ضلت له ناقة فمضى في طلبها فينما هو يمشى إذ
رأى أثر قدم إنسان فاستعظمها فجعل يقصها حتى انتهت به إلى غابات

شجر فسمع صوتاً من داخل الشجر أن مطيتك في مكان كذا من موضع كذا فامض إليها وقل للإمام ناصر يلزم هذه السيرة فإنها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . فمضى البدوي مرعوباً وقصد الموضع الذي وصف له فرأى مطيته في المكان الموصوف ثم مضى إلى الإمام ، ورأى الإمام في نومه أن بدوياً أتاه يبشره أنه على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليه البدوي رآه في يقظته كما رآه في نومه ، فحدثه بما جرى عليه وبما سمع ، فحمد الله الإمام على ذلك وأمر للبدوي بنصف جراب تمر ونصف جرى حب وثوب ، فمضى البدوي شاكراً ولفضل الإمام ذاكراً .

وفي بعض الكتب أن البدوي كان من بني قتب وأنه كان رجلاً صالحاً في دينه وأن أثر القدم التي رآها كان طولها ذراعاً أو أكثر فسار في طلبه فوجد رجلاً في ظل شجرة فكزّ جنبه منه لما رأى من عظم صورته وشعره والأنوار ساطعة لأتحة في وجهه . فقال له السلام عليك يا عبد الله . فقال له : أنت من الجن أم من الإنس ؟ فقال له : من الإنس . فقال له : من أين أقبلت ؟ فقال : من البرية . فقال له : من أنت ؟ فقال له : أنا الخضر هل من حاجة ؟ فقال له لا . ثم قال له القتيبي : هل من حاجة لك ؟ فقال له : نعم أقرىء مني السلام الإمام ناصر بن مرشد ثم وقع بياض في الأصل وذكر في آخر كلامه أن الإمام جعل للبدوي فريضة له ولأولاده لأجل البشارة ، وفي كتاب للقاضي ابن عبيدان ذكر فيه من حضره من علماء أصحابنا العمانيين قال : أخبرني محمد بن طالوت عن نجدة النخعي أن الخضر عليه السلام كان من أهل السر من قرية عمان ، ومن ورعه وتعففه رضى الله عنه أنه كان يعطى نفقة له ولعِياله من بيت المال ولم تكن لهم قدر يطبخون فيها طعامهم فكانت زوجته تنقص من النفقة يسيراً يسيراً حتى باعته

واشترت به صفرية ، فلما رآها الإمام سألها من أين لك هذه الصفرية ؟ فأخبرته بما صنعت . فقال لها : أنتعملينها وهي ابنت المال ! . وأمر وكيل الغالة ينقص من نفقتهم قدر ما كانت هي تنقصه ، وقيل إن القاضي محمد بن عمر دخل يوماً على الإمام فرآه متغير الوجه فسأله عن حاله فلم يخبره فألح عليه فأخبره أنه لم يكن له ما ينفقه على عياله لسنة العيد فذكر الشيخ محمد للوالي أن يدفع للإمام شيئاً من الدراهم من بيت المال فقيل انه دفع له عشر محمديات ، وفي بعض الكتب أن الإمام كتب إلى القاضي محمد بن عمر بن مداد رحمه الله ليجتمع هو واخوانه ليدفعوا له شيئاً من بيت مال المسلمين من الأرز لبعض الأعياد مع عدمه من الدراهم ، فبكى الشيخ محمد بن عمر وقال اللهم إن هذا هو العدل ، وذكر ذو الغبرا خميس بن راشد العبري عن أبي نهبان وكان ممن أخذ عنه أن الشيخ أحمد ابن جمعة فرض له الإمام ناصر بن مرشد فريضة قليلة لإمارته على جمع زكاة أزكى وما حولها من القرى وطلب العلماء من الإمام زيادة فريضة للشيخ أحمد بن جمعة فأسعفهم الإمام وقال لأحمد أريد أن أزيدك فريضة فوق الفريضة الأولى فقبض أحمد كم قيمه فانحدرت منه الحروف مترادف مثل الحبال وقال الذي معه مثل هذا يحتاج إلى زيادة فريضة قال وأنا أريد أن أعطيك هذه الأمانة فامتنع الإمام من قبولها هذا خوفاً أن لا يحملها قال ذو الغبرا قال أبو نهبان يروى عن الشيخ محمد بن راشد الريامي قال : نظرت الشيخ أحمد بن جمعة يقطف الدنانير بيده من الهواء ويعطيها الفقراء .

وذكر لي بعض الثقات من أهل العلم أن الإمام ذات سنة من السنين أمر أن يدفع إلى القاضي محمد بن عمر شيئاً من تمر الزكاة ، فلما وصلت الحمير بالتمر إلى بيت القاضي قال القاضي ردوها ، فلما رجعوا بها إلى الإمام

خاف الإمام أن يكون القاضي أنكر عليه شيئاً في سيرته فجاء إليه فسأله عن السبب فسكت عنه وأحضر طعاماً ثم أتوا بماء فغسلوا فيه أيديهم من أثر الطعام ثم قال القاضي للإمام اشرب من هذا الماء ، قال : لا أقبله . قال القاضي : فكيف تأمرني أن آكل أو ساخ الناس وأنت لا تقبل أن تشرب من وسخ الطعام الذي أكلته ثم ان القاضي أراد أن يرى الإمام استغناؤه بالحلال الطيب عن أوساخ الناس ليطيب عنه نفساً فكتب إسماء في قرطاسة صغيرة فجاءت الديان تحمل الدنانير كل دية تحمل ديناراً فوضعتهم قدام القاضي حتى صارت كدساً كبيراً والإمام ينظر فقال القاضي للإمام خذ هذا . فقال لا أريده . فقال : خذه لتقوية الدولة . فقال : الدولة مستغنية عنه . فقال القاضي : إنه حلال إنه من كنز جاهلي بشيراز فلم يقبله الإمام لنفسه ولا لدولته وأمر القاضي الديان فحملتته وقال للإمام اعلمك هذا السر ؟ فقال الإمام : سأنظر . فخرج من عنده ولم يعاوده فعاوده القاضي ليعلمه السر فأبى وقال : أنا اليوم قد ملكت نفسي وأخشى إن عرفت ذلك أن تملكني نفسي . فهذا هو الورع لمن عقله وهو الخوف لمن عرفه ، وقيل ان رجلاً نام عند قبر الإمام سلطان بن سيف ولعله وضع رأسه عند قبر الإمام سلطان بن سيف ورجليه عند قبر الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله ونام على هذه الصفة ، فلما أخذه النوم حس كأن أحداً أداره عن قبر الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله تعالى فانتبه خائفاً مرعوباً وقال في نفسه : لعل هذه أضغاث أحلام وكاذب نفسه في ذلك ثم نام ثانية ليستيقن ذلك لكي تزول الشبهة عن قلبه فلما أخذه النوم حس ثانية كأن أحداً أدار رجليه وانتبه مرعوباً وفر من حينه خائفاً والله أعلم . وإنما كتبنا من سيرة هذا الإمام ما لم نكتبه في سيرة من قبله لأن بعض أصحابه قد

أرخوا بعض سيرته ولم يورخ من مضي إلا ما وجدناه من القضايا التي يحتاج إلى البحث عنها في الأحكام وحيث أن المتأخرين اشتاقوا إلى الاطلاع على سيرة من قبلهم فلم يدركوا منها إلا اليسير دعاهم ذلك إلى كتابة بعض ما كان في زمانهم ليطلعوا عليه من يحيى من بعدهم فجزاهم الله عما أثروا خير جزاء ولا شك أن الآخر دون الأول فما كتب هاهنا يدل على وجود أضعافه فيما سبق .

وفي سيرة ابن قيصر الصحارى وهو بمن عاصر الإمام وجمع من سيرته وذكروا فيها وفاة الشيخين خميس بن رويشد المجرى ومسعود بن رمضان ورثاهما بقصيدتين، والظاهر من سياقه أنهما ماتا رحمهما الله تعالى في أيام الإمام . قال : وسبب موت الشيخ مسعود أنه تزوج امرأة صغيرة فسقته سما في شربة ماء فشر به وقضى نحبه رحمة الله عليه .

ذكر ثناء العلماء على الإمام ناصر بن مرشد

وهم شهود الله في أرضه وقد أثنى عليه علماء عصره بما يطول ذكره فقالوا في سيرة اجتمعوا عليها وكتبوها إلى إخوانهم أهل المغرب مانصه : فلما أراد الله إظهار المسلمين ونصرة المؤمنين أظهر الله هذا النور الساطع والحسام القاطع ذا الفضائل المشهورة والمآثر المشكورة والسيرة الطاهرة المبرورة إمامنا أعز الله نصره ورفع ذكره وأعلا قدره وأدام دولته ونصر صولته وأيد سيادته وخلد سعاداته وحمى به الدين ونصر به الضعفاء والمساكين آمين يارب العالمين ، فاجتمع رجال ممن يسر الله أن يجتمعوا من المسلمين وبايعوه على السمع والطاعة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الحق في القوى والضعيف والدينى والشريف فصدقوا له ووفوا وانتصروا من بعد ما ظلموا وهم قليل

في كثير ورمتهم العرب عن قوس واحدة وأرادوا أن يطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والفاسقون والمنافقون ، ففتحت لهم القلاع والحصون ودانت لهم القبائل وانقادت لهم الملوك طائعين وكارهين وسكنت الحركات وردت المظالم وانتصر المظلوم وظهرت الدعوة وقامت الحجة وأحييت السنن وعظمت المن والحمد لله على ذلك كثيراً ، وقالوا فيها أيضاً « من إمام المسلمين ونظام المؤمنين وبقية من تمسك بالدين سراج الزاهدين وعلم المجاهدين وقدرة المجتهدين ولى الله المأمون وعبد الميمون الهمام الأبى والأورع الزكى الرضى المرضى ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب بن سلطان بن أبى العرب اليعربى المسلم الوهبي . »

وقال الشيخ الفقيه سعيد بن محمد بن عبد الله النزوى رحمه الله فى سيرته أيضاً إلى أهل المغرب ذكر فيها سيرة السلف الصالح ثم قال بعد ذلك : « فهذه سيرة أئمتنا الأولين وسيرة إمامنا ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب بن سلطان اليعربى الرستاقى ثم النزوى رحمة الله عليه وروحه وريحانه ومغفرته ورضوانه عظيم شأنه كريم مكانه قوى سلطانه عزيز وجوده متواترة سعوده بالمؤمنين رهوف رحيم ليس بفظ ولا غليظ كثير الذكر قليل اللغو لا يستنكف أن يمشى مع العبد والمسكين وهو ملك فى زى مسكين رهوف القلب كثير الحياء واسع الصدر طويل الحزن عظيم الرجاء قليل المن كريم الوفاء أمين الله كاتم السر وكاظم الغيظ جميل العطاء لين الجانب قليل الأذى سراج الهدى عظيم الرجاء تراه حلماً ودوداً مضافاً كريماً قائماً بأمر الله موفياً بعهد الله ملتصقاً برضوانه قاطعاً للشهوات غافراً للعيثات كاتماً للخصيات خاشعاً منيباً شريف الهممة حبيب الفقراء غريباً بين أهله جميل الفطنة تقي الاتقياء يعظم الكبير

لوقاره ويقرب الصغير لشدة افتقاره ويشكر اليسير لقلة اغتراره ويرحم
الفقير لرؤية اضطراره سهلاً عند المصاحبة طلق الوجه عظيم الخطر
هيبوب المانظر كثير التبسم سخي النفس بطيء الغيظ رزين العقل طيب
الكلام واسع الخلق قليل الملام ليس بذى سب ولا نيممة ولا غيبة
ولا حسود ولا كذوب ولا حقود وكاد أن يكون نبياً رسولا رحمه الله
وغفر له ، سيرته شاهرة وسريره أنبأت عنها علانيته الظاهرة ، يدرس
الآثار ويسأل العلماء الأخيار ، مشيره أبو عبد الله محمد بن عمر بن أحمد
ابن مداد ومسعود بن رمضان مفتي أهل عمان وبقايا المسلمين من إخوانه
الذين اصطفى وارتضى وهم بحمد الله موجودون غير معدومين فالله
تعالى مؤيده ، وهذا كلامه إلا ما حذفته للاختصار وكفى بهذا الشناء
الجميل من هذا الفقيه الجليل ومن إخوانه أهل الفضل الجزيل غفر الله
لنا ولهم ورضى عنا وعنهم وعن إخواننا المؤمنين ، ووصفه صاحب
فواكه العلوم فقال : كان رموفاً بالمؤمنين رحماً بالفقراء والمساكين ،
قوى الجأش ، كثير التفحص عن الناس ، لا بطراً ولا متكبراً ولا متجبراً
ولا مهملاً ولا غافلاً ولا معنفاً ولا بخيلاً ولا نماماً ولا حسوداً
ولا حقوداً ، يرغب الغريب لغربته ويصرف عنه شدة كربته ، وينسيه
هوى وطنه ، ويزيل عنه أحوال حزنه ، بل كان حنيفاً مسلماً قانتاً مخلصاً
شاكراً ، إن نطق نطق بتسييح ، وإن صمت صمت عن محاسبة نفس وتفكر
في أمر الآخرة وكاد يكون نبياً قد قسم زمانه مدة عمره للصلاة ودراسة
القرآن وآثار الأئمة الصالحين والأحكام بين الرعايا والصدقة على الفقراء
والمساكين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لاله هممة في الدنيا
أبداً حتى توفاه الله والمسلمون عنه راضون إجماعاً وله مؤازرون
سمعاً وطاعة . .

ووجدت عن أبي نهبان وهو ممن لم يدرك عصر الإمام ناصر أنه قال:
فضل هذا الإمام يزاحم فضل الإمامين : الجلندي بن مسعود وسعيد بن
عبد الله إلا أنه يفوق لأن العدل كثير في زمانه وطال مكثه عمر وكثر
في زمانه العلم وكثر الدين والورع في زمانه حتى أن من يبيع اللحم ويبيع
البصل فيهم من يصلح أن يكون قاضياً أو والياً أو خازناً أو وكيلاً لكثرة
أمانتهم وعلمهم وقال ناصر بن أبي نهبان : العلماء الأقدمون أقوى علماء
من العلماء الذين عاصروا إمام المسلمين ناصر بن مرشد لأنهم يدركون
درجة الصحابة أو يزيدون علماء ، وقال غيره : وأما الإمام ناصر بن
مرشد فإنه يلحق أئمة الأقدمين ، وقال ناصر بن أبي نهبان : ولعله يفوق
عنهم قال لأنه يفوق عبادة المنصوبين ويفوق قناعة القانعين والفقراء
والمساكين قال وهو أجوع الناس في زمانه وأقلهم مأكلة وهو أعرام
في اللباس وفضائله لا تحصى وقد سعدت عمان به وكثرت البركات
وتابعت النعم إلى أن توفاه الله إلى رحمته ورضوانه . وقد رثاه بعض
أهل الفطنة والفضل بمراث طنانة غابت عنى وقت التأليف والحمد لله
على كل حال .

ذكر عهود الإمام إلى عماله في القرى

فمن ذلك عهده إلى ابن عمه وخليفته على الأمر من بعده سلطان
ابن سيف بن مالك اليعربي حين أراد أن يستعمله على بعض الأمور
فطلب العذر فكتب إليه الإمام ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله إمام المسلمين ناصر بن مرشد
ابن مالك إلى حضرة شيخنا الوالى الولد سلطان بن سيف بن مالك
أمد الله عمره . أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو

وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله والزموم على طاعته فاسمع له وأطع واقصد ياخوانك السالفين وانبع . وأما ما ذكرت من أمورك فاسأل فيها أهل الفضل والورع والهداية والشرع الذين جعلهم الله ورثة أنبيائه ونوراً ساطعاً يقتدى به جميع أوليائه يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وأما ما ذكرت من العاذرة من الأمر الذي جعلته عليك فكيف أنت اليوم ولدى جناحي الذي أتوصل به إلى إعزاز الدين الحنيفي وخليفتي الذي أخلفه ركنا لهذا المذهب فوسع صدرك وشاور العلماء في أمرك ولا تقطع عمرك وتضيق الصدر والحزن وهون على نفسك من جميع ذلك وانظر ما أمامك من العوائق والمهالك فإن السالم من وفقه الله ونجاه وارتضاه من خليفته واصطفاه حتى حاذر من جميع معاصيه وخسه إلا من ضيق على نفسه وحزن في يومه أكثر من أمسه وقطع نفسه بالندم والهموم والكرب والغموم ، سلم الأمور ولدى الخالق الأرض والسماء وما فيهن وما تحت الثرى واصبر وما صبرك إلا بالله وتوكل عليه وفوض أمرك إليه واتقه حق تقاته ليجعل لك من جميع أمورك المخارج لقوله عز وجل « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ، فالله الله ولدى في سياسة الملوك لا تكن غافلاً ولا مهملاً لأمورك فإنك ركبت الخطر العظيم والهول الفظيع الجسم فلا تلتفت ولدى إلى الدنيا ونعيمها وغضارتها فانها لعب ولهو وزينة وتفاحر لا توازن عند الله جناح بعوضة فاجتهد في ذلك واقصد ياخوانك الماضين حيث تركوا الدنيا لأهلها وبدلوها لطلابها وتوكلوا على الله حق التوكل ولم يقصروا جهدهم في الله وإعزاز دينه وإظهار

كلمته وإحماد نار البدع وإماتة الباطل وقتال الباغي العاقل فلم تخذعهم الدنيا بغرورها ولم يعدلوا إلى لذتها وسرورها حتى تركوها وراء ظهورهم وقذفوا حبها من صدورهم هم الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأنفقوا بما رزقهم سرأً وعلانية يرجعون تجارة لن تبور ، فسكن ولدى حيث ظني بك وامثل أمرك وراع فقراءك حق الرعاية وألف بين إخوانك واصفيائك وخلانك وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير . للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، فاطرح ولدى حب الدنيا ومطامعها من قلبك واجتهد في طاعة ربك وخذ حذرک وقو عزمك وصبرك وكن مثل الأسد في ذلك الغار ولا يكن نظرك في راحتك اليوم فإنك اليوم لدينا مكين أمين . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الأمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهذا عهده إلى أبي الحسن علي بن أحمد بن عثمان بن عمر النزوى رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا رب الحمد لله الذى أظهر كلمة الحق وأعلاها ودرس كلمة الباطل وأرداها وأنار أنوار الإسلام وأضاءها وأطفأ نيران الآثام وأذواها ، أحمدوه على ما تفضل علينا من جزيل النعم وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وأشكره شكر من اناب إليه وتوكل حق التوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم الفزع الأكبر والهول الفظيع الأبهر ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالبراهين المنيرة والدلائل المستنيرة صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء الأتقياء الأرضياء الأولياء ما طار طائر في الهواء وحدا حاد بسباسب البهائم .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه ناصر بن مرشد

ابن مالك بن أبي العرب إلى الشيخ الوالى أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر
ابن عثمان رحمه الله فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأوصيك
ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله والازوم على طاعته فأقول يا أبا الحسن
انى قد وليتك على قرية لوى من الباطنة وما حولها وما يشتمل عليها
من بلدان الباطنة وحتى وديار الحدان والجو وناجوان - تاحزان (١)
ودما وما يشتمل على هذه القرى والبلدان وما فيهن وما بينهن من
المزارع والأطوى وجميع الأماكن أن تأمر في هذه القرى والبلدان :
باديهم وحاضرهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم
بالعدل والمعروف وتنهام عن المنكر المخوف ، وأن تعمل فيهم بكتاب
الله المستبين وتحيي فيهم سنة النبي الأمين وآثار الأئمة المهتدين وسيرة
القادة المخلصين الذين جعلهم الله منار الهدى وقادة الناس إلى التقوى
وأورثهم الكتاب والسنة يدعون إلى طريق الجنة ، وأن توالى في الله
وتعادي فيه ولا تأخذك في ذلك رافة ولا رحمة ولا تخف في الله لومة
لاثم ولا عدل مجرم آثم ، وأن تخلط الشدة باللين ، وأن تخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين ، وأن تعرف لكل إمري - حقه وتوفيه إياه كاملا ،
وتؤتى ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون
وجه الله وأولئك هم المفلحون . فالله الله يا أبا الحسن في اقرار الحسنات
وإنكار المنكرات بغير تجاوز منك إلى غير واجب أو جبه الله في الجد
والتشمير وترك التهاون والتقصير وأن تجتهد كل الجهد في إصلاح أهل
ولايتك وإصلاح أفلاجهم وعمارة مساجدهم والصفح عن سيئتهم
والتجاوز عن سيئاتهم ما وسعك من ذلك ، وأن تقبض زكواتهم من
أغنياتهم بحقها وتجعلها في أهلها من فقراتهم وضعفاتهم بعد لها طيبة نفس

(١) كذا في الأصل وهو غير ظاهر .

معطيها إلا من وجب جبره ولا يخفى عليك إن شاء الله ، فالله الله يا أبا الحسن في التفحص عن فقيرهم وضعيفهم من جميع أماكن ولايتك لتساويهم من مال الله ما وسعك من ذلك ولا تدعهم يتعسفون إليك من السغب والعري واجعل لهم أعواناً من إخوانك ليتفحصوا عنهم فإن كثيراً من الفقراء يقصر عن المجيء إليك من حياء أو ضعف فيقف عنك وهو في ضرر عظيم من شدة فقره وفاقة ، وقد جعلت لك يا أبا الحسن أن تعامل على صوافي ولايتك بمزارعة أو قعادة وقبض غواها ووضعها في موضعها ما وسعك من ذلك وقد جعلت لك أن تنفق على الشراة ومن وضع نفسه معك من أهل القرى من مال المسلمين على قدر ماتراه عدلاً . وقد جعلت لك حبس من يجب حبسه من أهل الأحداث والحقوق على ماتراه عدلاً مما حفظته من آثار المسلمين من غير حيف ولا ميل لأحد . وقد جعلت لك إطعام الضيف النازل على قدر ماتراه عدلاً من آثار المسلمين ولا تأمن على ما ائتمنتك عليه من أماني التي التي أنا أمين لله فيها إلا من هو حقيق بذلك في دين المسلمين وقد جعلت لك حماية البلاد والذب عنها عن الحریم والعباد وألزمت جميع أهل القرى طاعتك وحجرت عليهم معصيتك ما أطعت الله ورسوله فيهم وقمت بما شرطته عليك في عهدي هذا إليك فإن خالفت إلى غير ما أمرتك به فأنا ومال المسلمين بريثان منك وأنت المأخوذ به في نفسك ومالك . واعلم أنه لا أثره عندي لظالم ولا حيف عندي لمسلم بل إرادتي إعزاز دين الله عز وجل وإحياء سنن النبي المرسل وإظهار دعوة المسلمين والاختذ على أيدي الظالمين وإخماد كلبة المعتدين وكسر شوكتهم وإطفاء بدعتهم وتفريق جماعتهم التي يجتمعون فيها على الحرام والخوض في الآثام وانتهاك عظيمات الأمور ما استطعت إلى ذلك . فالله الله يا أبا الحسن

اتق الله حق تقاته وخفه حق الخوف ما استطعت إلى ذلك « واصبر
وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وصلى الله على رسوله محمد وآله
وسلم تسليماً . وكان الكتاب عشية الأحد لخمس ليال بقين من شهر
ذى الحجة من سنة خمسين وألف من الهجرة النبوية . كتبه الإمام ناصر
ابن مرشد بيده .

وهذا عهد رضى الله عنه إلى الوالى صالح بن سعيد المعمرى السعالى
رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى أوضح شهاب الحق بالبراهين
المنيرة والدلائل المستنيرة ودمر دعوة المظالم والآيات الواضحة والحجج
الباهرة اللاتحة وأعز دولة نبيه بالأنوار الساطعة والأسنة القاطعة ، أحمد
على ما أضاء نور ديننا بأفق كتابه وبين لنا غرائب مشتبهاته من معانى
كلامه وخطابه وأشكره شكر من أناب وخضع وسجد وركع ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ثابتة بالجنان مكررة باللسان ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى كافة الثقلين وطهره من الدرن
والشين « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » صلى الله عليه
وعلى آله الأبرار الأتقياء الأخيار ما غرد عندليب على غصون الأشجار
وأناب منيب بغياهب الأسحار .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين ناصر
ابن مرشد بن مالك إلى الشيخ الوالى أبى سعيد صالح بن سعيد المعمرى
رحمه الله : فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأوصيك ونفسي وجميع
المسلمين بتقوى الله واللزوم على طاعته . فأقول لك يا أبا سعيد إنى قد
وليتك على بلدة صور وأبرا وما اشتمل عليهما من الأماكن والقرى على أن
تظهر دين الله عز وجل فى هذه البلدان والقرى وتحبى سنة نبيه محمد صلى

الله عليه وسلم حتى تأخذ من الظالم للمظلوم حقه وتوفى من مال الله لكل فقير نصيبه ورزقه وتأمّر من بهذه القرى والبلدان حضرهم وبدوهم بالمعروف والإحسان وتهاجم عن الفجور والبهتان وتعلمهم أن من ظلم أحداً مثقال ذرة أو أقل منها أو أكثر فاقته في عقابه بآثار الأئمة الفضلاء الذين جعلهم الله ورثة الأنبياء يقودون الناس إلى الخيرات وأفضل منازل الدرجات « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » وأن توالى في الله وتعادى في الله ولا تأخذك بهما رأفة في دين الله ولا تخف لومة لائم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وعلى أن تجتهد في إصلاح أهل ولايتك وإصلاح دينهم وعمارة مساجدهم والرأفة بهم والتجاوز عن مسيئتهم وحسن السياسة لأموهم والصبر في نفسك على أذاهم ما وسعك من ذلك . وإياك أبا سعيد والعجلة في أمورك وكن حذراً وقوراً صابراً شاكراً على العطاء ساتراً عيوب من أخطأ غافراً زلة من عثره ووفياً بمن أناب واستغفر قابلاً لمن رجع إليك واعتذر مدمماً على من أصر واستكبر آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر هيناً لينا لمن آخيته من جميع الشراة لا بفظ ولا غليظ واصبر وما صبرك إلا بالله وتوكل على الله حق التوكل واجتهد في ذلك ولا تكن من الغافلين وأوصيك يا أبا سعيد أن تختص من خيار إخوانك أن يسيروا في البلاد ويردوا الظلم عن العباد ويصرفوا عنهم المناكر والفساد ويسوسوهم إلى الصلاح والرشاد ويقبضوا الزكاة من أغنياءهم ويعطوها فقراءهم فيواسونهم من مال الله بما يسد جوعهم ويستر عورتهم ولا تدعهم يتكففون إليك حزينين باكين وابعث إلى كل بلدة وقرية ثقة أميناً ورعاً يتجسس عن المكثر والمقل ليأخذ من المكثر زكاة الله ويواسى منها المقل لأن كثيراً من الأغنياء لم ينصف من نفسه في أداء الزكاة وكثيراً

من الفقراء لم تحمله نفسه ليحجى إليك . فاجتهد يا أبا سعيد في الأخذ من هذا العطاء لهذا فإن لهم علينا حقا واجبا أو جبه الله عز وجل في كتابه لقوله « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » فإذا أردت المسير إلى بلدة صور من قرية أبرافترك في قرية أبرام يحفظ أمانتك ويخاف الله حق الخوف من ذات نفسه وأنت لا تجاوز بلدة ولا غبرة ولا مزرعا ولا عجوزاً في عنه ولا بدويا بغار إلا وأخذت من الظالم للمظلوم ووأسيتمهم من مال الله ما وسعك من ذلك فإن مات أحد جوعاً أو مظلوما فهو في رقتك دون رقتي وأنت المأخوذ به دوى فاني أعزى الله بالإسلام ونييتي أنى لو قدرت أن أملاً الأرض عدلاً وصلاً وإرادتي أن أدمر كل ظالم وأشتت كل جماعة اجتمعوا على المناكر والفجور والخوض في أحش الأمور فإنه لا أثره عندي لظالم ولا حيف لمسلم وقد جعلت لك أن تنصرف في جميع أمور المسلمين ما يجوز لي أن اتصرف فيه فإن خالفت إلى غير ذلك فأنا ومال المسلمين بريثان منك وانت الرهين به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته والحمد لله حق حمده والصلاة على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهذا عهدده رحمه الله إلى الوالى الموالى سليمان بن راشد الكندى السمدى النزوى رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى أيد هذا الدين بالحجج الإسلامية والدلائل الفرقانية والبراهين المحمدية والملل الحنيفية والسيرة الصديقية والحكمة العمرية والمذاهب الرضوانية . أحمدده حمد من اخلص لله فى السر والعلانية واعوذ به من الفتن الكفرية والمحن الأذية . واشهد

ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة المعتقد المخلص المطهر قلبه من كل دنس . واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بأفصح الحكم وابلغ الحكم فرحم الله به الأمم وكشف به جميع النقم واسبغ عليهم بطلعته جزيل النعم فدعا إلى الله وبشر وانذرهم وواجف الراجفة وحذر صلى الله عليه وعلى آله الفضلاء واصحابه النجباء ما همهم رعد بالسحاب ووخدت عيس بالسباب .

أما بعد : فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين ناصر ابن مرشد بن مالك بن ابي العرب إلى الشيخ الوالى ابي عبد الله سليمان ابن راشد بن عبد الله الكندى السمدى رحمه الله فإنى احمد إليك الله الذى لا إله إلا هو واوصيك ونفسى وجميع المسلمين بتقوى الله والزموم على طاعته فاسمع له واطع واقصد فى ذلك واتبع فأقول لك : يا ابا عبد الله إنى قد وليتك على بلد الصير وما حولها وما يشتمل عليها من البلدان والمنازل والأوطان وما فىهن من المزارع والأطوى وجميع الأماكن من تلك البلدان على ان تأمر فى هذه القرى والبلدان باديهم وحاضرهم وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم بالمعروف والهدى وتنهاهم عن المناكر والأهواء وتحبى فيهم دين الله العزيز الحكيم وسنة النبي القويم وطريقة الفضلاء الراشدين والأئمة القانتين الذين جعلهم الله حجة للأنام ومصباحاً للظلام يقودون الناس إلى طاعة الإسلام ويدعون إلى دين الله ذى الجلال والاکرام وإن توالى فى الله وتعادى فى الله ولا تأخذك فى الله عدلة عاذل ولومة لئيم مائل وان تخلط اللين بالصلاية وتخفض جناحك لمن اتبعك من الاخوان والأصحاب والقراية ومن كل الخليقة وتستقيم فى جميع امورك على الحقيقة وان تعرف قدر كل امرى وتؤتیه حقه وترفيه نصيبه ورزقه كما قال عز وجل « وآت ذا القربى حقه والمسكين

وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ،
فالله الله ياأبا عبد الله في دفع السيئات بالحسنات وإنكار المناكر في جميع
البلدان والفلوات لغير تجاوز منك إلى غير واجب أوجبه الله في التشمير
وجد في جميع أمورك بالتدبير الرضواني وترك التهاون والتقصير عن
صرف الأمر البهتاني . بيد أنك قائم في تلك المنازل والبلدان مقامى وسالك
طريقتى واعلامى فاجتهد قرة عيني في إصلاح ولايتك والعدل بين رعيتك
وعمارة مساجدكم والصفح عن سيئتهم والألفة والتقرب لمحسنهم
والتجاوز عن سيئاتهم ماوسعك من ذلك وأن تقبض زكواتهم من غنيهم
وتجعلها في فقيرهم وضعيفهم بعد لها طيبة نفس من أعطاكها إلا من
وجب جبره عليها ماوسعك من ذلك ولا تهمل أمورك وفقراءك فتجسس
عنهم من جميع بلدانك ومنازلك لتواسيهم من مال الله ماوسعك من
ذلك ولا تدعهم يتكففون إليك باكين حزينين سدمين من شدة
الضرورات من الجوع والسغب فإن جمة منهم لم تقدر أن تلقى إليك من
حياء أو ألم فلا تهمل ذلك ولا تكن من الغافلين « واصبر وما صبرك
إلا بالله » وتوكل عليه وما ربك بظلام للعبيد . فالله الله ياأبا عبد الله في
السيرة الحسنة والطريقة المستحسنة ، وكن وقوراً حذراً صامتاً بمجلسك
متبعاً سنة نبيك مستقيماً في دينك متورعاً رقيقاً بالمومنين مطيقاً على
المصرين وقد جعلت لك ياأبا عبد الله أن تكرم الضيف النازل من غير
تقصير ولا حيف فإذا أردت المسير من الصير إلى نزوى أو غيرها فاترك
على أمانتك من يخاف الله من ذات نفسه وأنت لا تمر على منزل إلا
أصلحته ، ولا مظلوم إلا أنصفته ، ولا فقير إلا واسيته ، ولا مكان

إلا وأمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر فإن ظهرت بدع أو قتن
أومات أحد مظلوماً أو جوعاً وأنت تعلم به ولم تستقم فيه وخالفت
ما أمرتك به فأنا ومال المسلمين بريئان منك وهو في رقبتك دون رقبتي
وأنت الرهين به يوم المناقشة والأخذ بالظلامة فيني امرؤ أعزني الله بدينه
وأرشدني بطريقة نبيه وأمينه ولا أثرة عندي لظالم ولا شدة عندي لمسلم
راحم وقد ألزمت من في هذه البلدان والفيافي والقفار طاعتك وحجرت
عليه معصيتك ما استقمت حق الاستقامة في جميع أمورك فشمرك لذلك
عن ساق واجتهد في تحفظ الحجج يوم التلاق واقف في ذلك آثار الذين
هاجروا وآووا ونصروا دين المهيمن الخلاق واجتهدوا في كسر شوكة
الكفر والنفاق رحسم كرة الذين اجتمعوا على الفواحش والشقاق
وقوموا لله آناء الليل وأطراف النهار وابكوا فرقين من إصلاح دار
البوار متقين الله في العلانية والإسرار واذكروا الله كثيراً . وصلى الله
على نبيه محمد وآله وسلم تسليماً واستعن بالله بكرة وأصيلاً ولا تكن من
الغافلين » إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله
يسجدون» والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، بلغ سلامنا جملة الإخوان .

ومن كلام له رضى الله عنه إلى بعض عماله . أما بعد : فقد وليتك
على بلد كذا وكذا على أن تظهر دين الله عز وجل وتحيي سنة النبي محمد
صلى الله عليه وسلم وتأمراً بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقبض الزكوات
من الأغنياء الثرى وتواسى بها الفقراء والمساكين فانظر إليهم نظر

الأب الشفيق فإن لهم علينا حقاً ورجاؤنا يا كرامهم دفع البلايا والرزايا وأنت جنة لي يوم القيامة فإن خالفت إلى غير ذلك فالله الحكيم بيني وبينك وأنت المأخوذ به دوني والسلام . قال في فواكه العلوم ، وهو لصاحب مختصر المصنف : وأخبرنا من لآتهمه بكذب أنه رأى من بعض ولاته ما لا يجوز فبكي من ذلك فقال : اللهم ديني قد تمسكت به واعتصمت بجبلك الوثيق ، إلهي أعوذ بك من لهُو وغفلة تميل بي إلى اتباع الأهواء والركون إلى العماية والردى . وعزل ذلك الوالى بالفور . والله أعلم .

ومن كلام له رضى الله عنه : واعلموا إخواني أن لهذه الراحة والنعمة مناقشة ليوم الفزع الأكبر لقوله عز وجل « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » فأجبلوا إخواني أفكاركم في بحور الأحداث ووحشة نزول الأجدات واعلموا أنا وإياكم على شفا جرف هار فإن لم نستقم على العدل وإلا سقطنا بهوة فظيعة تحاربزلها عقول ذوى الألباب ، فالله الله إخواني فى رعاياكم ومواساة فقراءكم فإنكم غداً مسئولون ومحاسبون ، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

ومن كلام له رضى الله عنه إلى بعض ولاته حين سار بدرأهمه للتجارة : واعلم أنك بمقام حكم وعدل محذور بأرجائه الركون إلى الدنيا وتجارته فاردع نفسك عن ذلك واكتب بصفحة فكرك معنى الآية التى قال الله عز وجل : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » .

ومن كلام له رضى الله عنه معاتباً لنفسه : ويك يا نفس لست من

أهل هذه الدرجة والمرتبة فلما أن البسك الله هذا اللباس على الرغم منك مع علم الله بك أنك قادرة عليه فالبسى أثواب الشكر لله عز وجل وتوكل على حق التوكل وكوني مع الله يكن معك .

ومن كلام له رضي الله عنه إلى بعض ولاته . أما بعد : فإنني أنكر عليك أن تداين الناس لما ورد في الخبر المنقول عن السلف الصالح : أن الأمير التاجر ملعون وهو متقوِّ بسطان المسلمين ، فالله الله في تدير دولتك ورعاية رعيته استقم على حكم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآثار أئمة الهدى فإنك عن قليل منقول من القصور إلى القبور . ومن كلام له رضي الله عنه معاتباً لإخوانه : إياكم اخواني والإسراف ومطاوله الأشراف والتلذذ بنعيم العاجلة ، والاهمال لطريق الآجلة ، واحذروا التفاخر والاعجاب والمباهاة للاخوان والاصحاب ، والحذر الحذر من البطنة والبطر والتناول لبعضكم بعضاً فإن كلا سيبلغ حظه ويوفى رزقه « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

وهذه خطبة الجمعة في عصر الإمام المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي أعزه الله ونصره على البغاة .

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ، وجعلهم أعراضاً لسهام الأقدار ، وكل بهم أمراضاً ترعجهم عن القرار ، وتجري منهم مجرى الدماء في الأبخار ، لا يعتصم منهم معتصم بالحذار ، ولا يختص بها الفقراء دون ذوى اليسار . بل هي آيات عدل عدل الله بها في البادين والحضار . أحمده على نعمه المسبلة الغزار وأعوذ به من العتوِّ والاستكبار وأستغفره للذنوب والأوزار ، من الكبائر

والاصرار وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من
عذاب النار ، مبنوثة من شهد بهادار القرار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
المختار أرسله بأيمن شعار وأبين فخار ، وأور منار ، وأطهر اعلان وإسرار ،
وأظهر برهان وانذار ، من صميم العرب في النضار ، وأكرمها في الفخار ،
مؤيداً بالمهاجرين والأنصار ، ومنصوراً بالملائكة الإبرار ، صلى الله عليه وسلم
وعلى آله الاطهار ، آناء الليل وأطراف النهار ، أيها الناس إن قوارع الايام
خاطبة فهل أذن لعظمتها واعية ، وان فجائع الاحكام صائبة فهل نفس لعجائبها
مراعية ، وأن مطامع الآمال كاذبة فهل همة إلى التنزه عنها داعية ، وأن طواع
الآجال واجبة فهل قدم إلى النزود من الدنيا ساعية ، ألا فاسر حوارحكم الله
تواقب الاسماع والابصار في جميع الجهات والأقطار ، هل ترون في جموعكم
إلا الشتات ، أو تسمعون في ربوعكم إلا فلان قدمات ، أين الآباء الاكابر ،
أين الأبناء الاصاغر ، أين المعين المظاهر ، أين النصير المظافر ، قد عثرت
بهم والله الجدود العواثر ، وبترت أعمارهم الحادثات البواتر ، وأبادتهم
الدهور الغواير ، فذوت من شبانهم الاغصان النواضر ، وختت من
شيوخهم المشاهد والمحاضر ، وهدمت من أجسامهم تلك الجواهر ، وطفقت
من وجوههم الأنوار الزواهر ، وابتلعهم الحفر والمقابر ، إلى يوم تبلى
السرائر ، فلو كشفت عنهم أغطية الاجداث بعد يومين أو ثلاثة ، لرأيتم
الاحداق على العيون سائلة ، والألوان من ضيق اللحود حائلة ، والأبدان
الغضة من البلاء قاحلة ، والرءوس الموسدة على الايمان زائلة ، وهوام الأرض
في نواعم الاجسام جائلة ، ينكرها من كان لها عارفاً ، وينفر عنها من لم يزل
لها آفا . رقوداً في مضاجع هم بها داخرون . مهموداً في مصارع يفضى

إليها الأولون والآخرون، وأنتم عباد الله الخلف للسلف، والهدف للتلف،
والفروع التي قطع الموت أصولها والجموع التي انتزع الدهر تحويلها، وقد
تسمعون داعية العويل في كل منزل وسبيل، حقا ليس بالكذب، جدا
ليس باللعب، حتى كان منادى الحشر قد أمر فيكم بالنداء ومنع أن يقبل
منكم عوضاً أو فداء، فسمعاً يا بني الأموات لداعي آباءكم الأموات
سمعاً وقمماً بذكر هاذم اللذات قمماً وقطعا لرجاء بقاءكم في دار الفناء قطعاً
أسوة بمن كان قبلكم ممن هو أشد قوة وأكثر جمعاً. جعلنا
الله وإياكم ممن أمات بذكر الموت أملاً، وأحيا بإحياء الباقيات الصالحات
عمله، وأنفق ساعاته في العمل الذي خلق له، أن أغض ما بقي على الأبد
وأحض المواعظ على اتباع الرشيد كلام رافع السماء بلا عمد « قل انظروا
ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر من قوم لا يؤمنون »
ثم إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثني بملائكته المسبحة بقده وأيه
بالمؤمنين من أهل طاعته تميمياً فقال آمراً ونخبراً لكم تكريماً « إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً »
اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ما ذر شارق وأومض بارق وفاه ناطق،
اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد بعدد أنفاس الخلائق، وبعدد ما في
السموات السبع الطرائق، وبعدد ما خلقت وما أنت له خالق، اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلى وفي الآخرة
والأولى، وارض اللهم عن صاحب نبيك في الغار ورفيقه في الأسفار
معدن الجود والفخار، وسيد المهاجرين والأنصار، ومقدم العلماء الأخبار،
الذي قاتل أهل الردة حين راموا الرجوع إلى الشرك، وجاهد أهل البغي

والإفك وجاهد في الله حق جهاده ، ودوخ بالسيف أهل عناده ، الخليفة
بالتحقيق ، المكنى بعتيق ، أول ساع إلى شرف التصديق ، أبي بكر
الصديق ، مظهر الحق بعد الكتمان ، عبد الله بن عثمان ، وارض اللهم
عن الإمام الأكبر والعلم الأنور رباني الأمة وكاشف الغمة الذي نشر
العدل في الآفاق ، وأباد أهل الكفر والنفاق ، وابتتح القرى والأمصار ،
ودون الدواوين في المهاجرين والأنصار ، خير الأصحاب ومقدمهم في الخطاب ،
أبي حفص عمر بن الخطاب ، اللهم وارض عن جميع المؤمنين من الأولين
والآخرين ، وعن تابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين و « اغفر لنا
ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
ربنا إنك رؤوف رحيم » اللهم وارض عنمن أظهرت به الدين ، وأحييت
به سنة المسلمين المهتدين ، وجعلته من الخلفاء الراشدين ، ومزقت به عصب
المفسدين وأنقذت به الرعية ، وحققت به الرجية ، عبدك القائم بأمرك
ونبيك ، المتمسك بسيرة نبيك ، الإمام الأبى الهمام اليعربي ناصر بن مرشد
ابن مالك بن أبي العرب اليعربي ، اللهم أصلح به خليقتك ، وأنعش بعدله
بريتك ، وأخذ بطئته نار الفتن ، واصرف باستقامته من قلوب الرعية
جميع الاحن ، واجعل أنصاره ومن والاه في الأمن راتعاً ، وجميع من عاداه
بالذل والصغار خاشعاً ، وجميع الفضل والخيرات جامعاً ، إنك سميع الدعاء ،
فعال لما تشاء ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون » تمت الخطبة المباركة .

وهذا سؤال وجواب : السؤال من والى الإمام والجواب من قاضيه

كتب والى الإمام على قرية الصير وهو خلف بن أحمد الأحمتي إلى الفقيه
القاضي خميس بن سعيد بن على الرستاقى رحمه الله تعالى وذكر له أن ناساً
من متفقهى الشيعة أتوا إليه يسألونه على معنى الاستعجاز له عن الجواب
والطعن فى مذهب المسلمين فقالوا له : كيف أتم توريثون الأخ والأخت
مع الابنة وابنة الابن يعنون الأخوة للأب والأم أو للأب والله تعالى
يقول « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد
وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد » فكيف
تورثون الأخوة والأخوات مع وجود بنات الصلب ولم يجعلوا للزوج
النصف مع الابنة ولا الزوجات الربع مع وجود البنات أو بنات الابن
والله تعالى يقول « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد » إلى
قوله « ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد » وقد (ثبت) أن الابنة
تحجب الزوج عن النصف والزوجة أو الزوجات عن الربع إلى الربع
والثمن فالجواب معنا لهم فى ذلك أن علينا أن نتبع من كان قبلنا من المسلمين
وفقهاء الدين المتمسكين بكتاب رب العالمين وسنة نبينا محمد خاتم النبيين
وإجماع المؤمنين المحققين ولا لنا أن نتدع ولكننا نسلم الأمر لهم وهم
العلماء بكتاب الله وفهمه واستنباط معانيه وحكمه ، والذي عندى أن من
الحجة له من كتاب الله تعالى قوله « يستفتونك قل الله يفتيكم فى
الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها
إن لم يكن لها ولد » فيخرج فى المعنى أنه يرثها أى يرث جميع ما لها إن لم
يكن لها ولد . وقد ذكر الله فى آية ميراث الأولاد « وإن كانت واحدة
فلها النصف » وكانت الآية التى فى آخر السورة مفسرة لبعض الآيات

المتقدمة في أول السورة وليس فيها معنى يدل على إسقاط ميراث الأخ أو الأخت عند وجود البنات ويمكن أن يكون أراد بالولد هاهنا الولد الذكر لأن الخطاب في الآية للأخت خاصة وقد يعترض الخاص على العام ولا يعترض العام على الخاص وقد قال الله تعالى في حكاية مريم عليها السلام «أَنْتِ رَبُّنِي كَيْفَ أَكُونُ لِي وَلَدًا وَلَمْ يَمْسَسُنِي بِشَرٍّ» وهي تريد بالولد الابن لأن الله قد بشرها بابن ذكر بقوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» فلما علمت ذلك قالت «أَنْتِ رَبُّنِي كَيْفَ أَكُونُ لِي وَلَدًا» ولا تنازع في هذا لأن الخطاب خاص لمريم وكما قال الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون حين التقط آل فرعون موسى «عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» وهو موسى عليه السلام وفي قصة يوسف «وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» ففي هذا كله أراد بالولد الذكر دون الأنثى. وأما إذا ورد الخطاب عاما اشترك فيه التذكير والتأنيث والواحد والتثنية والجمع كما قال الله تعالى «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» فهذا هو اللفظ العام الجامع لما ذكرنا فإن احتج محتج بقوله تعالى «وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجِكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» وقال إن في إجماع المسلمين على أن الابن والابنة وابن الابن أو ابنة الابن وإن سفلوا يحجبون الزوج من النصف والزوجة والزوجات عن الربع قلنا هذا صحيح موافق لأن الخطاب ورد للجمع لا للواحد بقوله لكم ولهن وفي الأخت على الواحد لها خاصة كما خص الخطاب لمريم وامرأة فرعون وامرأة الذي اشترى يوسف، فثبت في الخطاب العام جواز دخول الواحد والجمع والتثنية والتذكير والتأنيث وقام الواحد مقام الجمع والذكر والأنثى سواء

في الأحكام وفي نبأ نوح عليه السلام « واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارا » فجاء بذكر الولد ومعناه الجمع لأن الخطاب على ما يعقله المخاطب به والولد خطاب للواحد والجمع والذكر والأنثى وفي كل موضع يحمل على معناه فيه وعلى ما يستدل به عليه ، ألا ترى في قوله تعالى في الاخوة « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » فاستدلوا بهذا على معنى الاخوة للام دون غيرهم من الاخوة ثم قال في الآية الاخيرة « قل الله يفتيك في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين » فاستدلوا بهذه الآية على معنى الاخوة للأبوين أو للأب والخطاب كله في ذكر الاخوة فليس بمنكر أن يكون أراد بالآية التي ذكر فيها الزوج والزوجة بذكر الولد من ذكر أو أنثى وأراد بذكر الولد في الآية التي ذكر فيها الولد في آخر السورة الولد الذكر دون الأنثى كما أجمل ذكر الاخوة أجمل ذكر الولد وفسره النبي صلى الله عليه وسلم وفقهاء الأمة من بعده وبينوا للناس ولم تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلال . وحجة أخرى أن الابنة لا ترث معها الأخت أو الأخ باشتراك فريضة وإنما يرثان بالتعصيب بعد استكمال البنت فرضها الذي فرضه الله لها فإن اجتمع أخ أو أخت أو أكثر فللذكر مثل حظ الانثيين وان انفرد أخ أو أخت قام كل واحد مقامهما . وأما الذي تناهى الينامن الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى في بنت وبنت ابن وأخت فأعطى للابنة (النصف) ولابنة الابن

السدس وما بقي للأخت . وروى ابراهيم عن معاذ بن جبل رحمه الله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قضى) في امرأة تركت ابنتها وأختها فأعطى الابنة النصف والنصف الباقي للأخت فهذا ما حضرنا من الكتاب والسنة والاجماع من فقهاء الأمة ولا نعلم أحداً شذ عليهم بقول غير هذا إلا ما بلغنا عن الزبير أنه كان لا يعطى الأخت مع الابنة شيئاً ثم رجع عن قوله فيما بلغنا والله أعلم . كتبت هذا رداً على من تعنت المسلمين وكشفوا لما ألقوه من الشبهة على المؤمنين وتأيدوا وتصحيحاً لما عمل به فقهاء الدين والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله تعالى من جميع ما خالفت فيه الحق من قول وعمل ونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم .

تنبيه - شهر بين الخاص والعام أنه يشاهد نور ساطع صاعد نحو السماء على المقبرة التي فيها قبر الإمام ناصر بن مرشد وغيره من الأئمة وذلك أمر مشاهد . أما أهل نزوى فلا يستغربونه لأنهم قد ألفوا رؤيته وإنما يستغربه الوافد إليهم لشدة ما يرى من الأنوار فإن النور في غير هذه المقبرة وإن كان يرى كثيراً لا تبلغ شدته هذا المبلغ وعلى كثير من قبور الصالحين منا أنوار تشاهد عياناً والله الحمد لا تكاد تقف على مقبرة من مقابر أصحابنا إلا وترى على بعضها نوراً إلا ما شاء الله . ونقل من خط الفقيه محمد بن علي بن عبد الباقي روى لي من روى من الثقات أنه سأل عن النور فقال له رجل ثقة من المسلمين : النور على قبر خارج من البلد التي هي نخل والراوى منها فيحدث بذلك ورأى في المنام ليلاً أن رجلين جاءاه فقالا له يا فلان نستملك الستر ولا تظهر علينا فيكثر علينا الدائس مثل قبر الشاغه وقبر أبي عمر

فقال لها الرائي من أنما فقلا نحن أصحاب القبرين اللذين عند جيالات
الظعن الذي علينا النور ونحن أخوان قتلنا ظلماً والله أعلم ثم إن هذا
الرائي قال حدثت بهذه الرؤيا الشيخ الولي ثاني بن خلف بن ثاني بن جحدر
الرستاق فقال له ثاني بن خلف انه حدثه العبد الصالح خميس ابن مرشود انه
رأى رجلاً متكئاً بسقف قبر في قصر وفي فيه نور متصل بالسماء له عمود
طويل فقال له خميس من أنت فقال أنا صاحب هذا البيت يعني القبر وأنا
صاحبه والطريق غير هذا وسيظهر لك عن يومين سقف هو سقفي
الأسفل أو الأعلى ، فسأله خميس عن النور الطالع منه ، فقال له هذا من
ركعتين في جوف الليل وأنا أشكرهما لك يا خميس ، وكان خميس بن
مرشود قواماً لليل فظهر عن يومين سقف الأسفل كما قال وأحالوا عنه
الطريق وظهور سقفه من مطر مجحف جاءهم . فهذا ما سمعته والله
أعلم . قلت : وقد أوقفوني على هذا القبر وهو بالرستاق على جانب
الطريق الآتي من مسجد الحرت إلى قصرى والأنوار كثيرة لكنها
لم تكتب ولو ذهبنا نذكر جميع ما سمعنا من الموثوق بهم لطال الكتاب :

باب إمامة سلطان بن سيف بن مالك

ابن عم الإمام ناصر بن مرشد

بويح له في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر وهو يوم الجمعة لعشر ليال
خلون من ربيع الآخر سنة خمسين وألف سنة فقام بالعدل وشمروا جاهد
في ذات الله وما قصر ونصب الحرب لمن بقي من النصارى عسكد وسار
عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها بإذن الله وقاء يجاهدون أين
ما يجدهم في بر وبحر فاستفتح كثيراً من بلدانهم وخرّب كثيراً من
مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم فقبل إنما بنى القلعة التي بنزوى من
غنيمة الديو من أرض الهند وقد لبث في بنائها اثنتي عشرة سنة وأحدث
فليج البركة الذي بين أزكى ونزوى وهو إلى أزكى أقرب وليتهم أرخوا
وقائمه بالنصارى وفتوحاته أرض الهند لكن الطبع غلب عليهم فقد
جرت العادة عندهم بإهمال التاريخ اشتغالا بالأهم وكثرت الفقهاء واعتمرت
عمان في دولته واستراحت الرعية وزهرت البلاد بحسن السيرة ورخصت
الأسعار وصلحت الأثمار وكان متواضعاً لرعيته ولم يكن محتجباً عنهم
وكان يخرج في الطرق بغير عسكر ويجلس مع الناس ويحدثهم ويسلم
على الكبير والصغير والحر والعبد ولم يزل قائماً مشمراً رحمه الله وغفر له .
ووصفه صاحب فواكه العلوم فقال : أضحى رحمه الله قوى الجنان
باسط البنان بنياناً مرصوصاً في الهيجاء سحابة في العطاء مرتدياً برداء
العفاف والورع ولا يهوله من عدوه فزع ولا تأخذه في دينه محاباة ولا طمع

حامراً للديار وحافراً للأنهار وغارساً للأشجار ليميشوا فيها ضعفاء
المسلمين الأتقياء الأبرار ابتغاء مرضاة الملك الجبار متأسيماً بالرواية السالفة
عن السلف الصالح اعلم ما شئت كأنك تموت غداً وأعمار ما شئت كأنك
لم تمت أبداً وهذا من قوته وحذاقته حوى على كلتا الحالتين سخياً سمحاً
بنوال المستلثين سيداً وسنداً وولياً من الصالحين قال وكثير من فضائله
وطروسه لم أحص عدّها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وتوفى ضحوة الجمعة في يوم سادس عشر ذى القعدة سنة تسع
 وخمسين وألف كذا قيل وعندى أن هذا غلط من قائله أو من كاتبه لأنهم
قالوا إنه لبث في بناء قلعة نزوى اثنتى عشرة سنة وذكر لى بعض الأصحاب
أن تاريخاً يوجد منقوشاً بالباب الذى كان بحصن سناو فأمرته أن ينقله لى
فأرسل لى هذه الآيات :

لقد صنع الباب الحكيم محمد	فتى حمد نسل الندى والمكارم
وقد كان بالاثنين رقى لصنعه	من الحج ياذا فاستمع قول ناظم
وألف وست مع ثمانين حجة	توافى تماماً فى المدى المتقدم
وقيمه الوالى على بن راشد	وقاه إله العرش شر المظالم
بدولة سلطان بن سيف بن مالك	إمام الهدى الزاكي سليل الأكارم

فعلى هذا تكون إمامة سلطان بن سيف زماناً طويلاً تقارب
أربعين عاماً أو دونها بقليل والله أعلم . ثم وجدت فى أول كتاب التبيان
أن مؤلف التبيان وهو الشيخ درويش بن جمعة كان والياً للإمام سلطان
ابن سيف بن مالك اليعربى قال وتوفى قبل الإمام .

قال وكان وفاة الإمام بعده ليلة ست عشرة من ذى القعدة سنة
إحدى وتسعين وألف سنة والمسلمون عنه راضون وعلى هذا وهو
الصحيح فيما عندي تكون مدة إمامته إحدى وأربعين سنة وسبعة
أشهر وخمسة أيام ونصب بعده إماماً ولده بلعرب وكان قبل موته رضى
الله عنه بأيام يسيرة طلع نجم أول شهر القعدة سنة واحد وتسعين وألف
سنة له ذؤابة بقدر الرمح من المشرق إلى أن انتهى إلى أقل من نصف
السماء في رأى العين وذؤابته مما يلي المغرب ثم غاب وطلع أيضاً بعد موته
خط أبيض له نور وعرضه أكثر من ذراع إلى قدر ربع السماء في رأى
العين من أول شهر الحج سنة إحدى وتسعين وألف سنة من المغرب
فلا يزال يظهر كل ليلة قليلاً قليلاً فظهر النجم في آخر الخبط من المغرب
فلا يزال النجم والخط يرتفعان قليلاً قليلاً وينقص من عرض الخبط إلى
أن صار الخبط بقدر الرمح إلى أن انتهى إلى نصف السماء أو أقل ثم غاب
النجم والخط وكان قبل إظهاره في عمان جذب شديد وقحط حتى يبست
الأنهار وماتت النخيل والأشجار وكثر الغلاء إلى أن صار من التمر من
الفرض بشاخة في عمان ثم من بعد ظهرت هذه العلامة كثرت الأمطار
ورخصت الأسعار كثيراً والحمد لله رب العالمين . وعطب البر كثيراً .
ودفن بنزوى عند قبر الإمام ناصر بن مرشد .

وهذا عهد منه إلى جميع عماله . كتبه إليهم ليعملوا بما فيه ، قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العزيز عز أن تعوم بحور صفاته

جواري الفكر ، وأن تروم تنظر كواكب تكيفه بصائر أولى البصر ،

أو أن يشاهده بمخارق العيان والنظر ، العالم بديب النملة والذر في الليالي

المدلهيات عمن أبصروا سقوط أوراق الشجر الذي لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في ظلمات البحر والبر ، الجليل قدره
عن مشاكلة صفات البشر ، أو أن يدرك الأشياء بالسمع والخبر ، أو أن تجرى
عليه أحداث القضاء والقدر . أحمده على ما صيب برياض قلوبنا سلسال
العبر وحسم عنا أوصاب الكدر ، وأشكره على ما خولنا من يانع نعمه
وقدر ، وسقانا من عصير كرم كرمه وقدر وعز وتكبر ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها جنة ليوم المحشر يوم لا ملجأ لنا
من الله ولا وزر حتى شددت بها عضد الإحسان لمن آمن بالله واستغفر
وجلبت بها رباب البراهين لمن طمح حجج الله وستر ، وفصلت بها رفاق
الرافة لمن حمد الله وشكر ، وأودعت نار الأشجان الفرق بقلب من أعرض
وكفر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله وأنذر وقاد الناس إلى
الخيرات وبشر ، ونصب أنموذج الهداية لمن خاف الله من ذات نفسه
وفكر ، وصدر مدافع اللب عن دين العزيز الأكبر حتى تسلسل سلسال
سروره بسرير أسرته وتهلل سنا نبراسه بضائر ذويه وعترته ، وهدم
أركان شرائع سنا نه وعسرتة ، ودمدم على من مدراحتة لمحاربة محبيه وخيرته
صلى الله عليه وسلم وعلى آله النقباء الكرام الأجلاه العظام ما سحبت
سجائب ذيول الودق على رءوس الأكام وجرت أنهار تحت صوافح
النخل ذات الأكام .

أما بعد ، فهذا ما يقول المعتصم بالله المتوكل عليه إمام المسلمين سلطان
ابن سيف بن مالك إلى من نصب خيم همته في ميادين الامارة وربط عرى
شغله بسبب العمارة من جميع الولاة والحكام والصدور الأعلام فيني أحمد

إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأوصيكم وإياي وجميع المسلمين بتقوى الله
واللزوم على طاعته فاتقوا الله وأطيعوه واسمعوا كلامي هذا وعوه فأقول
لكم أيها الولاة والحكام اني قد وليتكم هذه القرى والبلدان والمنازل
والأوطان على أن تأمروا من في هذه القرى والبلدان حصرهم وبدوهم
وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم وقويهم وضعيفهم بالمعروف والإحسان
وتنهوا عن المناكر والبهتان وتحبوا فيهم كتاب الله العزيز المنان وسنة
النبي الذي هو من آل عدنان وآثار القادة الخلان الأصفياء الأئمة القائدين
الناس إلى طريق الجنان الذين جعلهم الله حجة للأنام ومصايح الظلام
الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون إلى الخيرات
أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده وعلى أن تجتهدوا في إصلاح ذات
بينهم وعمارة مساجدهم (وأمن) طرقهم والصفح عن مسيئتهم والتجاوز
عن مخطئهم والإحسان لمحسنهم ما وسمعكم من ذلك وعلى أن تقبضوا زكاة
من أموال مثرية من مواضعها طيبة بها أنفسهم إلا من وجب جبره عليها
حكم الشرع فقد جعلت لكم ذلك وعلى أن تضعوا هذه الصدقات في
محلها من شد عضد الإسلام وتقويم قناة الدين والأحكام ومحق أهل الكفر
والظلام ومواساة الفقراء ذوى الإعدام من كل فقير أو ضعيف كسير
أو أعمى أو يتيم عاجز عن المكسبة غريق في أودية المتربة أو قريب أو ابن
سبيل أو عامل عليها ممن ترجون نفعه في إقامة دين المسلمين ولا تبسطوا
أيديكم كل البسط وأقيموا في ذلك العدل والقسط ولا تجعلوا أيديكم مغلولة
في أعناقكم ولا تبذروا تبذيراً « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين »
لكن خير الأمور أوسطها ، يكون في ذلك بالاعتصام والانصاف

لا بالإسراف والاتراف وما قلت ذلك حرصاً على الدراهم التالفة إلا ابتغاء إقامة دين الله عز وجل وإحياء سنن النبي المرسل لأن الله أمرنا بذلك في كتابه العزيز الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في آيات حجة لم أحص عددها وآثار السلف الصالح ولا يخفى عليكم ذلك وقد عرفتكم اخواني أحوال هذا الزمان قد أشربت قلوبهم من موارد الطمع والتناول والتناول لجة المال وأنى لهم تناول لا تجرى إلينا منهم جوارى الخدمة والطاعة إلا أن نطلق لهم رباح النيل والطماعة بيد أنهم لم يعمدوا من الوجع والخوف في قلوبهم مما رأوا بأسنا سالفاً وآفاقاً وبياتاً لمن نبذ كتاب الله وراء ظهره وركب محارمه ومحجورات أمره ولا يكون ذلك إلا بالرجال والرجال لم يستقيموا إلا بالعطاء الجزيل من المال ، فلمعري لو قصرت عن امرئ منهم مثقال حبة من خردل مما عودته نيلاً وعطاء لأصبح هائماً متفكراً في أمره متوارياً بوجهه وذكره مقصراً في خدمته ناقضاً لعهدده وذمته لا يذكر اليد السالفة منا ولا الرحمة الخالفة من لدنا حتى صارت مكاسب الحمد عنده مذمة والسرور منه غمة لا يرى ذلك من الله ليس منا حتى يرضى بما قسم الله له ورزقه وقدر له نصيبه مذ خلقه لأن من يرى الكل من الله لا يغضب على مخلوق ولا يفرح بما أوتي ولا يحزن على ما فات مفوض أمره إليه لا يألو جهده في خدمتنا ومعونتنا ما أطعنا الله ورسوله والقادة الصالحين بل يرى ذلك أفضل القرب وأرفع التنفل والكسب ، يشكر النقيير والفتيل ويرضى بالكثير والقليل تأسياً بما مضى عليه السلف الصالح من فريضة الشاري سبعة

دراهم لكل شهر أو أقل من ذلك هم « الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » قال الله عز وجل : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وأدهى وأمر من هذا إذا صعقت علينا صواعق الجبارة ونعقت فينا نواعق الملوك والأكاسرة ابتغاء سلب دين الله من أهليه وقتل حزبه وذويه وإحياء بدعة الشياطين وتملك دعوة السلاطين فإن لم ينزل كل امرئ منزلة من النبيل والرفعة والقربة والمنعة وإلا صرنا غرضاً في السن الشامتين نصباً لطوارق أحداث المعاندين الباهتتين وأصبح دين الله خفياً دارساً ووجهه قاطباً عابساً والله يكلؤنا وإياكم أيها المسلمون من ذلك وينقذنا من مهاوى الذلة والمهالك فشدوا بي أيها المسلمون ظهوركم وقوى عزمكم وصبركم وخذوا حزمكم وحذركم وأعدوا له من آلة الحرب ما ترهبون به عدو الله وعدوكم وارحموا صغاركم ووقروا كباركم وعظموا أشرافكم وعظماؤكم لكثرة المودة منهم لكم لأن المداراة نصف العبادة وحسن التودد إلى الناس نصف العقل ، واعلموا أن العبد يبلغ بحسن أخلاقه ما لا يبلغه الصائم القائم وأحسنوا إلى ضعفاءكم وفقراءكم لينفعوكم بدعوتهم وتضرعهم إلى الله لكم واصبروا على ما أصابكم من حوادث الدهر ونايكم واشكروا الله على ما فضلكم وشرفكم ، واحتملوا على ما بلاكم الله بأمور عافى منها غيركم وأعينوا بجاهكم من لاجاه له للخبر الصحيح عنه عليه السلام « إن أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لاجاه له » وازهدوا في الدنيا عن جميع المعاصي واخشوا يوم الأخذ بالنواصي لأن من زهد فيما

عند الله - قوله : فيما عند الله الخ نص الحديث « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » فكأن الإمام رضى الله عنه أراد بقوله فيما عند الله الدنيا التي يعطيها الله عباده من غير يد أحد من الناس والله أعلم - أحبه الله ومن زهد فيما في أيدي الناس أحبه الناس ولن تملكوا الأشراف والسادات إلا بالزهد والعدل وحسن السياسة للرعايا لأن الملك يبقى مع الكفر والعدل ولا يبقى مع الإسلام والجور، واعملوا ما شئتم فكل مبسر لما خلق له لأنه في الخبر الصحيح « اعمل ما شئت كأنك تموت غداً واعمل ما شئت كأنك لم تمت أبداً » وداوموا على ذلك مع حسن النية والصلاح لأن « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » واحذروا التغافل والمفاضاة من إظهار الفعل المنكر المحجور من فاعله لأن الله عز وجل قد عير أقواما قد رضوا بفعل المناكر لقوله عز وجل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وفي الصحيح المنقول « الراضى بالمنكر كفاعله » وشمروا عن ساعدكم بالحزم والحذافة في جميع أموركم ولا تتركوا ذلك فتصبحوا على ما فاعلتم ناديين ، كما قال الشاعر :

لا تترك الحزم في شيء تحاذره فإن سامت فما بالحزم من باس

العجز ذل وما بالحزم من ضر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

وأبلغ في ذلك حجة وبيانا قول الله عز وجل محرصاً للحزم قوله :

« وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا

أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم

يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودد الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » وكثير من الآيات لم أحص عددها ولا يخفى عليكم ذلك واستعينوا إخواني على نجاح حوائجكم بالإخفاء لها والسكتان لأن كثيراً من الناس ماهيته إلا بث السرائر واستخراج مافي الضمائر وإياكم والعجلة في جميع أموركم وشاوروا فيها أهل الفضل والورع والعلماء بالله واليوم الآخر ولا تتركوا مشورتهم في جميع أموركم لئلا يقع بكم الخطأ لأن عقل المرء لا يغني عن المشورة ولو كان كذلك لما أمر الله نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام بالمشورة وهو أرجح الناس عقلاً بقوله « وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » وفي المنقول « لاصواب لمن ترك المشورة ولا خطأ مع المشورة » وكذلك قال الشاعر :

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة كعفة الخود لا تغني عن الرجل

وكثير مثل هذا لا يخفى عليكم ذلك واحذروا الطمع المذموم المفضى بصاحبه إلى الهلاك والنظر إلى الدنيا وزخارفها لأن أقدام العلماء تزل مع الركون إلى الدنيا والطمع في نعيمها كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الصفاة الزلاء التي لا يثبت عليها أقدام العلماء الطمع » وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع » . وكذلك قال الشاعر :

دع الطمع المرذول عنك فربما يقطع أعناق الرجال المطامع

فاتقوا الله إخواني « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله
من فضله إن الله كان بكل شيء علماً» وكثير من الآيات والأمثال
العربية لا تخفى عليكم وكونوا بمجالسكم سامتين مسرورين مستبشرين
لأوليائكم عابسين آنفين عن أعدائكم متفقدين حق الرعاية لرعاياكم
تلقونهم بصدر أوسع من الدهناء واحتمال يزرى بالغبراء ورحمة أمد من
البيضاء وسخاء يميل على الوطفاء وتلطف كتلطف أي غزوان وختل
لعدوكم كختل أي جمعة وإسراع إلى الخيرات كإسراع النجم وبكور
إليها بكور أبي زاجر وصبر كصبر النبي أيوب وكونوا في أحكام الله أثبت
من النقر على الصفا ومن الشوامخ بالبيداء . وأتجر في التجارة الأخروية
من عقرب، وأتبع في النكد لمن عصى الله من توب، وأنجز في مواعدكم
من أسد، وأشفق لأوليائكم من الوالد على الولد، ومن المرء على السعد
وكونوا كالليث في غاره ما يرى عدواً إلا ظبته بأظفاره وجدوا واجتهدوا
وأنفقوا وصلوا وصلوا بلا تمب ولا سأم ولا سرف ولا ملل ولا جهل
ولا تون وكونوا أشد على الأعداء من الصخر، وأخف على الأولياء من
اليسر بمد العسر، وصافوا المودة لمن يضافيكم مهذبين لودعيين فكهين
ظييين غشمشمين غير بطرين ولا مستكبرين وأحسنوا الظن ببعضكم
بعضاً ولا تقدموا على أمر بغير تدبر ولا تفكر و« إن جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ولا تنزلوا
المنزلة التي يحتمل فيها الحق والباطل منزلة الباطل لأن من فعل ذلك فهو
المبطل، فالله الله في إحسان الظن ولا تسبوا الظن بإخوانكم لأن سوء
الظن بالمسلمين من كبائر الذنوب ولا تهكوا ستر إخوانكم ولا تذكروا

بسوء خصال خلائكم « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وفي الصحيح المنقول عن السلف الصالح إذا كان بينك وبين أخيك كندسج العنكبوت فلا تهتك ستره فإن من هتك - تر أخيه هتك الله ستره ومن احتجب عن حاجة أخيه المسلم حجب الله حاجته - أي منعها - ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه سبعمين كربة ، ومن أحبه الله جعل الله حوائج إخوانه على يديه ، ومن أحب أن يكون مؤمناً حقاً فليحسن الظن بإخوانه ويحب لهم ما يحب لنفسه ويبغض لهم ما يبغض لها من الهداية والإيمان والكفر والعصيان » وفي الصحيح « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » إن رأيت ظالماً بمعصية فانصره بالهداية والنصيحة وإن رأيت مظلوماً فانصره بالإعانة على نصرته وعزه ، فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم على الحق والصراط المستقيم في الدنيا والآخرة وقد جعلت لكم حبس من يجوز حبسه وإطلاق من يجب إطلاقه وعفو من يجوز عفوهم وضيء من يجب ضيئه وإصلاح ما يجب إصلاحه من أموال بيت مال المسلمين وصوافيهم وإصلاح صياصيهم وافلاجهم وطرقهم وقطع مضارهم على ما ترونه عدلاً في كتاب الله وآثار الأئمة الصالحين وقد جعلت لكم حماية البلاد وأهلها والذب عن حريمها وصغارها وكبارها وتقريب صلاحها وحسم ألفة فساقها وأندالها ولا تأتمنوا في أمانتكم التي أمنتكم فيها إلا من هو حقيق بذلك في دين المسلمين وقد ألزمت جميع من في هذه القرى والبلدان والمنازل والأوطان طاعتكم وحجرت عليهم معصيتكم ما أطعم الله ورسوله فيهم وقتم بما شرطه عليكم في عهدى هذا فإن

خالفتم ذلك وأيتم فإننا ومال المسلمين بريثان منكم وأتم المأخوذون به في
أنفسكم وأموالكم لأننى أعزنى الله بالإسلام والدين وشد عضدى بسنة
النبي الأمين ومذهب القادة المتقين لا أثره عندى للظالمين ولا حيف عندى
للأولياء الراشدين ونيتى أن أملأ الأرض قسطاً وعدلاً وحكماً وفصلاً وكسر
شوكة المعتدين والأخذ على أيديهم وهدم أركانهم وتخريب أوطانهم
وإطفاء بدعهم وتفريق زمرهم وجمعهم الذى يجتمعون فيه على الباطل
والمناكر والفجور والخوض فى الفواحش والمحجور وانهاك عظيماات الأمور
ما استطعت إلى ذلك سبيلاً فاصبروا إخوانى وما صبركم إلا بالله « ولا تنهوا
ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .. « اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون » وما توفيقنا وإياكم إلا بالله وعليه فتوكلوا واليه
أنبوا وعلى نبيه محمد فصلوا عليه وسلموا تسليماً ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلی العظيم .

ومن كتاب له إلى بعض عماله : بسم الله الرحمن الرحيم : من إمام
المسلمين سلطان بن سيف بن مالك إلى الوالى فلان بن فلان الفلانى جنبه
الله الموبقات والمهالك .

أما بعد : يا فلان إني لك من المنذرين وعليك من الحذرين أن
لا تأخذ شيئاً من مال المسلمين الذى هو قوام كل فقير ومسكين وبه
تدفع قارعة الغاشمين والمعتدين بتدليس شراء هو أقل قيمة وأنجس ثمناً
من قيمته المعروفة فى البلاد وسنته الجارية بين العباد فإنه وإن خفى علينا
وعدم علمه بين يدينا فلن يخفى على من يعلم ديب الذرة العجباء على الصفاة
المساء فى الليلة الظلماء ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وهو المطلع

على كل مختلف ومستور وإن كنت قد فارقت شيئاً من ذلك وجعلته
بذلك السبب الخفي إلى مالك فأن إلى ساحة قراره زمام عنسه واغتم
برد قمره قبل أن ينفعك حر شمسك فما الأمر إن علقته بهين وما قولى لو
وعيت بهين . هذا وقد بلغنى أن لك شقة تهدر بهذيان كان لا يليق
بمثالك ولا يحمل لو دريت بحالك فلا تكن ممن سباه سيما العلماء ونطقه
نطق السفهاء واسمع إلى ما قال ربك المجيد « ما يلفظ من قول إلهيه رقيب
عتيد » وانظر وقوفك غداً في موقف يخرس فيه الفصيح ويندم الطير
الذى يصيح ، فاصنع لك الخير إلى قول الفصيح واجنح إلى اغتنام المتجر
الرياح ، وإلا ندمت حين لا تنفعك الندامة وتهوَّرت حيث لا ترجى لك
السلامة . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذا كتاب منه إلى ملك صنعاء اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم
من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربى العربى
العمانى إلى على ذروة الجنب المعظم الهمام المكرم اسماعيل بن القاسم
القرشى العربى .

أما بعد . فإننا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه ونسترشده
إلى سلوك سبيل رضاه ، ونستزیده من خزائن مواهبه وعطاه ، إنه بيده
مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير وإن سألت أيها المحب عنا
ورمت كيفية الحال منا فإننا بحمد الله فى حال يسر به الودود ويسا . به
الحسود . ثم لتعلم أيها الملك أنه قد وصل إلينا فى مدة أيام قد تصرمت ،
وشهور قد تخرمت ، رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروسا بها

درر من رائق لفظكم وخطابكم غير أنه يقول ان المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار ففرق في اليم فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف ثم يبد أنه قد أفام إلينا من نتائج لسانه واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم وأخذتم لسفهم الواردة لجنابكم ولعمري إنا لندرى أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء وزائد محض المودة الصادقة والوفاء ، غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم فإننا نحن لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلاً ، ولا نجد لك على إلزام فعل ذلك دليلاً ، إذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالفتنا لیسارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، وأعدنا اللهازم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان ، وأعداء الملك الديان ، تعرضاً منا لرضاء رب العالمين ، وإحياء لسنة نبيه الأمين ، ورغبة في إدراك أجر الصابرين المجاهدين ، وحاشا لمثلك أن بغضب لقتال عبدة الأصنام وأعداء الله والإسلام ، ألسنت من سلالة علي بن أبي طالب الساقى للمشركين وبنى المشارب ، أنت تدرى بما جرى بيننا وإياهم من قبل في سواحل عمان وفي وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيال وتناهب الأملاك والأموال وإنا لناخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون بندرى الشاه ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيراً وإن كنت في شك من ذلك فاسئل به خبيراً أو لا نذكرك أيها الملك ، والدكرى تنفع المؤمنين ، وأنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين ، إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار وهي عنا نازحة الفيافي والقفار

لم نر في ملكها صلاحاً لشيء أوجبته منا النظر وحاكته الأذهان
والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة ولا كلمة علينا ظاهرة ولا يد
غالبة ولا كف سالبة، وحين ما خرج عنها عاملنا خلف خلف بها شيئاً من
مدافع المسلمين لغفلة جرت عن حملها في ذلك الحين، ولما ملكتم أنتم زمام
عيسها واجتليتم ضوء بدرها وشمسها لم تدفعوا لنا تلك المدافع كأن لم يكن
وراءها ذئد ولا دافع، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور والليث هصور والحر
على غير الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر وما غدر من حذر، على أنا
في إصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون وفي استبقاء صحبتك
راغبون وإطفاء الفتن وإخماد المحن بيننا وإياك مؤثرون، فإن كنت راغباً
في الذي فيه رغبنا وطالبا لما له طلبنا فادفع لنا إياها ولا تحتس بسرعة
الاعتداء حياها، وإن أبيت إلا الميل إلى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها
ففي الاستعانة بالله على من اعتدى سعة، ومن كان مع الله كان الله معه
وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذا جواب ملك صنعاء اليمين : بسم الله الرحمن الرحيم ، من شمس
سماة الخلافة العلية ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية إلى قاصية أرض
الملك المالك سلطان بن سيف بن مالك اليعربي العربي العماني أراه الله نهج
الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية .

أما بعد : حمد الله والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، وعلى وصيه
الأترع البطين ، الحاصد سيفه رعوس المارقين ، وقد وصل كتابك الذي
شحنته بالابراق والارعاد ، وعدلت به من تحسين العتاب إلى تحشين

الخطاب ظناً منك أن هذيان وعيدك ، وطنين ذباب تهديدك ، يززع من
بأسنا صخرة صماء ، أو يحرك من وقارنا جبلا أشمأ فكيف يكون ذلك .

وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
أين ذهب حجاؤك حتى طلبت منا المدافع بهذه الأراجيف والبقاقع
وإنما تُقطع أعناق الرجال المطامع

أما علمت أن الليث إذا هيج على فريسة كان أشد إقداما وأعظم
جراًة واعتزاما ، لاجرم أنها لما نأت بنا وبك الديار وحالت دوننا ودونك
الأمصار ، فاسترسلت لفظك فجاوزت في سوء المقدار حدك ، وانفردت
بأرضك ، فطلبت الطعن والنزال وحدك .

ياسالكابن الصوارم والقنا إني أشمّ عليك رائحة الدم
فاقطع عرى آمالك عن هذه المدافع فهي أول غنيمة إن شاء الله من
قطرك الشاسع وقد دعوتنا على النزول على حكم الأطباء^(١) والأسل
فالبث قليلا تلحق الهيجا جمل

ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الختوف
وأنتم أتباع من سقى فما بدأ به أوائلنا في سلفكم ختمنا به من بقى
والسلام انتهى جوابه ، وبكل أسف إنالم نقف على جواب الإمام لهذا
الكلام وما أظنه إلا كما قال الشاعر :

وهل تغنى الرسائل في عدو إذا مالم يكن ضاباً رقاقا

(١) في نسخة الضياء ، ولعل الصواب الطبابة

وأئمتنا بحمد الله تعالى ممن ذكرهم الله في كتابه بقوله « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » إلى قوله تعالى - والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » فهم الأئمة الفعالة وغيرهم الأئمة القوالة ، وكان هذا الرجل زیدی المذهب وكأنه يثبت الوصايا لعلی وما افتخاره بقتل أهل النهروان إلا كافتخار اليهود بقتل عيسى « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وكذلك من قتل في سبيل الله « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » ودلائل الحال تقتضي أن بينهما وقوع وقائع ولكن لم نطلع على ذكر شيء من ذلك . وتمكن هذا الإمام من اليمن والهند وغيرها يقتضي أن الأمر صار على خلاف ما يزعمه ملك صنعاء وكذلك تمكن الأئمة من بعده فإنهم قد ذكروا لهم من القوة والسايطان والتمكن من البلدان النائية والأقطار القاصية ما سيأتي ذكر بعضه وذلك يقتضي أن الإمام ومن بعده قد تمكنوا من اليمن وغيرها ما خلا صنعاء فإننا لم نجد تاريخاً في التمكن منها بنفسها وأما آثارهم فظاهرة في أطراف اليمن والله أعلم بما وقع بعد تلك المخاطبة والأمر لله وحده مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والحمد لله رب العالمين . وللشيخ خلف بن سنان الغافري قصيدة ذكر فيها فتوحات هذا الإمام ، قال فيها :

وقد قدَّ الأعداء عضبك لما قدمتهم لحربك الأقدام

كلما كليت^(١) كلا ديننا أو آلتها من العدا آلام

(١) هكذا بالأصل ولم يفهم له معنى .

مرهمتها بمرهم البرء بتر
عم حياة ياروعا من عقايه
قل لمن ظن أن ذا العرش لنيه
مد حبالا إلى السما تمث اقطع
أو ما عاينت أفاعيله عيه
أثافي ديار عبد غدا مس
ويسامى القوى وقادم كر
فأتوه بهم أفاكل رعب
وفدوا مسقطاً بعدة بلدا
ثم أوري لمسقط سقط عزم
وهى دار يكاد يذهل منها
لم يكن دافعاً لما أبرم البر
لا ولما ينهنه القدر الكا
ولدى « كنج » كان منه لهم ما
فعدت من عمان كف بنى الأص
ماد عن أرضها كفيتا ومور
وتجلى عنها جلال فله
أبهم العقل عنهم فأتاهم
همهمت فيهم رعود حتوف
أى هذا الراوى المشيع بأن ال

لك من ضوئها يضىء الظلام
ل سواه يوم المعادين عام
صره وهو ناصر عظام
وأن هل غاض ما يغض المرام
ناك أم عات فيهما الإظلام
تعبداً من معبوده الأصنام
ها كما قيد للذباح السوام
مثلما ريع بالهزبر البهام
ن عليها دمع القسوس سجام
أسقط الظالمين منه ضرام
هية حين تذكر الأحلام
عليها مدافع وبرام
ن عنها الكيتان والآطام
كاد منه تدكدك الآكام
فر صفراً قد هزها الانهزام
بعد شهد له المرار طعام
علينا الإجلال والإعظام
عنوة ما اصفرت به الابهام
من همام فى ملكه مهمام
رى قد بل من صداه الأوام

ليس يشقى من حرقة الديوان
هذه من كلا الفلى وهذى
أمنها حجة الإله بجيش
قاده نجل راشد بن على
صارم سله الإله فإكا
ليث غاب وغيث محل به تش
فاستصيدت قرى بياس الصدى الص

يد عنه مها بدا الاصطدام
وسبام ألفى أسير كان قد
واقنتى منهم كمنوزاً غدا يه
وعمباسة أذاقهم بأساً
ولقد فى مفازة فاز منهم
وغزا كلوة بكل كمي
ولدى زنجبار زجج ر فيهم
وعمبي نابهم منه ناب
وكذا فى مخا قد امتخ منهم
وانثنى منهم بعدة أفلا
ولدى باب من دم كم دم ط
كل شار أفاد عدة آلا
ثم أزجى جوارى الفلك ينحو

أحرقن منا بالاسراق خيام
ارم تلك (م) التى لاترام
لم يبيح جاش جنده الأحجام
ذوله الرشد والمعالي مرام
ن له غير فى الأعادى اندغام
قى وتسقى العمداة والأيتام
يد عنه مها بدا الاصطدام
مازج الدمع منهم العلام
هر منها قارون بل بهرام
بئسا سيئت به الأضنام
بفاز زلت به الأزلام
لم يثنى منه الفرار انثلام
رعد زجر لم ينبج منه اعتصام
لم ينبه عن المضى انتقام
أعظما قبل ضيمه لاتضمام
ك تراعى كأنها أعلام
ل ومال أماله الصمصام
ف عداه من بعدها الاعدام
لمسيج ساجها العوام

فاستباح الحریم منها ولم یح
صن سوی حصنها علیه مقام
هم هامها منوط إلى هام إلهام حرن دونها الأوهام

انتهی ما أردنا نقله من القصيدة . ولهذه الغزوات أخبار لم تدون في
الدفاتر . وذكر ابن رزیق وهو شاعر متأخر أدركنا بعض من أدركه
زمانه أن مسقط عمرها بعض عرب عمان وهم یمن الأنساب ففرسوا
فيها نخيلاً وأشجاراً تسقيها آبار قال وآثار هذه الآبار باقية إلى هذه
الغاية وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وألف . قال : ثم اشتراها النصارى
البرتكيسية منهم فسوّرتها من حد جبل المكلا إلى جبل السعالی
وأحدثت فيها حصنين كبيرين شرقياً وغربياً فلما اصطلمتها العرب منهم
سموا حصنها الشرقی الجلالی ، وسموا حصنها الغربی المیرانی . قلت : وإنما
سموها بذلك باسم رجلین من النصارى ذكرهما الشيخ خلف في قوله :

مار عن أرضها كفيتا ومور بعد شهد له المرام طعام
وتجلى عنها جلال فللا ه علينا الإجلال والإعظام

قال وأحدثت النصارى فيها صيرتين على وجه البحر الذي يقابله
الحصنان المذكوران وأحدثت فيها بروجاً على السور وأبنية على رؤوس
جبالها وخمس عقبات : الأولى من أول المطرح إلى أول ريام ، والثانية من
آخر ريام إلى أول مسقط ، والثالثة من آخر كلبوه إلى أول مسقط ،
والرابعة من آخر سداب إلى أول مسقط ، من جانب سهيل ، والخامسة
من آخر جبال مسقط إلى أول الوادی الذي یفضی إلى دار سیت . قال :
وأخبرني غير واحد من المشايخ المسنة منهم الشيخ معروف بن سالم الصائفي

والشيخ خاطر بن حميد البداعي وغيرهما عما سمعوه من آباءهم المسنة فاختلقت رواياتهم لفظاً واتفقت معنى قالوا: لما مات الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله نصب المسلمون سلطان بن سيف الإمام في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد قالوا: وكان سلطان بن سيف أيام دولة الإمام ناصر ابن مرشد للإمام ناصر بن مرشد سيفاً وكفأً يبيد به الأعداء ولما مات الإمام ناصر بن مرشد نكثت النصارى العهد وقطعت الجزية ومنعت المسلمين عن الوصول إلى مسقط وعتوا عتواً كبيراً، قالوا ونصب الإمام سلطان لهم الحرب وسار إليهم بنفسه بجمع كثير فأقام بطوى الرولة من المطرح وبلغ معسكره إلى سيح الحرمل فجعل عسكره تارة يغزون مسقط وتارة يضربون من رءوس جبال النصارى القابضين حصن المطرح وجعلت النصارى على رأس كل جبل بمسقط أشد رجالهم أهل التفق فلم يقدر المسلمون على دخول مسقط من كثرة جنود المشركين ورميهم المسلمين بالمدافع والبنادق وقد مدوا سلسلة حديد في رأس الجبل المشرف على ميايين وعلى الوادى الذى يمر على برزنجى إلى الجبل الذى به الآن البرج المربع وهو الجبل المشرف على حلة الأوغان وجعلوا على هذه السلسلة سوراً من حديد وأكنوا فيها رجالاً من قومهم ليصدوا المسلمين عن الوثبة على السور وقد ملأوا الخندق بماء البحر الصغير الذى هو شرقى الباب الصغير وجعلوا على السور عساكر حمة وكان للنصارى وكيلان من البانان أحدهما يسمى سكبيلة والثانى يسمى نروتم فخطب أمير النصارى القابض فى الكوت الشرقى بنتاً من بنات سكبيلة وكانت ذات جمال فائق وبذل له من المهر مالا كثيراً من الذهب والفضة وسائر الجواهر فكان

جوابه لستم في القديم ولا في الحديث أنتم تزوجون بيناتنا ولا نحن
تزوج منكم وهذا شيء لا يكون ، فلما أغاظ النصراني عليه الكلام وعلم
أنه إن لم يطاوعه يأخذ ابنته منه كرهاً قال أمهلى إلى كذا من المدة حتى
أصوغ للابنة حلياً يصاغ لكل عرس من بناتنا الأ Bakar خاصة فإذا تم
الصوغ ووصلني دفعت إليك الابنة ، فأمله النصراني ورفع منزلته فكان
لا يحدث شأنًا إلا يشاوره فيه ولما رأى سكبيلة التمكن من النصراني
قال له إن الماء الذي في الحصنين قديم فيه دود وأخشى أن يطول الحصار
علينا من المسلمين فالرأى تجديد الماء وكذا الباروت فإنه قد فسد والرأى
تجديده بالدق ثمانية فأجابه إلى ذلك فأخلى الماء وأنزل الباروت وكتب
للإمام وأخبره عما جرى له من كبير النصارى ودله على الوثبة على السور وبين
له وقت لوثة وذلك يوم الأحد عند طلوع الشمس في اليوم العاشر من
شهر رجب سنة تسع وخمسين بعد الألف وكان ذلك اليوم عيد النصارى
يشربون فيه الخمر ويضعون فيه السلاح ويشتغلون بطربهم وملاهيهم
فوثب عليهم الإمام ومن معه من المسلمين فدخلوا السور ووثبوا على
الحصنين فأخذوها في ساعة واحدة وقتلوا من فيهما من النصارى . قال
ابن رزيق : أخبرني غير واحد أن الإمام ضرب واحداً من النصارى
حزاء الجزيرة وهو قد لاذ بعصفور مدفع حديد فقطع السيف عصفور
المدفع ونخذي النصراني فجعل النصراني يقول لمن يمر به من المسلمين
ما هي إلا ضربة واحدة قطعت العصفور والفخذين مني ولم يفتقر عن
ذلك حتى مات ، ولم يبق للإمام محارب من النصارى إلا كبرتيه وهو
شجاع من شجعانهم وكان قابضاً في البرج المسمى باسمه إلى الآن « كبرتيه »

فجعل كبرتيه يحارب المسلمين كل يوم حتى قتلوه في سوق البر هو ومن معه كافة وما بقي للإمام محارب من النصارى غير القابضين في حصن المطرح وأهل مركبين من مراكبهم ثم وثب عليهم المسلمون في خشاب صغار فنصرهم الله عليهم فقتلوا من المشركين كثيراً وما نجا من النصارى إلا قليل ، ثم سلم القابضون منهم حصن المطرح للإمام فعبدهم ومن بقي منهم إلى جوه ورفع الإمام الجزية عن سكيبة ونروتم وعيالهما لمناسحتهما له وللمسلمين . قال ولم يزل الإمام يجالذ النصارى براً وبحراً واستفتح من أماكنتهم الديو وغيرها وملك كثيراً من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم ، قال وكان الإمام سلطان يقال له صاحب الكاف فقيل انه سمي بذلك لمعرفته بالكيميا لما أكثر معه المال . وقيل انه سمي بذلك لأجل سمة ركابه فانها سمتها كاف .

وهذه نصيحة من الشيخ سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني لأحد الإمامين ناصر بن مرشد أو سلطان بن سيف لم يعرف الناقل لأيهما كانت ، قال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أيد هذه الأمة برحمته ونصره ، ومنّ عليها بمن ارتضاه من أبناء دهره وعصره وملكه الشطر من ملكه وقهره وأطاع له من خلقه بما يقوى به على نهيه وأمره ، وجعل له خليفة بعد آخر يذب بها عنها كل شيطان امتلاً عتواً وكبراً ، وملاً نحره ظلماً ووزراً ، وتجبر في الأرض علواً ونخراً وملكهم بالجبر إذلالاً وقهراً ، رحمة منه ونعمة بعد أخرى ، فيالها نعمة عظمت علواً وقدرأ ، ومنة منه عليها نقلت تأدية وشكراً ابتلاء من الله ونظراً وخبراً . وصلى الله على خير خلقه محمد وأئمة الهدى الموفية بالعهد نهياً وأمرأ . المؤمنة بقضائه حلواً ومرأ .

أما بعد : إمام المسلمين أنا وإياك ركاب سفينة تجرى بنا في بحر لحي عميق تلعب بها الرياح فتضطرب بها مرة وتسكن أخرى ، فاعتصم بالله وتوكل عليه واسأله السلامة لك ومن معك فيها بدعاء وتضرع وخوف ووجل ونية صادقة خالصة من دنس المعائب ودرن الذنوب ، فانا وإياك ناجون فيها أو غرقى بمن فيها ، فانا في أمر عظيم على خطر عظيم ، ولكنها قلوب غافلة وأفئدة موعاة غير واعية وانا وإياك عما قليل أموات لأننا أبناء أموات ، وما أخذنا هذا الأمر والسلطان إلا بوراثنة ممن كان قبلنا فأرجى ما يرجى به من دوام الملك وبقاء النعمة وتعاقب الرحمة وزوال النعمة في الرأفة والعدل والرحمة وصلاح النية والعفو ما وسع ذلك ، ولن تملك سادات الرجال وأهل الشرف إلا بلبين الجانب ولطف المقال وحسن الصحبة وجميل الفعال لقوله تعالى «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» . قاله الله أيها الإمام في إخوانك الذين بذلوا في نصحك مجهودهم وشرعوا لك فيه مورودهم في منطق لا يهاب ونصيحة صدرت لك من أتقياء أنقياء ألباب ، مؤمنين غير متهمين في فعل ولا مقال ، فهم لك عيون ناظرة وآذان سامعة وأفئدة ذكية طاهرة ، خلصت عندك من حب الدنيا يعرفهم العارف والجاهل ذوو ورع في دينهم إذا رأيتهم خلصتهم وحسبتهم بهائم راتمة ، وإذا اختبرتهم وجدتهم ملوكا أشداء في دينهم لا يخافون في الله لومة لائم ، خلصت وطهرت قلوبهم من الدنيا الدنية لا يطلبون بنصحتهم إياك من أجر إن أجرهم الأعلى رب العالمين ، فتدبر أيها الإمام ما كتبه إليك إن الناصح إذا جاء ناصحاً لله تعالى راغباً فيما عنده زاهداً فيما لديك لا يطلب في نصحه لك أجراً ولا يريد به نفراً وذكرآ

ورفعة فاعلم يقيناً انه من نصحائك في الله وأحبائك الذين يؤثرون على أنفسهم ويحبون بقاء عز الدولة بإنفاذ كلمة الحق لله وفي الله في رجاء ثواب الله وفي استبقاء ما عنده فهو خير وأبقى والملك لله يهبه من يشاء من عباده والأرض له يهبها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فإذا وردت لك هدية رحمك الله من نصائح أحد من إخوانك فاعرضها على عقلك فإنه حكم عدل فإن قبل ذلك من الناصح مع موافقة آثار المسلمين فاقبله فإنه من الله على لسان أخيك وامن جاءك به ، واقبل الحكمة ممن جاءك بها من الناس فإن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها من حبيب أو بغيض من عالم أو ضعيف ، فإنك أصبحت في أمر عظيم على خطر عظيم . فالله الله إمام المسلمين لا تهمل العيون واجعل على العيون عيوناً فإن لم تفعل فاعلم أنك مغبون ، ولا يكون العيون إلا الثقات الأمناء من الناس المأمونين على ما ائتمنوا عليه ، فابحث من كل بلد ملكت أمرها أمناءها وفضلها واجعلها عيوناً راعية في رعيته ، حافظة في ولايته ، فإن اتهمت العيون وارتاب قلبك في قولها فليكن همك في طلب البحث لتعرف حق ذلك من باطله وجمده من هزله ، ولا تهمل الأمر إهمالاً ولا تغفل من أهل البلد وجوهها وأهل الشرف منها ، وأظهر إليهم الجميل من مقالك كأنك مقصر في حالهم وإن كنت محسناً - تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل إنه فقد رجلاً فسأل عنه ثم قال اذهبوا بنا إليه لعله واجد علينا ولا عتاب عليه لأحد من الناس صلى الله عليه وسلم لأنه كان برأ رحيماً ولكن ذلك من تمام أخلاقه في قومه ورعيته صلى الله عليه وسلم فلين الجانب إلى الناس يجلب لك المودة وهو خير من النفقة في بعض الأحيان رحمك الله : وأما

تقربك لأشراف الناس يزيدك منهم مودة ونصرة ونصيحة ولطفك
للمسكين ورحمتك له ينفعك بدعائه لك واستغفار لما يجد من عفوك
وإحسانك إليه فلا بد من دعاء يسمع لك ويستجاب [أولاً] يسمع
ودعوة تدع الديار بلقما فلا تكاد ترجع ، والكلمة الشديدة تنفر منها
قلوب ذوى الألباب فان الناس أجناس متباينة فأنزل كلا منهم منزلته فان
الناس لهم منازل يتفاضلون بها : فمنهم إخوانك وهم نظراؤك وأمثالك
فأحب لهم ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فانهم يحبون
منك مثل ما تحبه منهم فانك تحتاج إليهم أكثر مما يحتاجون إليك ،
فألن لهم الجانب وكن لهم روحا وريحانا يكونوا لك إخوانا وأعوانا
وملجأ وردءاً وأنصاراً ، فانك سلطان بجيرانك وإخوانك لا بالمؤلفة من
حسادك وعدوانك فان النصيحة من العدو محال والمحال زوال ونصائح
إخوانك وأهل الشرف من جيرانك لا تستخرج إلا بصحة القريحة
منك وبالمودة منك لهم تكون نصائح الرجال ، ولا تصلح المودة الغريزية
إلا باصلاح النية ، فاذا صلحت النيات من باطن القلوب فى رضى الله علام
الغيوب فهنالك أمن الراعى واستراحت الرعايا ولو جربت ذلك لوجدت
مقالى صوابا إن شاء الله وما أنت كبير إلا بإخوانك وأهل الشرف من
بلدانك ، واقبل من إخوانك كلا منهم على قدر ضعفه وقوته وعظم همته
وتراخيها فإن أحوال الناس مختلفة لا متفقة ومؤلفة ، واقبل معذرتهم
وأقل عثرتهم واغفر زلتهم فإنك لا تجد الناجى من العيوب المبرأ من
الذنوب ، فإن طلبت صحبة من لا عيب فيه فاتك الدهر من غير صاحب
وأنت أحوج الناس إلى الأصحاب ولكن لكل هؤلاء مرتبة ومنزلة

فأنزل كل واحد منزلته إلا السفلة السعير^(١) فاعطه الشدة صراحاً وإن استغنيت عن أحد فلا تبعده كل الإبعاد وتفقد حاله واسأل عنه فانك لا بد أن تحتاج له يوماً ما يكون لك حبيباً غائباً حاضراً أخاً شقيقاً لا يرضى فيك المعائب وإن كان عنك غائباً وحاشاك من ذلك ، وإن استغنيت عن أحد أو اعتذر إليك أخوك إن طلبته في أمر ترى أنه من أهله فاعتذر إليك فاقبل معذرتة ولا تبعده فانه أعلم بنفسه منك والله أعلم به منك ومن نفسه ، وكل أمره إلى الله ولا تترك له من يؤذيه بمقاله ويكثر عليه من كلامه ووباله ، فان الكلام الشديد إذا صدر من ذويك ومن تقوى بسلطانك فذلك منك لا منه والكلمة الشديدة تنفر منها القلوب وتبدد منها الأجساد ، فقد وصى الله نبيه عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح للمؤمنين فقال: « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » وقال « وأمرهم شورى بينهم » وأمره بالمشورة وحثه عليها في غير موضع وهو أكثر الناس عقلاً وأرجحهم رأياً وأعلام درجة وأدبا صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك من لين الجانب وحسن التواضع للناس ، فلا ذل ولا أصغر من تواضع لله ، ولا ساد وارتفع من تكبر على الخلق ، وحاشاك حاشا كل مؤمن تقي من ذلك ، وأحق الناس وأولاهم بالصبر واحتمال الأذى المملوك لأهم على أمورهم قادرين، ولرقاب الرعية قاهرون ، قد ملكهم الله العباد لاملجأ لهم من الله إلا إليه ، وعندى لاشك أنك عالم بالذى كتبت به إليك

(١) لعل صوابه السعير بشد العين وهو. الشرير وفي الحديث لا يؤمن سعاره، أى

لأنك ملك من أبناء الملوك تسوسون الرعايا وتمارسون الأمور ، لأن الملوك ممتحنون بذلك فلا بد لهم ولا يخرج من ذلك : لأن الملوك أحوج الناس إلى سياسة الملك في رعاياهم وأنهم أكبر الناس عقولا ورأيا وسيرة وسياسة وأدبا من سائر الرعايا وهم أمناء الله في أرضه على خلقه ، ولكن المكاتبات بين المسلمين واجبة والنصائح لازمة تذكرة وتنبيهاً للملوك لما هي فيه من كثرة الأشغال من معاناة أمور الرعية ومقاساة ما تجده من كثرة المماندات والمخاصمات وخاصة في أهل هذا الزمان ، والله المستعان وهو حسبنا وكفى به حسيباً .

واعلم أيها الإمام أن الله سبحانه أحلك محلاً عالياً شامخاً وأنزلك منزلاً شريفاً باذخاً ، وملكك طائفة من ملكه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أنت أن يكون أحد أولى منك بالشكر له ، وأن الله سبحانه قد ألزم الوري طاعتك فلا يكن أحد أطوع لله منك ، وليس الشكر باللسان ولكن بالفعل والإحسان . قال الله تعالى « اعملوا آل داود شكراً » واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك لم تبق له ولم يبق لك ولو أنه بقي لمن قبلك لم يصل إليك إنما صار إليك بموت من كان قبلك فاجتهد رحمك الله في طلب راحة رعيتك بتعب نفسك وإغناء مسكينك بمخمصه بطنك لكي تتبع الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، واصبر على مرارة الصبر واحتمل زلة رعيتك ووقر كبيرها وارحم صغيرها وتفقد أمورها واسأل الله تعالى يمن عليك بتوفيقه لمرضاته والصبر على ما ابتلاك من أمور عافى غيرك منها يوصلك به ملكاً دائماً ونعيماً لا يزول في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عن أهلها فيها النصب

واللغوب ويجعلنا وإياك رفقاء إخواناً على سرر متقابلين . فيالها عن نعمة ما أجلها ، وغبطة ما أعظمها جلّت وعظمت عند من رزقها ونالها ، وصغرت وهانت على من وهبها ويالها كرامة من معطيها لمن أعطاهها وما ذلك على الله بعزير » للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» نخذ إمامي وإمام المسلمين بما بان لك عدله واترك عنك ما التبس عليك أو ظهر لك خطأ وهزله، فر بما اختلس الشيطان مني الصواب وألقى على لساني الزلل والارتباب وأنا أستغفر الله تعالى من كل قول وفعل وعمل قد خالفت فيه الحق ، ومن كل شيء كتبت في كتابي هذا وغيره أو أوردت فيه شيئاً مخالفاً فيه للمسلمين فأنا أستغفر الله من جميع ذلك ولاأردت بكتابي هذا وغيره العز لأحد أو عداوة وانتصاراً مني وإفخاراً أو علواً وتقرباً من السلطان أو استكباراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم وصحبه وتابعيه ورضى الله عن أئمة الهدى من لدن أكرم (الخلق) صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين . والسلام .

قد تمت سيرة الإمام سلطان بن سيف اليعربي رحمه الله وهذه قصيدة قالها واليه الشيخ محمد بن مسعود الصارمي صاحب عين السواد من أمطي قالها في مسيره إلى بته وذكر فتوحها :

كشفت عن تلك الوجوه الصباح	إذ زمت العيش لي — وم المراح
وجئت يمتلن يع — اتبنتي	يبسمن عن دركلون الأفاح
خامرهن الشك في عزمتي	فقلن جدُّ منك أم ذا مزاح
أسبلن دمعاً هاملاً هاطلاً	إذا صرت في عزم النوى بالتضاح

فشبهت اللؤلؤ والدر من
حتى إذا ما قررت ناقتي
أقبلن ككئيبات يودعني
صاغتني بكما بلا منطق
من عبرة حلت بنا لم نزل
كأنما النطق حرام على
قد شحت الألسن بالنطق إذ
حتى إذا ما صرت في مركبي
أدبرن عني خائبات الرجا
لا تجزعي يوم النوى خاتي
ولذة العيش وطيب الكرى
قلت يروح الجسم مني ولن
وكل حي غائب آيب
فصرت مسلوب الحشى ذأسى
يزيد مابى واشتياقى إذ
أو شتمته لاح لدى العين أو
أو (إن) تذكرت دياراً زهت
أو ساق لى يوماً نسيم الصبا

فيهن والنظم وعقد الوشاح
نحو رحيلي واحتملت السلاح
مددن إلى الألف السماح
منى ومنهن وكنا فصاح
ما بيننا تدرى الدموع السفاح
ألسنتنا والدمع منا مباح
جاد العيون بالدموع القراح^(١)
وحت بي حادى المطايا وصاح
وقلن ودعن القلوب القراح
لكل ليل مدلم صباح
إذ غبت عنا والجسوم صحاح
يروح فؤادى ، إليكن راح
لو طول الغيبة والانتزاح
من أجل هجر كل خود^(٢) رداح
ما بدا برق نحو سيم ولاح
فوق الأفانين إذا الورق صاح
من سمد الشأن وتلك البطاح
من روضها نشر الخزاما وفاح

(١) الأصل فى النسخة المطبوع منها : « جادت بالدموع العيون القراح » وهى على ما يرى من اختلاف الوزن والمعنى فليتأمل .
(٢) وفى الأصل : رود .

أطوى الفلا واليمّ في فيلق
حتى أتينا بتهمة بالضحي
فقلت لأصحابي لا تحزنوا
اصطنعوا الصبر ولا تجبنوا
تم اعلموا لا بد للمرء من
فامتلوا الأمر ولا قصرُوا
فاقتحموا السور كاسد الفلا
كأنما القتلى بأرجائها
كأنهم أعجاز نخيل بها
فانهزم الإفرنج من بته
بعداً لهم بعداً وسحقاً لهم
بعزم سلطان بن سيف الذي
وكفه من حمل صمصامه
يفر منه الجحفل المجري من

خوف عليه في الوغى من جناح^(١)

ملك ملوك الأرض إن قبلوا
واكف كفيه لسؤاله
يعطى بلا من يكرر ما
هو الإمام العدل في دينه
أدامه الله وشيئاً بليه ما
أقدامه نخر لهم وامتداح
قد نجلت منه الاكف السماح
أعطاه أهل الفقر بل بارتياح
وملكه لا يسع غير الصلاح
دام مدى الدهر المساو الصباح

(١) في هذين البيتين تصحيف وتركناها حسب الأصل .

باب امامة الامام بلعرب بن سلطان

ابن سيف بن مالك

بويغ له في اليوم الذي مات فيه أبوه سلطان بن سيف وهو يوم الجمعة في ستة عشر من شهر ذي القعدة سنة احدى وتسعين والى فقام بالحق وسار بالمدل ولم نزل الرعية له شاكرة ولفضله ذاكرة وكان جواداً كريماً وعمر جبرين وبني بها حصناً وانتقل من زوى اليها وفي أيامه جاء رجل من أهل الخلاف إلى الصير فامتحن الضعفاء بملاغز تغابى وكتب الامام في شأنه إلى قاضى المسلمين في زمانه مانصه : من الفقير إلى الله امام المسلمين بلعرب بن سلطان بن سيف إلى شيخنا الرضى الفقيه وولينا في الله محمد بن جمعة بن عبد الله بن عبيدان — رحمه الله — وبعد الخير والسلامة وصلت الينا كتب من عمالنا من الصير يذكرون فيها أن رجلاً من مخالفينا جاء إلى الصير من البحرين وصار له عند مخالفينا شأن عظيم وصار له مجلس يجتمع فيه مائة رجل فصاعداً من قومنا وصار متطاولاً تهاً بذيله على ديننا ونخراً ويفتى في الأثر نظماً ونثراً ويمتحن أصحابنا بمسائل وأرسلوا لنا مسألة في بعض امتحانه لهم وطالب جوابها والمسألة هي هذه شعراً :

وذى رجل كالزوج ديناً ومذهباً ومات ولم تلحق صداقاً ولا ارثاً

وايست بذى قتل ولاذى جراحة فانعم لنا بالكشف عن هذه الانثى

فان أنت لم تستطع ارد جوابنا فعلمك أضحى في الورى ثوبه رثاً

فارسل بها زوى وما شئت من قرى

فان تظفروا بالكشف عنها أكن ارتبا

فتفضل شيخنا برسم ما يرضى الله ويسر المسلمين ومرادنا نفي هذا الرجل من أرض عمان إلى آخر ما ذكر ، فأجابه الشيخ بما نصه : الجواب أن مثل هذه المسئلة يبطل صداق المرأة وميراثها من الزوج الميت من وجوه شتى مثال ذلك اذا تزوجت بزواج آخر عمداً ومعها زوج ولم يطلقها ولم يميت عنها ثم مات الزوج الثانى والزوج الاول فان هذه تحرم على الاول والثانى ولا يكون لها ميراث من الزوج الثانى ولا الاول لانها تصير بمنزلة الزانية لانه لا يحل فرج امرأة لزوجين وكذلك لا يكون لها صداق على الاول ولا الثانى وكذلك اذا زنت امرأة وهى مع زوج ثم مات عنها زوجها فقال بعض المسلمين ان ليس لها ميراث ولا صداق من الزوج وفيه قولان لها الصداق والميراث وأمثال هذه كثيرة .

قلت ولغز المخالف المذكور يدل على شدة جهله وسوء طويته من وجوه : أحدها ان اللغز والتغابى ليس من أمر الصالحين وانما هى حالة المتعنتين والمتعنت يحرم جوابه لسوء قصده وخبث طويته ، وثانيها ان عدم فهم الملعزة لا يدل على قلة العلم فكم من عالم في كثير من الفنون سليم الصدر قليل الغوائل غافل عما يضره المتعنتون في سرائرهم ساه عما يقصده علماء السوء من المقاصد الخبيثة وسهوء عن الحالين من أحسن أحواله التى يرجى اه بها من الله الزلفى ، وثالثها تبججه بلغزته وتعاضمه بتغيبته قبل ان يعرف ما عند غيره في بيانها أو العجز عن كشفها ، ورابعها جهله بوضع

العربية فانه قد وضع الالفاظ في نظمه هذا على غير ما وضعت له فألحن في ذلك وجعل خطاب المذكر للمؤنث وذلك في قوله وذى رجل وقوله وليست بذى قتل فان ذى في البيتين بمعنى صاحب وهى بهذا اللفظ لاتطلق الاعلى المذكر يقال ذو مال وذو ابل لصاحب ذلك فان أرادوا المؤنث قالوا ذات مال وذات ابل فكان على هذا المتعمت ان يقول وذات رجل وليست بذات قتل ، ثم ان قوله في آخر أبياته أكن ارثا لا معنى له فان أرثى بمن أرشد رثاء والرثاء ان تذكر الميت بأحسن أفعاله وأنت تدرى انه لا معنى لهذا في هذا الموضع ولعله أراد أكن أشد رثاثة في العلم منكم ان حلتم لغزى وهذا المعنى هو الظاهر من سياقه وعليه فقد ألحن لان هذا المعنى يقال فيه ارث بتشديد المثناة لا ارثا بتخفيفها ، خامسها جهله باحكام الشريعة وذلك في قوله ولا ذى جراحة فان الجراحة لا تبطل الصداق ولا الميراث وفيه من اللحن في اطلاق ذى على المؤنث ماى الذى قبله فظهر جهله وقبح حالته ، وجواب القاضى رحمه الله شامل للمغزته ولغيرها فكان حاله تقول ان يا جاهل قد عرفت في هذا وجهاً واحداً فانا نعرف في ذلك وجوهاً كثيرة فذكر الوجوه المتقدمة ثم قال بعد ذلك في جوابه للإمام وأنا ان شاء الله تعالى أكتب شيئاً من التغابى في مثل هذا وأنا أكتب المسئلة وجوابها وأنتم اكتبوا المسئلة بلاجواب وهاكم المسئلة : ما تقول في رجل نظر إلى امرأة وقت الغداء وهى عليه حرام ونظر إليها وقت الظهر وهى له حلال ونظر إليها وقت العصر وهى عليه حرام ونظر إليها وقت العشاء وهى له حلال ونظر إليها وقت الضحى وهى عليه حرام ولما كان وقت الظهر نظر إليها وهى له حلال ثم نظر إليها وقت العشاء وهى عليه

حرام ، وجوابها هذا رجل نظر إلى أمة قوم وقت الغداة وهي عليه حرام لأنها ليست بملكه ، ثم لما كان وقت الظهر اشتراها ونظر إليها وهي له حلال ، ثم لما كان وقت العصر أعتقها فحرمت عليه لأنها ليست له ، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له ، فلما كان العشاء ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان الصبح أعتق عنها رقبة فحلت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الإسلام فحرمت عليه ، فلما كان العشاء أسلم فتأب فحلت له . أخرى في رجل أدخل بيته ضيفاً فخرج رب البيت ليطلب لضيفه طعاماً وفي وقت خروجه كان قد جامع زوجته حلالاً وخرج حين فرغ من جماعه إياها فلما رجع إلى منزله بالطعام وقبل أن يغتسل من جنابته ليطعم ضيفه فمنعه ضيفه الدخول وقال لقد تزوجت بزوجتك حلالاً بكتاب الله وسنة رسوله وقد حرمت عليك . وجوابها أن رجلاه امرأة وهي حامل فقال لها إن ولدت أنثى فأنت طالق فلما ذهب الزوج ليطلب طعاماً لضيفه ولدت الزوجة جارية فانطلقت ثم ولدت بعد ذلك غلاماً فحينئذ ملكت نفسها وانقضت عدتها فخطبها الضيف إلى وليها فزوجه إياها وملكها بعقدة النكاح بلا وطء وأتى الزوج وقد فاتته وتزوجت بالتزويج الحلال . أخرى : وكذلك رجل حلف بطلاق زوجته إن دخلت عليها أمها وزوجته حامل قد قرب ميلادها فخرج ليشتري لها شيئاً من السوق فدخلت عيها أمها قبل أن تلد بساعة فطلقت منه ثم ولدت وانقضت عدتها وحلت للزوج فتزوجت بعد ما وضعت حملها فجاء زوجها فوجد عندها زوجها ومنعه من الدخول عليها لأنها قد حرمت عليه . أخرى : رجل يدعى على امرأة أنها زوجته وأنكرته الزوجة بين يدي الحاكم وأقام الرجل بشاهدي عدل فشهدا أنها زوجته فلما أراد الحاكم أن

يقضي عليها جاء رجل آخر فقال هي زوجتي أنا وأقام شاهدي عدل
فأنكرت المرأة التزويج وأقامت شاهدي عدل على أن الرجلين المدعين
لها التزويج أنهما عبدان لها ما يفعل الحاكم؟ . جوابها أن رجلا كانت له
ابنة وله عبد زوج ابنته بعبده ثم ان العبد غاب فاشتريته زوجته من أبيها
فانفسخ النكاح إذ صار الزوج عبدها لما انقضت عدتها زوجها أبوها
بعبده له آخر ثم مات الأب فورثت هي زوجها فصار مملوكا لها وانفسخ
النكاح بالملك فصحت بينة وحكم الحاكم عليهما بالرق فكان القول قولها.

أخرى رجل : خرج في سفره وهو صحيح سالم وحضر صلاة الظهر
وهو في السفر وطلب الماء فلم يجد الماء تيمم وصلى ثم نظر قدامه ففسدت
عليه صلاته ونظر عن يمينه فخرمت عليه امرأته ثم نظر يساره فوجبت
عليه الزكاة ثم نظر فوقه فوجب عليه الصيام ثلاثين يوماً ووجب عليه الدين
ثم نظر خلفه فوجب عليه القتل وجوابها . أما تيممه فإنه تيمم وقدامه الماء^(١)
ثم نظر قدامه فنظر الماء وهو قريب منه وقد فسد تيممه وصلاته ووجب
عليه الطهور بالماء والصلاة ، وأما نظره عن يمينه فإنه كان قد تزوج امرأة
مفقود فنظر عن يمينه فإذا بالمفقود قد جاء ، وأما نظره عن يساره فإنه لما
نظر رأى مالا له ورثه من سنين ولم يكن أخرج زكاته فوجبت عليه
الزكاة وأما نظره إلى خلفه فإنه كان قد قتل رجلا والمقتول له ولد صغير فبلغ الصبي

(١) لعل الصواب وهو فاقد للماء أو تيمم وقدامه الماء وهو لا يعلم ، وقوله فإذا
بالمفقود قد جاء أى بعد تمام أجل الفقد وتطبيق زوجته وتزويجها أى فاخترت زوجته إذ
لو اختار أقل الصداقين لبقيت الزوجة بعصمة الثاني . والله أعلم . أبو اسحاق .

فنظر إليه الرجل وهو يريد قتله بأبيه لأنه قد وجب عليه القتل ، وأما نظره إلى فوقه فانه نظر إلى الهلال فلما رآه حل عليه الدين ، ووجب عليه الصيام لأنه شهر رمضان ، ثلاثون يوما .

أخرى : خمسة نفر زنوا بامرأة واحدة فوجب على واحد منهم القتل ووجب على الثاني منهم الرجم ووجب على الثالث الحد ووجب على الرابع نصف الحد ولم يجب على الخامس شيء ، وجوابها أما الذي وجب عليه القتل فكانت امرأة ذات محرم منه ، وأما الذي وجب عليه الرجم فهو محصن ، وأما الذي وجب عليه الحد فهو غير محصن وهو بكر ، وأما الذي وجب عليه نصف الحد فهو مملوك وأما الذي لم يجب عليه شيء فهو صبي غير بالغ . أخرى رجل : هو وامرأته كانا راكبين على جمل فنزلت المرأة فحرمت على زوجها ثم نزل الزوج فحلت له ، وجوابها أنهما كانا يهوديين فحين نزلت المرأة أسلمت وشهدت شهادة الحق فحرمت على اليهودي ثم نزل هو بالحال ولما رآها أسلمت فأسلم فحلت له والله أعلم .

وفي زمانه رضى الله عنه قدم من المغرب إلى عمان رجل من أهل جربة يقال له الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربي الأباضى المغربى فسر بما رأى من أحوال عمان وظهور العدل فيها واحياء السنن وإماتة البدع ولسكنه رأى مجالس العلم فيها قليلة فكتب للامام نصيحة يحثه فيها أن يحث الرعية على طلب العلم وتقويم المجالس وعمارة المدارس قال فيها : مولانا أصلح الله أحوالك وسدد أقوالك وتقبل منك أفعالك وجعل إلى السعادة مرجعك ومآلك فأقول وأنا العبد الفقير انى لما من الله تعالى على بالوصول إلى هذه البقعة المباركة رأيت بحمد الله فى مسكد وفى سمائل وفى نزوى وفى هذا المقام الشريف من الأحكام الشرعية والسير الأباضية والسنن المحمدية ما انشرح به الصدر وامتلأ

بمشاهدته سروراً والله الحمد على توفيقه فتأملت أحوال عمان فوجدتها
عجيبة الشأن حسنة الشكل كاملة الأوصاف سوى أن مجالس الذكر
ومدارس العلم فيها قليلة والعلم سيدي كما لا يخفى عليك يزداد بالاستعمال
وينقص بالاهمال ونقصان العلم ضرر في الدين عظيم وما كان على
النقصان يوشك زواله وأخبرك يا نعم السيد ببعض أحوال أهل جربة
من أهل هذه الدعوة في زماننا هذا مع ضعفهم وقلتهم وسوء حالهم
ومعهم من مدارس العلم ما يزيد على العشرين كل يعلم على قدر علمه ،
منهم من اقتصر على النحو واللغة وعلم الديانات ومنهم من تبحر
في النحو واللغة والصرف والمعاني والبيان والمنطق والتوحيد وأصول
الدين والفقهاء والحساب والفروض الشرعية والعروض الشعرية أعنى
الأوزان وما يتعلق بها من الزحاف وغيره وهم من عاداتهم يجتمعون
في كل يوم الأحد ويوم الثلاثاء على شيخ المشايخ وهو أبو زيد بن
أحمد بن أبي ستة فيقرأون عليه ويلقون في المجلس المشكلات والسؤالات
فيتحرى فيها الصواب ويزيل عنها الالتباس وهم في هذه الحالة يتأسفون
غاية التأسف على اندراس العلم ونقصانه لعلمهم أن المذهب الحقيقي
الحنيفي الرستمي يزداد بازدياد العلم وينقص بنقصانه ويذهب بذهابه وقد
كان هذا المذهب بأرض المغرب في زمان الأئمة الرستمية رحمهم الله
مسيرة ثلاثة أشهر وأزيد كلها عمارة محشوة بالزهاد والعباد والعلماء
لا يحصى عددهم ولا يطاق عتادهم فلما زالت عنهم الإمامة لأمر أراد الله
إبرامه ذهبت الأخيار وبقيت الأشرار وتهاونوا في العلم والتعليم ومالوا
إلى الدنيا فركبهم الجهل فطبع على قلوبهم بسبب ذنوبهم وأتتهم العلماء
المخالفون بالحجج الباطلة فتخيلوا السراب ماء لطموس البصيرة وتمسكت
من أزمة قلوبهم فسلمكوا بهم طريقهم الضالة كما سلك الذود بين قائد

وسائق فارتدوا على أدبارهم والعياذ بالله في أزمنة متقاربة حتى لم يبق منهم إلا من ساقه التوفيق واعتصم بالله واستتر بالعلم وهم أهل البقاع الثلاثة: بعض أهل نفوسة وبعض أهل جربة وبنو مصعب ليس إلا سنة الله التي قد خلت من قبل سلكوا بها وتمسكوا ، فإذا كان الأمر هكذا فينبغي لإمام المسلمين أيده الله بالتوفيق وأنار له معالم التحقيق إن يجعل في كل حصن من حصون مملكته المجلل عدله المزيد فضله معلماً يعلم الناس أمر دينهم ويزهدهم في الدنيا الفانية الخسيسة ويرغبهم في الآخرة الباقية النفيسة ويتيسر هذا إن شاء الله تعالى بالظفر في أحوال من له نظر ومعرفة ولو أدنى معرفة وذوق في العلم إن ظهرت منه أسباب الخير بالنصيحة لنفسه أولاً ولعباد الله والشفقة عليهم والرغبة في الدين ، حينئذ يتوجه الأمر المطاع من إمام المسلمين بأن يتصدى للتعليم بالغداة والعشي ولا يحقر مامعه من العلم وان قل إن كانت نيته خالصة بأن ينمو ويزيد ويفيد ويستفيد ببركة العلم وفضله حيث كان خالصاً لله عز وجل لعل غافلاً ينتبه أو نائماً يتيقظ أو ناسياً يتذكر أو جاهلاً يتبصر ، وتكون سنة حسنة في الإسلام ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وهو إمام المسلمين وأعوانه في الدين لا يغير ولا ينقص من أجور المتعلمين شيء الله الله ثم الله الله وحاشا لمثلك أن يتغافل ويتهاون في مثل هذا وأنت بتوفيق الله وفضله خليفته في أرضه ، والعلم أصول دين الله وفروعه ولوازم العدل المأمور به المفروض أمثاله وشروعه ، ولكن لكل شيء سبب ولكل أجل كتاب وإذا أراد الله إظهار أمر يرضيه في الدين أجراه على يد أحد من خلقه ممن يختصه لمزيد فضله « ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » كظهور العدل وعلو كلمة الحق وذهاب ذوى الشقاق وانطماس

معالم الشرك والنفاق على يد المرحوم الشيخ خميس بن سعيد الشقصي
الرستاقى والامامين الرضيين رحمة الله عليهم أجمعين، وانت الرضى الثالث
بحمد الله وقد ترى ما ابتلى الناس به من الميل إلى الدنيا والزهد فى الآخرة
مع شدة افتقارهم إليها . سيدى ومولاي انظر بعين البصيرة والعقل
الراجح الثاقب فى وصل ما أمر الله به ان يوصل بينه وبين عباده الذين
استخلفك عليهم رافة ورحمة بهم ورجاء لرضوان الله تعالى، ولا تخلو
أرض الله تعالى من قائم فيها بحق وعلم فى خلقه فى كل وقت من
الأوقات وهو الحجة على خلقه كما قال الله « ولكل قوم هاد، يانعم
السيد ويا جهد المكارم إذا نظرت وتأملت فى هذا الأمر العجيب
الشأن واطمأنت نفسك إليه وهممت ببذل المجهود فى تجديد معاهده
وتشييد قواعده حباً لله ورجاء لثوابه، فشوا به أجل وأعظم للمسبب
والمسبب فيه من ثواب المجاهدين والمرابطين والمصلين والصائمين
والحاجين والمعتمرين ما خلا الفرائض من ذلك كله، وكان كل ذلك
فضلاً ونفلاً فأراني منك علامة تسرنى كقول إمام المسلمين : نعم ابتغيت
رضوان الله تعالى فان إحياء هذه الطريقة أحب إلى مما طلعت عليه
الشمس وغربت وأحب إلى الله ورسوله وإلى من ناصح نفسه من
المسلمين، إذ جميع حطام الدنيا الفانية لا يعتبر فى جانب السعادة الأبدية
ولا تزن ذرة منه، وكتبته بىدى والله على ما أظهر أوضر شهيد وهذا
سر من العبد الغريب إلى المولى الحبيب والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته ورضوانه يتسلسل يتسلسل انفس اهل الجنة، واما اهل جربة وإن
كانوا متمسكين بالعلم جهدهم فتديروهم محتل وعقد عم منحل وأمرهم مشكل
لفقدهم الإمام العدل وقرناه أهل الفضل . انتهى كلام عمر الجربى وهو
كلام ناصح ماهر، وقد قيل إن النصيحة إذا خرجت من الجنان وقعت

فى الجنان وإن خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ، فأثرت نصيحته
الأثر الجميل وتلقاها الإمام بالقبول والتبجيل فقام وشمر وحث الرعية
على طلب العلم وأمر بالتعليم فى ممالكة وجمع جملة من المتعلمين فى الحصن
الذى جدد بناءه وهو « جبرين » فقيل إنه كان يخدمهم هنالك بنفسه وكان
يعطهم بنفسه وكان يتحرى لهم الأطفمة المقوية للفهام والذكاء ، فىقال
إنه خرج من هذه المدرسة التى فى حصن جبرين خمسوى عالماً كلهم أهل
اجتهاد وأهل إفتاء بالرأى^(١) . وقد أكثر الناس فى الثناء على هذا الإمام
ورأيت فى مدحه ديواناً حافلاً محتويماً على قصائد طنانة بلغت من فنون
البلاغة مبلغاً عظيماً وعلى هوامشها تنبيهات على أنواع البديع فى الأبيات ،
وقد غاب عنى هذا الديوان فلم أره منذ زمان وإنما رأيت أيام الصغر
وأحفظ من أوائل بعض قصائده أبياتاً يسيرة قال بعضهم فى أول
قصيدة لامية :

لمى بوادى الدوح دور وأطلال سقتها غواد من ملك وآصال
وهمهم فى أرجائها الرعد برهة إذا ما انقضى وبل تعرض هطال
وقال آخر فى أول قصيدة لامية أيضاً :

زم المطى فعقد الدمع محلول

وقال آخر :

الله أكبر جاء الفتح والظفر وأشرفت فى الدياجى الأنجم الزهر
وأصبحت سبل الإسلام واضحة أعلامها واستقام السمع والبصر
وغير ما أشرت إليه كثير وكلها مدائح فى الإمام ، والخلق شهود الله
فى أرضه فمن أثنوا عليه خيراً كان أهلاً للخير ومن أثنوا عليه شراً كان

(١) قوله الرأى أراد القياس وهذه عبارة الأوائىل رحمهم الله .

أهلاً للشر والله يؤتى فضله من يشاء . وحيث كان شاعر ذلك الزمان راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي النزوي العماني من جملة من تعلم في ظل هذا الإمام وصار من جملة من مدحه وأثنى عليه أحبينا أن نذكر ترجمته ها هنا للاطلاع عليها وإن فاتنا جل تراجم المعاصرين .

ذكر ترجمة الحبسي الشاعر

وهو راشد بن خميس وكان قد ولد بالقرية المسماة « عين بني صارخ » من قرى الظاهرة من عمان في السنة التاسعة والثمانين بعد الألف من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فرمد وعمى وهو ابن ستة أشهر ثم انتقل منها وهو ابن سبع سنين وقد مات أبواه فنزل بقرية يبرين^(١) مسكن الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك ابن بلعرب اليعربي العماني فرباه بها وأحسن إليه غاية الإحسان فتعلم في ظله القرآن والنحو والصرف واللغة وما شاء الله من العلوم المفيدة وخرج شاعراً مجيداً أريباً حاذقاً أديباً فلما مات هذا الإمام انتقل منها إلى أرض الحزم من ناحية الرستاق من عمان مسكن أخيه السيد الإمام سيف بن سلطان المالك بعده فأقام بها معه في أجمل حال إلى أن مات ، فلما مات ارتحل إلى نزوى عمان واتخذها وطناً دون الأوطان ، وقد أثبت له في هذه المقدمة الشريفة هذه القصيدة الظريفة المخبرة عن أنسابه وملاحب آدابه ، ولعله أراد بها استشهاداً عما روى عنه للإجماع عن نسبه وموطنه من البلاد فإنه قد نبه بها عن نباهته وراقم بها عن وجه درايته بقوله :

وقائل قال بمن أنت قلت له سلتني أخبرك عن أصلي وعن حالي

(١) اعلم أن يبرين هو نفس جبرين فيما يتبادر من كلام المؤلف رحمه الله وغيره .

ولا يشكل تسمية الحصن بالقرية والله أعلم مصححه

فغافر خال أمي وابن عم أبي حبس الرضى وبنو حساس أخوالى
وصارم إن سألتهم جد عم أبي فهذه معرفات العم والخالى
والعين مسقط رأسى وهى دارهم فيها محلى وفيها قدرى العالى
وقد رحلت إلى يبرين من بلدى حتى بلغت إرادانى وآمالى
وقال أيضاً :

يا جاهلا هاك خبرى إتنى رجل أصون عرضى ولم أبخل بموجودى
وإتنى من صنديد ججاجحة تفوق فضلا على جمع الصناديد
أبى من الأزد والأم الكريمة من بكر بن وائل خير السادة الصييد
قال كاتب الترجمة وهو سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبد الله
ابن بلعرب ابن عبد الله بن بلعرب الذى هو من بنى محمد بن سليمان العقرى
النزوى العمانى قد بدألى التفات إلى قوله :

أبى من الأزد والأم الكريمة من بكر بن وائل خير السادة الصييد
فانما بين الأزد وحبس القبييلة فى النسب بون بعيد ، فإن بنى حبس
وبنى المسيب تتصل سلسلة نسبهم إلى شهاب بن النويرة التغلبى الشيبانى على
صحة عمود النسب وهو جدهم وشهاب بن النويرة المذكور هو الذى
شمر عن ساق الحرب يوم أورى كسرى ابنى تغلب نار الطعن والضرب
بإجارتهم للخرقاء وامتناعها بهم عنه فكانت عن الاقتراب هى أبعد عنه
من العنقاء ، ثم إن الأزد هم أنف اليمن وعينها والتغلبيون هم روح جسم
بنى نزار فلم أدر بسبب علة الغلط الذى وقع له هنا بقوله هذا وعسى
(أنه) غلب عليه نسب الأم إلى حبس فقيل له الحبسى بسببها أو حبس
اسم رجل من أجداده لا يتصل تسلسله إلى حبس القبييلة وهذا الأول
يبعد الاعتذار به على ما ذكر فى قصيدته والله أعلم بالصواب .

قال وأما أنا بما علمته أنه هو بالنسبة بحبس إلى شهاب بن النويرة

التغلبى الشيباني ونسبة بنى المسيب كذلك تتصل إليه ، قال وقد أثبتت ترجمته في كتابي الذي سميته **المؤتمن** في ذكر مناقب نزار واليمن **﴿** ونسبته إلى شهاب بن النويرة على ما اشتهر عندي . ومن المعلوم أن بنى حبس لم تك ميلولتهم إلى اليمن إلا بالخلف وقد بقيت إخوتهم بنو المسيب على حالهم لم يميلوا إلى زماننا هذا إلى اليمن بخلف بل هم نزاریون مع الخاصة والعامة بلا خلف وعن المحال أن يحيل أصل أصلاً بالتلفيق فيكون هو هو وما هو هو على التحقيق ، فإن المخالفة لا تكون إلا بمشاركة الدم بالدم في الطلب والإغاثة وقد ترث بعلم ولا تدخل على الأصل علة الرثابة . قلت : كونه من غير حبس القبيلة المشهورة بعيد لأنه قد ذكرهم في بعض القصائد وذكر مساكنهم من الروضة والمضيبي وذكر أنهم قومه ولعل الرجل لم يعرف أصل نسبه ورأى عمان قد غلب عليها قبائل الأزدي فظن قومه منهم لاختفاء الأصل عنده كما يقع لكثير من الناس عند جهلهم بأصولهم والله اعلم بالواقع . وللحسبي هذا مدائح في الإمام بلعرب وله فيه رثاء ولا نذكرهما اختصاراً ، وكذلك له مدائح في غيره من أئمة اليعاربة من بعد هذا الإمام ، وله مدائح في محمد بن ناصر الغافري وفي بعض قضاة الأئمة وولاتهم وله مدائح نبوية على عدد حروف المعجم صدر بها ديوانه وقد تكفل ديوانه بذكر جميع ما ذكرنا وفيه من فنون الشعر شيء كثير ومن كلامه في مدح الإمام بلعرب قوله في قصيدة نونية :

وقائل من ملوك الأرض خائفة	منه وتحمده في السر والعلن
ومن إذا سار في جيش تضيق به	وسع البلاد ووسع السهل والقن
جيش يبيد العدى في البر يعقبه	جيش يبيد أهيل الشرك في السفن
ومن إذا قال قولا أحسنه	أوجاد أخجل جود العارض الهتن

ومن إذا ثار في الهيجاء يفعل في أعدائه فعلة الجزار في البدن
ومن إذا فاخر الاشراف في ملاء شاعت مفاخره في الشام واليمن
هذا الكريم الذي تشفيك رؤيته من كل داء ومن هم ومن حزن
بلعرب نجل سلطان الذي حسنت أخلاقه وهو رب المنظر الحسن

(لطيفة) ذكرها شارح ديوان الحبسى قال جن بقرية السر من
عمان رجل يسمى راجحاً بامرأة عشقها تسمى بشارة بنت سنان ، فهبت
راجح بجهاها وكان صحيح العقل فبقى حائراً متبلاً من شدة حبها وحسنها
فلم يدركها ، فتعلق قلبه بحبها وهام بها حتى لم يذكر سواها فخرج بسبب
ذلك مجنوناً تضرب به الأمثال وتكثر في أخباره الأقوال ، ومن صفة
بعض ذلك أنه صار لا يرى امرأة غريبة في البلد إلا وتبعها وجعل يحوم
دونها كالكلب الجائع دون الفريسة لظنه أنها هي ، وصار يهذى بها
ويزعم أن الملك برا وبجرا لها ، وصار يسأله عنها كل متهم ومازح
ويقول له هل من خبر عن بشارة يا راجح ؟ فيقول لهم نعم ، قد فتحت
البلد الفلاني والحصن الفلاني وقد غارت على العجم والإفرنج وغيرهم
وسلبتهم ملكهم فيقولون له هذا الملك لك أم لها ؟ فيقول هو لى لا لها
وإنما هي تأخذها لى بجيوشها العظام وأنا مستريح ، فيقولون له مع ذلك
وكيف حال إمام المسلمين وعسكره مع هذه الحال ؟ فيقول هو وزير
من وزراءها وأنا الذى عقدت عليه الوزارة لها ، وعسكره هم عسكرها
وكان كثير الضحك ولا يطيش كسائر المجانين ولا يؤذى أحداً بل إنه
مشتغل بما هو به من هذه الحادثة ويدور فى سكك البلاد ليلاً ونهاراً ،
وكان لا يمر على الشاعر الحبسى إلا ويعاتبه ويسأله الوصول إليه وجمع
الشملى بينه وبينها فيجيبه بما يطيب نفسه من الكلام الحسن اللطيف إلى
أن أشار عليه بعض المتهمين عليه المستهزئين به أن يسأل هذا الشاعر

نظم أبيات فيها فسأله ذلك فأجابه فنظم فيها هذه الأبيات وقرأها عليه
بأحسن الاسجاع ففرح من ذلك فرحاً عظيماً حتى كاد أن يطير من شدة
الفرح بها فتعلمها منه وحفظها وصار ينشدها في سكك البلد وأسواقها
ليلاً ونهاراً ويصفق بيديه ويرقص برجليه والأبيات هي هذه من
البحر الخفيف :

سمحت لي الدنيا بينت سنان ذات قد عيس كالخيزران
ذات فرع وذات وجه منير وخذود محمرة الأوجان
لم نجد في زماننا من يباهى هذه الخرد في نواحي عمان
سلبت راجحاً بطرف كحيل فهو منه مغير العقل ضان
تركته متم العقل لكن صيرت عقله إلى الققصان

ذكر حصن جبرين الذي بناه هذا الإمام

وكان من أعاجيب الزمان وقد بناه من صلب ماله على ما قيل لأن
الأموال قد كثرت في أيامه وأيام والده قبله حتى كادت أن تفيض
البيضاء والصفراء من أيدي الناس ، وذلك لبركة العدل وفضل الجهاد
ولذلك أقيمت الأئمة إلى تشييد الحصون والمعاقل وإجراء الأنهار
وغرس الأشجار وإحياء المواتات ليعيش فيها الناس بأرغد عيش واتم
نعمة ، فبنى والده قلعة نزوى وهي الشهباء وبنى هو حصن جبرين وبنى
ابن أخيه حصن الحزم والثلاثة من أعاجيب الزمان حتى قيل إن حصن
جبرين لا يستطيع أحد أن يصفه بجميع ما فيه ولو فكر فيه شهراً كاملاً
بأمعان النظر التام ، وهو قصر عال يجري في بطنه نهر جار وله حيطان
شاهقة ومن أعاجيبه أنه لو دخله داخل من غير أهله لم يقدر أن يبلغ
أعلاه إلا بدليل من أهله . وكان الشيخ علي بن ناصر الريامي رآه من
ظاهره وباطنه وقال إن نظرت إلى سقفه قلت إنها خير من صنعة جدره

وإن رأيت جدره قلت ها هنا الصنائع العجيبة ، قال وفيه من النقوشات
والتصاوير ما لا يحصى ولا يوصف .

قلت ولعله أراد بالتصاوير تصاوير الأشجار والجبال والرمال
والبلدان والبحور وما لا روح فيه فإن تصوير ذى الروح حرام لا يأمر
به الإمام ولا يرضاه . قال وفيه الأشعار مكتوبة على جدره وعلى الدرج
والعرش والغرف والحيطان ، قال ومكتوب فيه آيات من القرآن .
قلت لا ينبغي أن تكتب آيات القرآن في الجدر بل يجب أن ينزه القرآن
ويعظم ، ولعلمهم إنما صنعوا ذلك لقصد التبرك بآيات القرآن ، ولا يعجبني
أن يكتب القرآن في الجدر ولا في السقوف . قال ويرى في بطن
مشاكيه وفي بطن الجدر سفتج أى نفق يدور في الجدار ما دار الحصن .
وقال فيه الشيخ المذكور شعراً :

الله أكبر من قصر علا وسما وحصن عز بيبين العلا رسما
أكرم به انه الصرح الذى ثبتت أصـوله وله فرع سما لسما
هو العماد على ذات العماد علا مجدأ ونخراً وما أبغى به إرما
تصاغرت عظمة الشهباء لعظمته فما لها بعد رؤياه ترى عظما
لو كانت الجنة الفردوس يشبهها شىء لقلنا هو الشبه الذى عظما
لم يخش ساكنه فى طول مدته غير الإله ولا عرب ولا عجا
لو سالم الموت ذا عز ومرتبة لكان ساكنه منه لقد سلما
وقد بناه الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف وقد قيل إن بنيانه قام
بثلاثة وعشرين كرا ، وقيل إنه خزن فيه مثلهن ثلاثة وعشرين كرا
وبقرب الخزين هذه الآيات :

أنعبت نفسى فى عمارة منزلى زخرفته وجعلته لى مسكنا
حتى وقفتم على القبور فقال لى عقلى ستنقل من هناك إلى هنا

وسألت عن البيتين فقيل لى أنهما كتباً على القبر وعلى غير موضع من القصر . وكان الإمام قد قبر فى قصره هذا قرب الهر ولعلمهم أكثروا من كتابة البيتين لقصد إخفاء الخزين . ونظر بعض المتأخرين فى صحة هذا الخبر بأنه لا يصح للمؤمن أن يخفى ماله على وارثه ، قلت وأيضاً فى خزنه تضبيع لذكاته لأن الزكاة فى النقدين الذهب والفضة واجبة كل عام إذا بلغا النصاب ويمكن أن يجاب عن النظر الأول بأنه خزنه عدة للحوادث وأنه أخبر به الوارث فامتنعوا عنه من وقت إلى وقت وطالت به الأيام فاخفى على من جاء بعدهم من غير قصد للاخفاء ، وعن الثانى بأنه يمكن الخزين من الجواهر التى ليس فيها زكاة فإن الزكاة فى المعادن خاصة بالنقدين .

وذكر الكتاب حلى البحر ولم يقل فيه زكاة تجرى ثم أحاط بالإمام فى قصره هذا أخوه سيف بن سلطان ومات الإمام فى سنة أربع ومائة وألف فصار حصن يبرين عبرة للمعتبرين . وقال المحروقى :

كفى عظة للعارفين وعبرة بما فعلت أيدي الليالى ببيرينا
ثم رجع إليه ولده يعرب وأصلح الحصن والفلج بعد الحرب
والتهريب ووقف عليه اصلاحه بأربعين الفاً ، وقد خلت تلك الأمم
وافترق آل يعرب واستنصر بعضهم بخلف بن مبارك بالقصير وبعضهم
بمحمد بن ناصر الغافرى وأخذ محمد حصن يبرين بالعقد فى كل شهر
بثلاثمائة محمدية ليكون له مأوى وحصناً عن عدوه ، وقتل محمد بن
ناصر فى حلة صحار ودفن فيها وقبض ولده ناصر بن محمد يبرين ثم
استأسر آل يعرب ناصر بن محمد عند باب بادية فى بلد بهلا فخلص لهم
حصن يبرين ثم أخذه بجاد بن سالم الغافرى وقبضه ناصر بن محمد . ثم

أن بلعرب بن حمير بن سلطان وهو ابن أخى الإمام البانى استأسر بجاد بن سالم وسجنه وقتله فى حصن نزوى وكان الحصن لآل يعرب حتى أخذ منهم سنة ست وثلاثين ومائة والى بعد الهجرة ، ثم رجع إليهم سنة سبع وخمسين ومائتين وألف ، وخان لهم عبد لراشد بن حميد الغافرى وبقى الخادم عند آل يعرب ستة أشهر وخذع العسكر وأغلق الباب بنفسه وضرهم بالبندوق ضرباً فاجتمعوا عليه وحصروه وقتل منهم سبعة رجال ثم أحرقوا الباب وحملوا عليه فلما أحس بالهلاك رمى بنار فى فيول الباروت فاشتعل القصر كله ناراً فاحترق من احترق فعاد الحصن لآل يعرب وقال بعضهم شعراً :

مما يدبر ربنا من أمره سبحانه فى أرضه وسماؤه
رد الملوك إلى محل قرارهم مستبشرين بفضله وعطائه

ثم حرب راشد بن حميد الغافرى محمد بن سليمان اليعربى وحاصره فيه ثلاثة أسابيع فخرج محمد من الحصن يوم السابع من شهر شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين وألف ، ثم حرب راشد بهلا وفيها آل يعرب فأخرجهم منها وبقيت بهلا وجبرين فى أيدي أولاد راشد إلى أن أخذ الإمام عزان بن قيس بهلا وولى عليها الشيخ ماجد بن خميس العبرى ثم أحاط به الغافرية وفيهم برغش بن حميد بن راشد الغافرى حين نكت أهل عمان على الإمام وأخذوه منه بعد قتل الإمام وبقية هى ويبرين فى أيدي أولاد راشد بن حميد بن ناصر بن محمد بن ناصر الغافرى إلى هذه الغاية وهى آخر سنة ثلاثين وثلاث مائة وألف . هذا ما كان من خبر يبرين وتقلب الأحوال عليه والله الملك الدائم .

قال ذو الغبراء وهو الشيخ خميس بن راشد العبرى فى حصن يبرين : انه يحتاج إلى حكم من أهل العلم لأن أربابه تفرقوا وقد خلت

أمة بعد أمة ، قال وأما أموال يبرين فقد سمعت عن كثير من الناس انهم لم يأكلوا منها وقالوا انها حرام ، قال وينبغي لمن حرم شيئاً أن يأتي فيه بحجة صحيحة وكل آية لها تفسير وكل مسألة لها جواب . وقال في كلام قبل هذا : قلت لصاحي هل عندك صحة في يبرين وما قالوا فيه ؟ فقال أما الماء والأموال فالأكثر منه اشتراه الشيخ ناصر بن محمد الغافري وشيء منها آل إليه بالإرث ، قال وسمعت هذا من محمد بن عدى بن محمد العبري وسعيد بن سليمان الزرعي ، قال وقد رفعا عن الذين يثقون بهم في زمانهم الذين أكبر منهم سناً وأرجح عقلاً ، وقالوا إن الشيخ ناصر بن محمد أشهدهم وأمرهم بالكتابة بكثير من الأموال في وصيته وطلق نساءه بحضرتهم وأشهدهم بذلك وأمرهم أن يكتبوا الماء والمال الذي آل إليه بالإرث والشراء من آل يعرب من يبرين لبيت المال ، فلما مات الشيخ ناصر بن محمد شهد هؤلاء بذلك وقالوا « فمن بدله بعد ما سمعناه فإثمه على الذين يدلونه » قال والمال الذي خلفه ناصر لم يقسم على ورثته ، قال وأما حصن يبرين فلم يصح فيه بيع ولا هبة من آل يعرب إلى يومنا هذا . اهـ كلام ذى الغبراء والله أعلم . وما يذكر من النظم للإمام بلعرب بن سلطان قوله :

إذا مادعتك النفس يوماً لريبة
ولا تتبعها مدة العمر إنما
وجانب هواها ما استطعت فانما
وخف من إله العرش شدة بطشه
وقال أيضاً :

ولما بلوت الناس لم أر صاحباً
وابصرت فيهم في رخاء وشدة
أخا ثقة في النائبات العظام
فلم أر منهم غير كسب الدراهم

فان كنت ذا يسر فحولك اهمم ممالك او عسر كاضغاث حالم
وثقت بمن احيا العظام رميمة وانشأها خاقماً لطيف المناسم
وذكر ابن رزيق الشاعر في وجود الامام بلعرب اخباراً هائلة
اعرضنا عن ذكرها للشك في صحتها والله اعلم .

ذكر خروج سيف بن سلطان

على اخيه الإمام وحصاره له ببيرين

قال حميد بن محمد بن رزيق الشاعر المتأخر : لم يزل الإمام بلعرب
تضرب به الأمثال في العدل والجود حتى وقعت بينه وبين اخيه سيف
فتن كثيرة ، قال واصاب كثيراً من فقهاء عمان واكابرها وأهل الورع
والزهد عقوبات من سيف ، وشد سيف على أخيه بلعرب الحرب
فخرج بلعرب من نزوى وقصد ناحية الشمال ثم رجع إلى نزوى فمنعه
أهلها دخولها فصار إلى بيرين فحصره أخيه سيف في حصن بيرين
قال فلما عجز بلعرب عن ملاحمته اجتمع اكابر عمان فعقدوا الإمامة
لأخيه سيف وكثير من أهل عمان دخل في البيعة تقية لأن سيفاً عاقبهم
على عدم الرضا بامامته ، وخرج فأخذ حصون عمان كافة إلا بيرين
فانه حصره فيها وجعل يضرب الحصن بالمدافع وكان عند بلعرب
رجال مشهورون بالشجاعة فكلما دنى جيش سيف من الحصن خرجوا
له وكشفوه فقتل في تلك الحرب من قوم سيف كثير قال ثم ان اكابر
هؤلاء وهؤلاء اتفقوا على الكفاف عن الحرب وقالوا الرأي أن نغمد
السيف عن بعضنا بعض فاذا اقتتل سيف وأخوه بلعرب وقتل أحدهما
صاحبه صرنا رعية للباقي منهما وتبعاً ، فإن أيما المبارزة مكث كل واحد
منا في العسكر فإذا طالت على ذلك المدة رجع كل واحد منا إلى وطنه .

قال فلما بلغ بلعرب خبر القوم توضأ وصلى لله ركعتين وسأل الله عز وجل أن يميتته فما فرغ من دعائه إلا وقد خر على البساط الذي صلى فيه ميتاً ، قال فعند ذلك خرج بعض خدامه من الحصن فأخبروا أخاه سيفاً بوفاته فاتهمهم وقال أقتلتموه ؟ قاتلكم الله فحلفوا له أنه قد مات حتف أنفه ثم خرج أصحابه من الحصن كافة ومضوا إلى أخيه سيف فأخبروه عن أخيه بلعرب كما أخبرته عبيده عن خبر وفاته قال فمضى سيف إلى الحصن وغسل أخاه وكفنه وصلى عليه ودفنه قريباً من الحصن كذا قال . والمعروف عند أهل بربن أن قبره داخل الحصن قرب النهر مكتوب عليه البيتان المتقدمان : قال وخلصت عمان لسيف ولم ينازعه فيها منازع ، قال وكان كثير من أهل عمان المشهورين بالعلم متمسكين بامامة بلعرب ويرون أن أخاه سيفاً باغ عليه وقد تقدم أن بلعرب مات في سنة أربع ومائة والفتكون مدته في الإمامة ثلاثة عشرة سنة .
ولله الملك الدائم .

باب إمامة سيف بن سلطان قيد الأرض

وسبب ذلك أنه وقعت بين الإمام بلعرب وبين أخيه سيف بن سلطان ضغائن وانتشت بينهما فتن أثارها سيف على أخيه وافتتن بها كثير من الناس فخرج الإمام من نزوى وقصد ناحية الشمال ثم رجع إلى نزوى فمنعه أهل نزوى دخولها فسار إلى يبرين واجتمع أكثر أهل عمان وعقدوا الإمامة لأخيه سيف بن سلطان . قال بعضهم وأحسب أن الأكثر دخلوا في الأمر تقية وأحسب أن بعضاً عوقب بتركه الدخول في العقد ، وخرج سيف على أخيه وأخذ كافة حصون عمان ولم يبق إلا حصن يبرين فسار إليه وحاصره فوقع بينهم الحرب حتى مات بلعرب في الحصار فطلب أصحابه الأمان ليخرجوا من الحصن فأمنهم سيف فخرجوا من الحصن ، قال وأحسب أن بعضاً من أهل العلم لم يزالوا متمسكين بإمامة بلعرب حتى مات ، ويرون أن سيف بن سلطان باغ على أخيه واستولى على عمان وضبط الممالك وأحسن السيرة وأنصف الرعية وهابته القبائل وتسمى بالإمامة ولقب بقيد الأرض لضبطه الممالك وتقييده البلاد بعدله ، ولم يعب عليه من سيرته شيء إلا ما كان منه في أول أمره من خروجه على أخيه الإمام العادل وسمعت شيخنا محمد بن مسعود يذكر أنه وجد أن العلماء جلسوا يوماً في مجلس يتذاكرون إمامة قيد الأرض فقاموا على أنه صحيح الإمامة ، ولعل ذلك كان بعد تويبه من خروجه وتجديد العقد عليه بعد موت أخيه وإلا فالعقد الأول غير صحيح

والخروج غير جائز وباب التوبة مفتوح ولم يزل على حسن السيرة
وسياسة المملكة وحارب النصارى في جميع الأقطار وعمل لهم مراكب
عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه حتى قيل إنه اجتمع له في
الجيش الذي دخل به الهند ستة وتسعون ألف عنان . هذه الفرسان ،
فما ظنك بغيرهم . وذكر الحسيني في ديوانه جملة ممالك هذا الإمام من
الخيال في قصيدة سماها الخيلية وهى من أجود شعره قال فيها :

ان تسألنى عن الخيل التى ملكت بداه سـ — لنى فإنى عارف فهم
تسعون ألف حصان من كرائمها غير الرماك فما فى قولنا وهم
فالكمت منهن والشقر الكرام ومنذ ها الشهب والبلق والغربية الدم
كرية عودت أمر الحروب فما يعنى عليهن إلا النطق والكلم
سنذكر البعض منها فى قصيدتنا يا قوم فاستمعوا للقول تغتموا
فى (غزبلان) و(الصناب) مبتدؤ لنا و (بالكاملين) المدح يحتتم
(وفتح خير) (صباح الخير) (جوهرها)

(الميمون) و (الفهد) و (المنصور) جيشهم

و (النجم) و (الباز) و (العفريت) إن لحقت

؛ (لاحق الخـير) وانها سرورهم

وفى (دهام) وفى (صبحان) فائدة لاعسرة عندها تخشى ولا عدم

و (الحاجز) الجيد المعروف عند (مسا الـ

خـير) الكريم فتلكم للعدى نغم

ومن (هديان) أنوار لنا وهدى وعن (عبيان) أصحاب الضلال عمو

وعند (زائد خير) في تجارتنا ربح وأهل (أبي الفارات) قد غنموا
أكرم بها حصنا لو أنها صدمت رضوى لاضحى هشيا وهو منهدم
تعدو فتكبو الرياح الهوج من خجل

منها فيسكنها الإعياء والسأم
فلو قطعت بها البيداء معتسفاً جرت ولم يعيها سهل ولا علم
ولو أردت بها صيدا لأصبح من قنيصك الايلات^(١) الغلب والعصم
ولو أردت تصيد الطائرات بها لكان من صيدك العقبان لا الرخم
ولو تسلطها يوماً على اسد الـ شرى لما أحصنتها الغيل والاجم
كادت تكون مع العنقاء طائراً لو لم تكن ييدى فرسانها اللجم
فكيف تقوى العدى يوماً على شهب بها الشياطين في يوم الوغى رجوا
لم ينج منهزم منهن ملتجئى لو أنه برؤوس النيق^(٢) معتصم
تستغرق البر والأمطار ساكبة وتقطع البحر والأمواج تلتطم
ومن طمراتها ألف مـ مودة للحرب ياشقوة الأعداء لو علموا
منها الغزاة تقفوها الهلال تلوها الجراة حين القوم تصطدم
وام رزين لا تهوى العصى ومع النعاشية الخير لا لوم ولا ندم^(٣)
وعد أولادها ألف مبيدة من الاناث ومثلاها مهورهم
فهذه الشزب الجرد السلاهب في يوم الحروب بها الاعداء تخترم

(١) الايلات : الأوعال .

(٢) أى رؤوس الجبال العالية .

(٣) هذ البيت لم يظهر له معنى فتر كناه على اضطرابه فليتامل .

كادت تعز على من شاء يملكها لو لم يسخرها لنا الواحد الحكيم
حمداً وشكراً وتعظيماً لنا ولها كما تهنى بهن السادة البهيم
وأخذ من النصرارى ممباسة والجزيرة الخضرا وكلوة وبت وغيرهن
من البلدان التى بالزنج ومن البلاد التى بالهند كذا قيل ، والصحيح أن
ممباسة وكلوة أخذها والده الامام سلطان بن سيف وغزا العجم بأرض
فارس وله فيهم وقائع مشهورة وأخبار مذكورة وطالت أيامه وعاشت
الرعية فى ظل عدله فى أرغد عيش وأنعم بال وعمر عمان كثيراً وأجرى
فيها الانهار وغرس فيها النخل والأشجار وجمع مالاً جماً ومملك إماء وعبيدا
وقويت عمان به وصارت خير دار . قيل : وكان شديد الحرص على جمع المال
وذكروا أن الافلاج التى حفرها بعمان سبعة عشر فاجاً أفلاج المسفاة من
الرستاق ، وفلج الحزم ، وفلج الصائفى وفلج الهوب ، وأفلاج جعلان التى عند
البدو وغيرهن كثير ، وغرس فى عمان وفى ناحية بركامن الباطنة من المبسلى
ثلاثين الف نخلة ، ومن النارجيل ستة آلاف وله غير ذلك أموال فى المصنعة
من الباطنة لأتحصى ومملك من الاماء والعبيد الفاً وسبعمائة وغرس أشجارا
مجلوبة من البحر مثل الورس والزعفران وذباب النحل ومملك من السفن
أربعة وعشرين مركباً وقيل ثمانية وعشرين فالكياً . وأسماؤها : الملك ،
والفلك ، وكعب راس ، والناصرى ، والوافى ، وآخر لم نعرف اسمه فهذه
كانت مراكب كباراً فالملك فيه ثمانون مدفعاً وبعض المدافع أثته من
الولاية طول الواحد ثلاثمائة شبر وعرضه ثلاثة أذرع وعلو المركب سبع
قامات دون الدقاه ، وأوصافه لأتحصى وتلك المراكب الفلك أعرض منها

وأما طوله فربما يكون مثل المذكور الا أنه أخف وأوجز من ذلك
بقليل وعنده من النقد شيء عظيم ، والله يؤتى فضله من يشاء وتوفى
بالرستاق ليلة الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين
ومائة بعد الألف ودفن بها فوق القرن غربى القلعة ومدة ملكة تسع عشرة
سنة ورثاه محمد بن صالح المنتفق البصرى ساكن الصير بقصيدة لم نظفر
بجميعها وإنما وجدنا منها قطعة لا تخلو من تحريف وهى هذه :

الرب باق وانخلاق فانيه	كرهت نفوسهم الفنا أو راضيه
الله عز وجل يفعل ما يشاء	منه القضايا نافذات ماضيه
سبحانه لا جور فى أحكامه	بل كلها بالعدل فينا جاريه
ان المقدر كائن والصبر من	شأن الموفق ان دهره داهيه
وصروف هذا الدهر شتى والفتى	خوف الشماتة ما يفوه بخافيه
جربت أيامى التى قد عشتها	ورأيت كيف فعالها أياميه
وسمعت من أمم وما فعلت بهم	دنيام أهل العصور الخاليه
كم شتت كم ثبتت كم فتنت	كم بددت جمعا بأبعد ناحيه
كم شيت من أمة كم شيت	من لمة غاراتها المتماديه
نزلت مصائبها على فشيت	قلبي ورأسى ما كفاها راسيه
كثرت على فكلما قلت أنجحت	جلت مصائبها وزادت مايبه
هذا اصفرار اللون منى شاهد	مثل احمرار دموع عيني الباكيه
أمسى لها متجاهلا وأنا عليه	م انها أم العقوق الجافيه
ما أضحكتنى بعض يوم غلطة	الا وابكتنى بقية عاميه

ما ضرها لو سالمتي دائماً
ان أثبتت خلدي عزائم همتي
لكن مرد أمورنا لإلهنا
لولا الرضا بقضاء مولانا لما
ولما طعمنا غمض جفن ليلة
بعد الهدام الركن ركن الدين قر
من اكمد الحساد لما ساد واذ
نور الرعية سورها سمسورها
مخدومنا سيف بن سلطان الاما
ذاك المهصور الشهم فراس العدى
فتحت على يده فنوح لا تسل
فسل النصارى مارأوا في برهم
كم أحرقوا كم أغرقوا من مرة
كم مزقوا بدداً فشبهم على
مابالكم أولاد الاصفر صفرت
ثم انقلبتم خاسئين ومسكم
وانشد مرا كبه التي صدمت مرا
الملك ثم الفلك ثم الناصرى

نخرجت منها لا على ولا ليه
فهموم قلبي للمسرة نافية
ان لانت الأيام أو هي قاسيه
نهضت قوائنا وسارت ماشيه
ولما أسغنا لقمة في عافيه
ن المسلمين مهين من هو طاغيه
سد الفساد وقاد روساً عاتيه
وسرورها وأبو الجنود الناميه
م اليعربى بن الجدود الساميه
ذاك الجسور على الامور العاليه
قد عظمها^(١) قد اعجزت الحسايه
والبجر من تلك الجيوش الغاسيه
كم ذوقوا ضرباً يهد الناصيه
ضأن غشت فيها سباع ضاربه
جر الوطيس وجوهكم ياصايه
نفخ الوبا فبطونكم كالخايه
كبهم واهدتها بنادق حاميه
مع كعب رأس كالجبال الراسيه

(١) قوله قد عظمها أى قدر عظمها لغة لبغض العرب من عمان

من برشة حربية أو باغية
أو جيفة في البحر تذهب طافيه
نظروا فوارسهم اتهم عانيه
قلبت وجوههم السمينة ذاويه
يارفضة الرفض الحسيس الحاسيه
مشى المطيطا في بلاد خاليه
لكنهم بصروه ناراً واريه
ها قوة تركت قوام واهيه
سة والفراسة والحصال الزاكيه
بل مسقم ومهدم اركانيه
قلبي المحب وملهب احشائيه
في ذى المصيبة كلهم شركائيه
ولولده وأخيه ثم الحاشيه
وينيلهم صبر القلوب الراضيه
المستجنة بالتقى النورانيه
رمضان غابت شمس المتلايه
بعد انقضاء الألف يعفوها مائه
من هجرة نبوية اسلامية
أفواهم تثنى عليه فاعيه
بالخير سارت والمنافع وافييه
ومنابرا تثنى عليه علانيه

كم خرقت كم غرقت كم حرقت
كم غادرت جثث الكلاب مجافة
الفرس سلمهم حين فروا بعدما
فزعوا من الأبطال والأهوال فإذ
لم لا تلاقوا يا محلقة اللحى
أين التبخر كالعروس ومشيك
لولم يفر الفراس كانوا فرسوا
آها عليها سطوة آها عليه
آها على تلك الرياسة والسياسة
حزني عليه مؤلم وملازم
ومجنب عيني المنام ومتعب
والمسلمون كبيرهم وصغيرهم
فلهم ولي حسن العزا في فقده
الله يجزيهم ويعظم أجرمهم
المطمئنة تحت أحكام القضاة
في الليلة الغراء وثالث شهرنا
ومن السنين ثلاث مع عشرين من
طوت الامام يد الحمام فأرخوا
لكنه مامات من ترك الوري
يطرون منه سيرة محمودة
ومفاخرا وماثرا مشهورة

لولم يخلف قط من بركاته
الشيخ سلطان الإمام بن الإمام
يكفى وسد مسده وأتى بما
فاقرأ كلام الله ما نسخ وزد
يظهر لك المرجو من بركري
والله يرزق من يشاء بلا حسا
أما النجابة والمهابة فهى فى
والسعد والتأييد أمر ظاهر
ملك . يفوق جلاله وكماله
ورث السياسة كابراً عن كابر
وإذا مدحت فحبلن بمدحه

هذا آخر ما وقفت عليه من هذه القصيدة الجيدة المباني البليغة المعاني
وبما وجدناه منها كفاية لأن الغرض حاصل به وزيادة ولله البقاء . وكان
فى زمانه فى سنة تسع ومائة وألف وقعت بنزوى قضية غريبة عجيبة
اعتنى بتاريخها بعض أهل ذلك العصر فنظم فيها قصيدة بائية أحببنا إيرادها
كما هى لأنها وافية بالمقصود وهى هذه كما ترى :

لقد ظهرت أعجوبة فى زماننا
ألا فكروا فى أمرها فهى عبرة
فتاة أناس بنت ست توفيت
وقال حلیم منهم قبل دفنها

بقرية نزوى وهى أم العجائب
لمن كان يرجو ربه فى العواقب
وقد قبروها فى قبور الأصحاب
حياة بها ما صدقوا قول كاتب^(١)

ولو صدقوا هذا فكيف احتيالهم
وأنى لهم من حيلة غير دفنها
وقد جهزوها في ثياب كثيرة
ولكنهم من بعد ظنوا بأنها
فساروا لحفر القبر من بعد دفنها
فبعد سنين قد مضت وتكاملت
رآها فتى ترعى شياها وعندها
تعرف منها حين لاحت بأنها
تقرب منها ثم أمعن طرفه
فقال لها من أنت قالت فلانه
فأيقن حقا أنها بنت ماجد
وجد أبيه ماجد بن ربيعة
وذاك بنزوى وهى من آل كندة
وجاءوا بها طوع القياذ وأحسنوا
وما عرفوها من أبيها وأمها
وقد أجلسوا أمها لها بين نسوة
ليختبروا عرفانها باختبارهم
وقالوا لها سيرى إلى امك التى
فسارت إليها ثم ألقى جرانها
ومالت وقالت أنت أمى وسلوتى
فقالوا لأم البنت هاتى علامة

وما قولهم فى حادثات النوائب
ولو طلبوا فى ردها ألف صاحب
من الخز والابريسم المتناسب
أصيبت بسحر قول أهل التجارب
فما وجدوها فيه ياذا المآرب
حساب تولى عده غير كاذب
فتاة من الأعراب عنها بجانب
سلالة أشياخ كرام المناصب
فما شك أن الشخص عين المطالب
فتاة فلان من كرام أطائب
سليل سليمان حليف المواهب
فتى أحمد أهل الندى والرغائب
وقد صح هذا الأمر مع كل كاتب
إليها وحلت فى أجل المراتب
وقد جعلوها بين ستر وحاجب
حسان كرام نيرات كواعب
ودار يجنبيها جميع الأقارب
تريت فى حجر لها لاتبجانبى
على حجرها والرأس فوق الترائب
وذاك أبى دون الرجال بجانب
تبين بيانًا شافيا غير كاذب

فجاءت بأمر لازم غير عازب
ليعلم منهم حاضر كل غائب
من الحبس أوترى بشر المعاطب
من البدو حتى وهي أم الكواذب
بقلعة نزوى جادها كل ساكب
وباءت بخسران بصفقة خائب
ونجم المعالي طالع غير غارب
ولست بمحص عد تلك العجائب
وضعت بقبر تحت لحد مجانب
وما خلت مكروها بتلك المصائب
من القبر واستل الثياب جوانبي
وحيدة شخص بين تلك السباب
وكف يدي اليسرى فويق ترائبي
بقلب حزين واجب أى واجب
قبيل من الأعراب غير أقاربي
وقد حجبوني عن قريب وصاحب
أنا وفتاة منهم غير كاعب
إلى جلبة الوادى لرعى الجوانب
وناديتها يأم رقى لآيب
لصوت حزين غائب غير غائب

فقلت لهم في ظهر بنتى علامة
وقد صح هذا الأمر مع كل حاكم
وجاءتهم من آوت البذت خيفة
وجاءت باد تدعى أنها ابنتى
وقد وقعت منها ومنهم خصومة
فقيل لها هاتى أباهما تحيرت
فهذا ونجم الجاهلية غارب
فهذا اختصار من عجائب حمة
وقد سألوها كيف حالك عندما
فقلت لهم ماراعنى قط رائع
ولكن أتانى واحد ثم سلى
وغادرنى عريانة وسط بلقع
وعاينته حقا يمص أصابعى
وسار وخلانى وبت وحيدة
إلى أن بدا ضوء النهار فمرى
لبثت سنينا عندهم فى ربوعهم
وقد جعلونى بعد راعية لهم
فرحنا بأغنام أنا وفتاتهم
فأشرفت من ضوت^(١) إلى أم والدى
فما سمعت صوتى ولا مال قلبها

فهذا وكم أبدى لكم من عجائب
واذ نحن في بعض النهار بخادم
فلما دنى منى رماني بطرفه
فسار إلى أهلي فأخبرهم بما
جاءوا فزفوني إلى خير منزل
وفي سمد وسط السويق محلنا
وقد وصفت هذى أباه وأما
وقد حققت أوصاف بيت ومسكن
وعاشت زماناً في السويق بنعمة
فهذا عجاب ماجرى مثلها وما
وعندي هو الحق المبين بأنه
وقد صح عندي يركبون خوامعاً
لهم زجل في سعيهم وغمائم
وحدثني منهم فتى غير كاذب
وقال الخبير السحر سحران عندنا
ذووا الظلم منهم يذبجون قريبتهم
فهذا خذوا عنى وعن كل عالم
وذلك في عصر الإمام ولينا
سلالة سلطان بن سيف بن مالك
لتسع وألف بعدها مائة خلت

تخر لأدناها رموس الشناخب
رآنا بعيداً وهو غير مقارب
وناشدني أخبرته بالمذاهب
رأى من أمور معجبات غرائب
وأعلى محل من محل الثواقب
بنزوى محل الصافنات السلاهب
وجاءت بإيضاح العلى والمناسب
وأوصاف أجداد لهم وأقارب
ولذة عيش في أجل الرغائب
سمعنا به في شرقها والمغرب
هو السحر حقاً لا تشكو أصحابي
ويخرج كل منهم في السباب
ويرمون من عاداهم بالمصائب
يبهلي صديق لا يزال مصاحبى
فسحر لذي ظلم وسحر الملاعب
ويأكل كل لحمه لا تعاقب
خبير بأسباب الورى ذى غرائب
هو العدل (سيف) ذوالعلا والمواهب
إمام الهدى مفضى العدى بالقواضب
حساباً تولى رقمه كل كاتب

وصل إلهي ما بدا بارق على شفيع البرايا خير ماش وراكب^(١)
وهذا كتاب من النصارى للامام سيف بن سلطان اليعربى : الحمد لله
فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلم
بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه
لانرق لشاكي ولا نرحم عبدة باكي قد نزع الله الرحمة من قلوبنا قلويل
كل الويل لمن لا يمتثل لأمرنا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا
فى الأرض الفساد فان أعجبكم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن
أتمم أيتكم وعلى بغيكم تماديتم فالحصون منا لا تمنع والمساكر لدينا لا ترد
ولا تدفع لأنكم أكتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالذل والجزع ،
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون فإن أعجبكم كلامنا إننا كفررة
وقد صار عندنا أنكم جرة قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ، كثيركم
عندنا قليل وعزيزكم عندنا ذليل قد ملكنا الأرض شرقا وغربا وأخذنا
منها كل سفينة غصبا قد أرسلنا إليكم هذا الكتاب فأسرعوا برد الجواب
قبل أن ينكشف الغطاء ولم تبق لكم باقية وينادى عليكم بالفناء هل تحس
منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقد أنصفناكم وأرسلنا عليكم جواهر
الكلام والسلام .

هذا جواب الإمام لهم «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء
قدير» قد حصل الوقوف على هذه الکتبة الشاهرة لقولكم قد نزع الله الرحمة
من قلوبكم فهذا من أقبح عيوبكم وأشد وأشنع وبغيتم وذكرتم أنكم كافرون

(١) وفى نسخة وصل على خير الأنام محمد إله البرايا خير ماش وراكب

ألا لعنة الله على الكافرين ، من تعلق بالأصول فلا يبالي بالفروع ونحن
المؤمنون حقاً لا يصدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب والقرآن
علينا قد نزل فهو رحيم بنا لا يزل ، وخيولنا برية وبحرية وهمنا سامية
علية إن قتلناكم فنعم البضاعة وإن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله » وقولكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال :
الجزار لا يبالي بكثرة الغنم الكثيرة وإن الله مع الصابرين فنحن بالمنع
عالية أمنية إن عشنا سعداء وإن متنا شهداء « ألا إن حزب الله
هم الغالبون ، « لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الأرض وتخر الجبال هدا « فقل لصاحبك إذا رضع وشيد مقالته حصل
الوقوف على هذا الكتاب كصير باب وطنين ذباب : « سنكتب ما قالوا
ونعد لهم من العذاب مدا ، وما عندنا بعد ذلك إلا الخيل تمطر بالويل
والنار مظهرة العار ، والسيوف مسقية بالحتوف والسلام على من اتبع
الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى واختار الآخرة على
الأولى والصلاة والسلام على خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

باب إمامة سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف

ابن مالك بن أبي العرب اليعربي

يُروى له بعد موت أبيه وذلك في شهر رمضان المبارك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وكتب العلامة الصبحي لبعض اخوانه أن سيف ابن سلطان صح معنا موته ثم صح معنا تقديم المسلمين ابنه سلطان اماماً لكافة المسلمين تلقفت صحة ذلك من الفقيه ناصر بن خميس وخلف بن سنان رحمهما الله، وأيضاً من الشيخ ناصر بن سليمان ابن مداد وسليمان بن محمد ابن ربيعة المرعوي وقد ولاء على أهل نزوى وقد أرسل الينا جميع الإخوان الفقيه عدى بن سليمان كتاباً فيه ذكر العقدة ومن حضرها وكان المتولى للعقد عدى هذا وخلف بن محمد بن خميس وسليمان المذكور وكلهم ثقات فقهاء في هذا الزمان فيما قيل والوالى سعيد بن علي وأناس من أهل الغشب مسمون وغير مسمين وكذا أهل الرستاق مع كثير من المشايخ اليعاربة قال : وبلغني أنهم واستتابوه . قال : وفي هذا الكتاب الذي ارسل الينا أن المسلمين رضوا به وأذعنوا له بالسمع والطاعة على شروط شرطوها وعهود أخذوها منه أن لا يقدم على أمر قليل ولا جليل الا برأى المسلمين مع أشياء يطول بها هذا الكتاب . وقال العبد الفقير سعيد بن بشير الصبحي قد ألزمت نفسي ولاية هذا الإمام وطاعته مع ماصح معي وصحت عقده على يد المسلمين وهو سلطان بن سيف بن سلطان قال وعندى والله أعلم أن امامته في ظاهر الامر أوجب من امامة أبيه لأن المسلمين دخلوها وحكم التقية

زال عنهم فيما بلغنى قال وعندى أن طاعته لازمة لجميع الرعية وولايته لازمة
جميع من صح معه صحة امامته كان من رعيته أو من غيرها ، وقد قيل لى فى
حصن المسلمين بنزوى بحضرة المشايخ منهم ناصر بن خميس وناصر بن سليمان
وسليمان بن محمد ودرؤيش وغيرهم من المسلمين ما تقول فى هذا الأمر ؟
فكان جوابى انى قد الزمت نفسى ولايته وطاعته ودعوت اليهما من أجابنى
وقد افترقنا على أمر واضح نهار سابع وعشية تاسع وبكرة اثنى عشر
من شهر رمضان يعنى انه حصل لهم النظر فى هذا الأمر ثلاثة مجالس
فى الثلاثة الأوقات . قال وقد افترقنا على أمر صحيح فى هذه المجالس وقد
اتفقنا على امامته بلا كراهية ولا تقيية من الجميع . قال وهذا يقتضى جواز
الدخول وتنفيذ الأحكام مع الأخذ والعطاء ، وجميع أمور المسلمين بعد
التحديد منه وقبله فيه اختلاف لمن جاز له الدخول قبل وكتب هذا سالم
ابن عبد الله من املاء الشيخ سعيد بن بشير الصبحى

ثم ان الامام سلطان قام واستقام وجاهد الأعداء فى البر والبحر
وحلب المعجم فى مواضع شتى وأخرجهم من بلدانهم ودمرهم فى أوطانهم
وأخذ البحرين والقسم ولاك وهرموز وبنى حصن الحزم بالحص والحجر
وانتقل من الرستاق اليه وانفق فى بنائه مما ورثه من المال من أبيه
واقترض كثيراً من أموال المساجد والوقوفات الوفاولكوكا ووجدت
أن جملة ما اقترض من أموال الأوقاف خمسمائة فراسلة فضة ودانت له الأمور
وسالته الممالك واطاعته الرعية ولم تتحرك عليه حركة من عمان ولا غيرها
وعمر البلاد وذكر الحبسى فى قصيدة من قصائده وقائمه بالمعجم وفتح
البحرين ورثا من قتل فيها من أمراء الاجناد وهى هذه .

غـدو شـجـرات مـالـهن قـرار
عـقـاب الـيم مـهـلك و تـبار
و سـوء عـذاب دـائم و دـمار
كـما خـربت دـور لـهم و دـيار
سـما جـح و حـش عـاقـهن عـثار
نـخـروا عـلى الـاذقـان و هـى بـدار
بـخـيل و قـد جـروا الـذـيول و جـاروا
مـطـايا المـنا للـبـوار فـباروا
الى المـوت قـد يـسـرى بـهم و يـسـاروا
عـظـيم لـديه المـعـظـمات صـغار
عـرا هـن مـع سـوء الـحـياة صـغار
و ادـمـعـها عـند البـكاء غـزار
طـويل و اـعـمار العـداة قـصار
لـاعـنـاقـهم يـوم النـزال جـبار
يـقـولون اـضـغان الـرجال قـمار
كـان دـجاها بالـسيـوف نـهار
بـها القـوم سـفن و الدـماء بـحـارة
مـن الـحـرب حـمراً حـشـوهـن غـبار
تـلاع فـيه كـالـبروق شـفار
ولـكن عـرتـهم ذـلة و فـرار
كـريم ذـكا فـرع لـه و نـجار

الـا فـانظـروا كـيف الـاعـاجـم صـاروا
طـغـوا و بـغـوا فى الـارض حـتى اـصـابـهم
فـلـت بـهم مـن مـالك الـامر نـقمة
و قـد ضـربت اـعـنـاقـهم بـمـناصل
فـصـاروا بـهـار غـم الـانـوف كـانـهم
و قـد شـربوا كـأسـا مـن الـحـتـف و الـردى
و جـروا عـلى اذقـانـهم بـعـد ما جـروا
و قـد حـمـلتـهم بـعـد ما عـاينوا الضـبا
لـيـعلم مـلك الـعـجم اـن جـيـوشـه
فـدو خـم بـالمـشـرفـية فـيلقـو
و قـد اـيمـوا مـن بـعد ذـلك نـسوة
تـبا كـى عـلـيـهم بـالنـهار و بـالدجى
كـانـهم لـم يـعلمـوا اـن باعـنا
دـماؤـهم هـدرا و لـكن ضـربنا
و ما ذـاك الـامـن خـسـاسة طـبـعـهم
و لـيلة سـعد مـزق الـليـث ثـوبها
تـزاحـمت الـابـطـال فـيها كـانـما
و بـيوم اـثار النـقع فـيه سـحـائبـا
كـان يـحـامـيم الـمـجـاجـة عـارض
فـما زـالت الـهـيـجـاء حـتى تـفرقوا
و قـد صـارت الـبـحـرين فى مـلك سـيد

سلالة (سيف) نجل سلطان الذي
هنيئاً امام المسلمين بيـلدة
لقد كان فيها للأعاجم غبطة
نعم وسقوا من منهل الحنف شربة
فولوكم أدبارهم وتبـلدوا
وكانوا بها أسدا فلما غزوتهم
رأوا منكم ما لا يرى بخت نصر
فلم يبق فيها للأعاجم ملجأ
ولم يبق الا من تراه مجدلاً
فلم تحمهم من أسيف الاسد قلعة
وماضنا من غير موت كرامنا
كحمير الزاكي ابن سيف بن ماجد
ونجل عزيز راشد ومبارك
ولم أنس ذاك الحضرمي محمدا
شجاع كفاح لم يقاومه ضيفم
ولكن صبرا فالسنون حوامل
وللفلك الدوار عظم عجائب
ودم يا امام المسلمين مظفرا
وهم أن يجعل عمان كجنتي مأرب فخال الحمام بينه وبين لما يؤمل والآجال
تقطع الآمال ولكل امرئ ما نوى .

وتوفي بحصن الحزم الذي بناه للعزة والمنعة فكان من قدر الله أن صار
موضعا لوفاته ومحلا لجثته بعد مماته فدفن به في البرج الغربي النعشى وهذا
الحصن غاية في التشييد وهو من عجائب الدنيا ذكر لي بعض الأصحاب
أنه الف في وصفه وفي بنائه كتاب نظماً ونثراً ، فالنظم قصيدة الميمية والنثر
شرحها ولم أقف على هذا الكتاب وكانت وفاة الامام يوم الأربعاء لخمس
ليال خلون من جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وكانت
إمامته سبع سنين وتسعة أشهر وبموته انتقض الشر في عمان وجرت
فيهم العصبية والحمية وأرادت الرؤساء أن تجعل الدولة ميراثا خالفت أمر
أهل العلم والفضل ونسوا الحال الذي من الله عليهم بسببه وهو رد الامر
إلى أهله فمشت العصبية في القلوب على حسب ما يأتي ذكره في الباب
الآتي والله الملك الدائم

باب إمامة مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك

ابن بلعب اليعربي

وهو الذي تزوج بنت الإمام سيف أخت الإمام سلطان ، بايعوه بعد موت الإمام سلطان في ذلك الشهر بعينه ، رأوه أهلاً للإمامة لكونه ذاقوة عليها ولم يكن كثير علم لكنه يتعلم وبسأل ولم يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء وسبب بيعته أنه لما مات الإمام سلطان أرادت اليعاربة ورءوس القبائل أن يكون الإمام ولده سيف بن سلطان وكان صبياً لم يراهق وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سلطان لأهليته وقل أهل العلم للناس إن إمامة الصبي لا تجوز على حال ومن لا يجوز أن يكون إماماً في الصلاة فكيف يجوز أن يكون إماماً على المسلمين يتولى أحكامهم ويلى الأمور والدماء والفروج ولا يجوز أن يقبض ماله فكيف يجوز أن يقبض مال الله ومال الأيتام والأغنياء ومن لا يملك أمره فكيف يملك أمر غيره ، فأبت العامة إلا إمامة الصبي وأعاروا العلماء أذناً صماء وتجمعوا واجتمعوا بالسلح وربما أشهروا سلاحاً ووقع بعض الجراح نخاف العلماء وقوع الفتنة وانتشار الشر فقال القاضي عدى بن سليمان الذهلي أمامكم سيف بن سلطان - بفتح الهمزة - أي قدامكم وأراد بذلك تفريق جمعهم وإطفاء الفتنة فعند ذلك نادى العامة بالإمامة وضربت المدافع اظهارةً للأمر واشهاراً للإمامة وانتشر الخبر الكاذب في البلدان أن الإمام سيف بن سلطان فلما سكنت الحركات وهدأت الناس أدخلوا الشيخ مهنا الحصن خفية وعقدوا له الإمامة فقام بالأمر واستراحت الرعية في زمنه وحط عنهم

القبودات^(١) من مسكد ولم يجعل بها وكيلا وربحت الرعية في متجرها
ورخصت الاسعار وبردك في الثمار ولم ينكر عليه أحد من العلماء في شيء
من سيرته فلبث على ذلك سنة ثم خرج عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان
ولد الامام المحصور ببحرين وسبب ذلك أن اليعاربة وأهل الرستاق أضرموا
العداوة للامام مهنا والقاضي عدى بن سليمان ومن معهما من المسلمين
بسبب ما وقع عند بيعة مهنا فلم يزالوا يكاتبون يعرب بن بلعرب ويحرضونه
على القيام بأمر سيف والخروج على مهنا حتى خرج على الامام فسار مختفياً
إلى مسكد فدخل الكوت الشرقي ووالى مسكد يومئذ الشيخ مسعود
ابن محمد الصارمى الريامى فلم يشعر الا ويعرب قد دخل الكوت ولعل
أهلها لم يخلو من خيانة وكان الامام خارجاً إلى فلج البرزيلي من أرض الجوف
فبلغه الخبر فرجع إلى الرستاق وقام وشمر وجاهد وما قصر وطلب من أهل
عمان النصر فخذلوه ونصب له أهل الرستاق الحرب وسأل مهنا النزول
من القلعة وأعطوه الامان على نفسه وماله ومن معه ففكر في أمره فرأى أنه
مخذول وليس له ناصر من أهل عمان فتبين له منهم الخذلان فأجابهم إلى ما أعطوه
من الامان فنزل من القلعة فزالت بذلك إمامته فأخذوه وحبسوه وهو وخبوه
هو وواحد من عمومته وبعض أصحابه بعد ما آمنوهم ثم جاء بعض خدامهم
فذبجوهم ظلماً وهم في قيد وخبشة واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب بن سلطان
ولم يكن يدعى الامامة لنفسه وإنما يدعيها لسيف بن سلطان الصغير ويعرب
قائم بأمره وشاد لأزره وسامت لهما جميع حصون عمان وقبائلها وكان هذا
في سنة ثلاث وثلاثين ومائة والى فلثا على ذلك حولا ثم نصب يعرب اماماً

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله مصحفاً عن القبودات فليتأمل .

باب إمامة يعرب بن بلعرب بن سلطان

ابن سيف بن مالك

وكان قد خرج باغيا على الامام مهنا على حسب ما تقدم فتاب من بغيه ورد الأمر إلى القاضي عدى بن سليمان الذهلي فاستتابه من جميع أفعاله ومن بغيه على المسلمين وتعمديه على مهنا بن سلطان واغتصابه لدولة المسلمين قالوا وكان يعرب مستحلا في خروجه هذا لانه يظن ان الامامة لسيف وانها قد غصبت منه فلم ير الشيخ عدى عليه ضمان ما تلف لشبهة الاستحلال والمستحل لا يلزمه غرم ما تلف فقبلوا توبته من غير عرم وبابعوه سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الالف فاستقام له الامر وسلمت له حصون عمان ولبت في الرستاق اياما يسيرة ثم سار إلى نزوى فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة فلم يرض أهل الرستاق ان يكون يعرب اماما فتعصبوا لسيف بن سلطان الصغير فكاتبوا يعرب بن ناصر اليعربى وهو خال سيف بن سلطان وكان بنزوى وكان سيف معه فما زالوا به حتى خرج من نزوى لست مضت من شوال من هذه السنة وقصد بلاد سيدت خالف بنى هناة على القيام معه على أن يطلق لهم ما حاجر عليهم الامام ناصر بن مرشد من البناء وحمل السلاح وغير ذلك وأعطاهم عطايا جزيلة فصاحبوه الى الرستاق فاستقام الحرب في الرستاق وأخرجوا الوالى منها وذلك أنهم أخرجوا باب الحصن فاحترق وجه الحصن جميعا واحترق ناس كثير من بنى هناة رؤسائهم ورؤساء بنى عدى وقيل ان جملة المحترقين مائة وخمسون رجلا واحترقت كتب كثيره ، مثل بيان الشرع والمصنف

وكتاب الاستقامة ومجلبات الطلسمات قدر أربعين مجلدا واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير بعمان وظهر مر هذا الحرق مال عظيم مخزون في والج الجدار فلما بلغ الامام ماصنع أهل الرستاق مع الخارجين عليه جهز سرية أمر عليها صالح بن محمد بن خلف السليمي وأمره بالمسير إلى الرستاق فسار حتى وصل العوابة فلم تكن لهم قدرة على الحرب فرجعوا .

ثم إن يعرب بن ناصر كتب إلى والي مسكد أن يخلصها لهم وكان الوالي بها يومئذ حمير بن منير بن سليمان الرباعي الأزكوي من أهل حارة الرحاء فخلصها لهم وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب ثم أخرجوا سرية وعليها مالك ابن سيف بن ماجد اليعربي فوصل إلى سمائل وافتتحها بغير حرب وصحبه بنو رواحة وجاء إلى أزكي فأخذها بغير حرب فخرج الوالي منها في شهر القعدة من هذه السنة ثم أن الامام يعرب خرج بمن معه من أهل نزوى وبنو ريام والقاضي عدى بن سليمان الذهلي ووصل إلى أزكي وخرج إليه مشايخ أزكي بالضيافة والطعام وقالوا له نحن معك فكنت يومئذ يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن فلم يخرج فنصب يعرب له الحرب فضربه ضربتين بمدفع ثم وصل عساكر بني هناة يقدمهم على ابن محمد العنبوري الرستاقى ففرقت عساكر يعرب وقتل منهم كثير ودخلت رصاصة مدفع عند الحرب في فم مدفع يعرب وكان ذلك من سوء الحظ وتفرقت عنه جماعته ورجع إلى نزوى وأما القاضي عدى بن سليمان فإنه سار إلى نحو الرستاق فأخذته قوم يعرب بن ناصر هو وسليمان بن خلفان وغيرهما وصلبوه وجاء رجل من أعوان يعرب بن ناصر فقتل سليمان بن خلفان والقاضي عدى بن سليمان قتلهما مصلوبين وسحبهما أهل الرستاق

وذلك يوم الحج الاكبر من هذه السنة ثم مضى العنبورى إلى نزوى
وجعل يكاتب الامام وهو في قلعة نزوى ودخل عليه اناس من أهل نزوى
فسألوه الخروج منها لحقن الدماء فلم يزالوا به حتى أعطاهم ذلك على أن
يتركوه في حصن جبرين ولا يتعرضوا له بسوء فأعطوه العهد على ذلك
وخرج من نزوى فزالت امامته بذلك ومضى إلى جبرين ودخل العنبورى
قلعة نزوى وضرب جميع مدافعها ونادى بالامانة لسيف بن ساطان فخلصت
لهم جميع حصون عمان وسلمت لهم كافة القبائل والبلدان .

باب الأحوال الواقعة بعد تغلب يعرب

ابن ناصر ومن معه على الدولة

وذلك أن يعرب ابن ناصر قام بأمر الدولة في منزلة النائب لسيف ابن سلطان الصغير واستقام له الأمر شهرين إلا ثلاثة أيام ووفدت إليه القبائل ورؤساء البلدان يهنونه بذلك ثم وقع من يعرب بن ناصر تهديد على بعض القبائل وخاصة بني غافر وأهل بهلى فقبل انه لما قدم محمد بن ناصر الغافري في جماعة من قومه وقع عليهم تهديد من يعرب بن ناصر فرجع محمد بن ناصر بمن معه مغضبا وجعل يكتب يعرب بن ناصر وهو المخذول آنفا ويكتب أهل بهلى ليقوموا بالحرب وركب هو قاصداً إلى البدو من الظفرة وبني نعيم وبني قتب وغيرهم .

وأما يعرب بن ناصر فإنه أرسل إلى رؤساء نزوى أن يصلوا إليه فأرأوا منه محلا وكرامة وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان ثم انه سرى سرية وأمر عليها أخاه سليمان بن ناصر وأمره بالمسير من جانب وادي سمائل إلى يعرب بن ناصر ليأتيه به إلى الرستاق وأمر أهل نزوى أن يصحبوا تلك السرية فلم يزالوا يتشفعون برؤساء الرستاق ليعذرهم من ذلك فعذرهم ومضت السرية حتى وصلت فرقا وباتت فيها فبعث لهم أهل نزوى بطعام وعشاء فبينما هم كذلك إذ سمعوا ضرب المدافع في قلعة نزوى فسألوا ما الخبر فقبل لهم أن يعرب بن ناصر دخل القلعة فعند ذلك رجعوا إلى أزكي فأشار من أشار على سليمان بن ناصر بقبض حصن أزكي ففعل

ذلك ومكث في أزكى وكان يعرب بن ناصر قد سرى سرية أخرى إلى
يعرب وبعثهم من جانب الظاهرة فلما وصلوا بهلى قبضهم أهل بهلى وقيدهم
بها وبعث سرية أخرى إلى وادي بني غافر فانكسرت ورجعت إلى
الرستاق وأما يعرب فانه بعث سرية إلى أزكى تسحب مدفعين فلما وصلوا
أزكى ركضوا على الحصن وانكسروا وقتل منهم ناس ورجعوا إلى نزوى
ثم سرى سرية ثانية إلى أزكى فأقاموا بالجنى الغريبات يومهم وأصبحوا
راجعين من الليل ولم يكن بينهم حرب ثم سرى سرية ثالثة ووصلوا إلى
أزكى ومكثوا بالجنى الغريبات يضربون الحصن بمدفع فكثوا على ذلك قدر
خمسة عشرة أيام ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى أزكى فخرج هو
وأهل الحصن إلى قوم يعرب فانكسر مالك بمن معه فأغارت البدو من
قوم يعرب على سدى وحارة الرحاء من أزكى فنهبوا من طرفيهما وأحرقوا
مقام حمير بن منير وكان خارجا من حارة الرحاء ثم ركض ولادة سرية
يعرب على أهل اليمن من أزكى فانكسروا وقتل والى السرية محمد بن
سعيد بن زياد البهلوى وقيل لمالك بن ناصر أن أهل النزار خرجوا مع
سرية يعرب حتى ركضوا على اليمن فأرسل إلى مشايخ النزار وقيدهم
بالجامع من أزكى ثم أنه أرسل إلى أهل الشرقية فجاءت منها عساكر كثيرة
وجاء بنو هناة بخلق كثير واجتمع العساكر بازكى فركضوا على سرية
يعرب واخرجوا الطبول واناسا قليلا من جانب المنزلية وخرجت
العساكر من جانب العتب يوم الجمعة عند زوال الشمس فكانت بينهم
وقعة عظيمة تسمع فيها ضرب التفق كالرعد القاصف وبريق السيف

كالبرق المتراسل فانكسرت سرية يعرب ووقع فيهم قتل كثير وقتل من
الفريقين قدر ثلاثمائة والله أعلم .

ثم أن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من العساكر وقصد قرية منح
وأغارت شردمة من قومه على فليج وادى الحجر فقتلوا منه ناسا ونهبوا ما به
وأحرقوا من زكيت بيوتاً وكذلك من المحيول حتى وصلوا منح فنهبوا
حجرة معمد وأحرقوا بيوتها وقتلوا من قتلوا وتفرق أهلها ثم ساروا
إلى نزوى ووصلوا إلى مسجد المخاض من فرق فضربوا هنالك معسكرهم
وأقاموا محاصرين نزوى وافسدوا الزرع وأحرقوا سكاكر كثيرة من
الحبلى والخضراء وأحرقوا مقامات من فرق وعانوا في البلاد ثم خرج إليهم
أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب فوقع بينهم الحرب ثم رجع كل
فريق منهم إلى مكانه وقتل من قتل من الفريقين وكان الحرب والقتل
بينهم كل يوم إلى ما شاء الله واشتد على أهل نزوى البلاء ثم وقعت
بينهم رقعة عظيمة لم نسمع بمثلها إلا ما شاء الله وكادت تكون الهزيمة
على قوم مالك إلا أنهم لم يجدوا سبيلاً للهزيمة والهرب إذ قد أحاطت بهم
الرجال كحلقة الخاتم بعد ما انهزم منهم أكثر من النصف وبقي من بقي
فظنوا أن لا ملجأ من القتل فعزموا عزماً قوياً وجدوا في القتال وأما أهل
نزوى فظنوا أنهم غالبون لا محالة فاشتغل أكثرهم بالنهب والسلب واتكل
بعضهم على بعض فمطف عليهم القوم بعزم ثابت وجد واجتهاد فولوا
منهزمين فكثرت فيهم القتل والجرح وانبعثهم القوم يقتلون ويسلبون
إلى الموضع المعروف بجثور الخوصة قريبا من جناة المقر فقتل كثير من
أهل نزوى في ذلك اليوم ورجع قوم مالك إلى معسكرهم ولم تنزل الحرب

بينهم قائمة كل يوم ثم أن مالكا خرج بكافة أصحابه إلا قليلا تركهم في المعسكر حتى وصل قريبا من جناة العقر فأراد أن يحاصرهم في بستان مويخ وينقب جدرها لمرامى التفق فخرج إليهم أهل نزوى فدارت رحى الحرب بينهم ساعة من النهار ثم قتل مالك بن ناصر فانكسر قومه ورجعوا إلى معسكرهم وأقاموا هنالك إلا أن قوتهم ضعفت بموت مالك ولم تنزل الحرب قائمة بينهم وبين أهل نزوى حتى وصل محمد بن ناصر الغافري بجيش من الغربية بعد حروب كثيرة وكانت بها وقعات عظيمة منها بوادي الصقل ومنها بالجو ومنها بضنك ومنها بالنبي فلما وصل محمد بن ناصر أمر بالركضة عليهم فركضوا عليهم وأحاطوا بهم ووقع بينهم الحرب والرمي بالتفق من الصبح إلى الليل فلما أجهت الليل أمر محمد بن ناصر أن يفسحوا لهم من الجانب الأسفل من الوادي مما يلي فرق ففسحوا لهم فأصبحوا منهزمين وأصبح منزلهم من الليل خاليا ليس فيه أحد وتفرقوا ورجع محمد بن ناصر إلى نزوى وكان يعرب بن بلعرب مريضا فأقام محمد بن ناصر بنزوى أياما قلائل وكان الحصار لنزوى قدر شهرين إلا ستة أيام ثم أن محمد بن ناصر أمر بالمسير إلى الرستاق فسار إليها بجيش فدخلها ونزل بفلج الشراة وأراد أصحابه أن يركضوا على البومة التي فيها على بن محمد العنبورى فنهامهم عن الركضة إلى أن ركض العنبورى وأصحابه فأمر محمد بن ناصر قومه فركضوا ووقع بينهم حرب عظيم فقتل العنبورى وقتل من قتل من قومه وانكسر الباقون ورجع محمد بن ناصر إلى فلج الشراة ودخل في اليوم الثاني إلى فلج المدري فالتقاه يعرب بن ناصر مذعنا فصالحه على تسليم قلعة الرستاق فأراد يعرب

أن يخذع محمد بن ناصر وكان محمد فطنا حذرا فأبى أن يدخل إلا أن يدخل جميع القوم فلما دخل كافة قومه دخل هو ووقع من القوم في البلد السلب والنهب والسبي في الذراري حتى أنها بيعت وحملت إلى غير عمان وذلك بما كسبت أيديهم جزاء بما كانوا يعملون وبما فعلوا في قاضي المسلمين عدى بن سليمان وبما فعلوا بإمامهم مهنا وبأفاضل المسلمين والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومات يعرب بن بلعرب بنزوى ومحمد بن ناصر بالرستاق لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وثلاثين ومائة والفرس وكنم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم العدو نحووا من خمسين يوماً^{١١١٥}

ثم أن محمد بن ناصر أمر بتقييد يعرب بن ناصر بعد ما أمر يعرب بتخليص الحصون التي بيده ولم تبق إلا مسكد وبركا في أيدي بني هناة وفي كوت مسكد جاعد بن مرشد بن عدى اليعربي واحتلوه حتى أخذوه منه وأوصلوه بلدنخل وأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأشهر أن الامام سيف بن سلطان وهو مع ذلك كله غير بالغ الحلم وتفرق أهل الرستاق في الجبال والأودية فقيل أنه وجد بكهف من جانب حلاة المهاليل مائة نفس من صبيان ونساء ميتين من العطش خافوا أن يرجعوا إلى الرستاق فيحملهم البدر فيدعونهم . وجاءت كتيبة لمحمد بن ناصر بعد أخذ الرستاق بثلاثة أيام قدر الف ونصف من بني قليب وبني كعب أصحاب تفاق ورماح ووصل رحمة بن مطر بن رحمة الهولي بقدر خمسة آلاف من بدو وحضر وفيهم من لا يعرف العربية ولا يعرف صديقاً من عدو فكان منهم ما سيأتى ذكره .

باب افتراق اهل عمان بالتعصب الباطل

الى غافرى وهناوى

وسبب ذلك هذه الفتن المذكورة فيما مضى وفيما سيأتى ، فان المتعصبين فيها المحمد بن ناصر الغافرى سموا بالغافرية والمتعصبين لخلف بن مبارك الهنأى سموا بالهنأوية ، وكان خلف بن مبارك المعروف بالقصير من أهل الغشب لم يكن بالرستاق فى وقت الحرب فقهر حصن بركا ومسكد فى يده ومعه بنو هناة فأرسل محمد بن ناصر على بن محمد الخروصى واليا لحصن بركا فقتل ورجع أصحابه الى الرستاق مع محمد بن ناصر ، فأمر محمد ابن ناصر الجيش بالمسير الى بركا فسار رحمة بن مطر بقومه وحمزة بن حماد القليبي بقومه وأحمد بن على الغافرى بالعسكر الذى خرج من عند محمد ابن ناصر ومحمد بن عدى بن سليمان الدهلى بالقوم الذين جاء بهم من الصير ومحمد بن ناصر الحرأصى بقومه فسار هو لاء كل وال على قومه حتى نزلوا مصنعة ، ثم ورد كتاب من قرع الدرمكنى من بنى هناة لرحمة بن مطر : انك لا تصل الينا فنحن راصلون اليك على معنى التهديد فلما قرأه وعرف معناه أمر بالمسير الى بركا وقدم عيوننا من أصحابه فوجدوا قرعا وأصحابه مقبلين اليه فالتقاهم رحمه بمكان يسمى القاسم فوثب عليهم قضيب الهولى على فرس والقوم على أثره فقتل منهم عشرة رجال وانكسر أصحاب قرع وجرح قضيب جرحا هينا وسار رحمة مشرقا بالقوم حتى نزلوا بالحفرى

التي هي للجبور حتى يستريحوا ويأكلوا ، ثم انه بعث عيوناً فوجدوا خلف ابن مبارك قد طلع بقومه برأً وبحراً يجيش لا يعلم عدده الا الله ، وكان عدد القوم الذين هم أصحاب محمد بن ناصر خمسة عشر الفا من بدو وحضر من سائر القبائل فالتقوا غربى بركا فوقعت بينهم صكة عظيمة وكانت عند أصحاب رحمة مدافع فضربوا الخشب التي في البحر فأغرزت الخشب بحراً وانكسر خلف بن مبارك وأصحابه وركب ناقتة وانبعثهم أصحاب محمد بن ناصر يقتلون ويأسرون فلم يجدوا ملجأ من القتل وكانوا يدخلون البحر ليتخلصوا في المراكب فأغرزت بحراً فلم يالوها والقوم تضربهم بالتفق فهلكوا جميعاً وأخذوا سلبهم من سلاح وغيره من جميع ما معهم فلفظهم البحر فوجد جميع القتلى الفاً واثنى عشر رجلاً ولم يزلوا يتبعونهم حتى دخلوا حصن بركا ، ثم نزل أصحاب محمد بن ناصر الغافري بجانب الجبل من بركا فحاصروا الحصن فأقاموا أربعة أيام ، ثم أن أهل الحصن تخلصوا في المراكب ومضوا إلى مسكد ولم يبق به الا القليل وليس في البلد أحد ، ثم أن أصحاب محمد بن ناصر رجعوا إلى الرستاق ورحمة بن مطر رجع إلى بلده فأقام محمد بن ناصر بالرستاق وأصابه جذري شديد حتى خيف عليه منه ثم عوفي ، ثم أنه أمر بالمسير إلى ينفل وجعل في الرستاق محمد بن ناصر الحرّاصي واليا بالرستاق وعنده أصحاب بهلى وسنان بن محمد بن سنان المحذور الغافري قائماً بقلعة الرستاق ، وسار محمد بن ناصر وسيف بن سلطان وحمل معه كافة اليعاربة وبعرب بن ناصر مقيداً حتى نزل مقننيات وكانت اقامته بالرستاق قدر شهرين ، فلما نزل بمقننيات أرسل إلى قبائل الظاهرة وعمان يستمدم

وبني ياس ققاء اليه القوم والتقوا عنده عساكر كثيرة قدر اثني عشر الفا
 وكان نروله بفلج المناذرة من طرف ينقل فأرسل الى أهل البلد أن يسلموا
 له الحصن فأبوا ولم يردوا له جوابا وارتفع وقت الصبح يريد الانتقال
 منها الى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحيدث من البطحاء فالتقاء بنو
 على بمن معهم من أهل ينقل فوقعت بينهم صكة عظيمة وقتل من
 بني على قوم كثير والمعروف منهم ابن شيخهم سليمان بن سالم ومن
 أصحاب محمد بن ناصر سالم بن زبادة الغافري وسيف بن ناصر الشكيلي
 واحد من الجرحى ، ثم أنه نزل شريعة المحيدث من الجانب الأعلى وأقام
 يحاصره ويضربهم بالتفق والمدفع ووقعت بينهم صكة عظيمة فقتل خلق
 كثير وقتل من أصحاب محمد بن ناصر الوالى محمد بن خلف القيوضى وأحد
 من بني عمه ثم انهم كسروا الماء عن البلد فلم يبق معهم ماء فعند ذلك صالحوا
 على تسليم الحصن ووصل الخبر الى محمد بن ناصر أن سعيد بن جويد دخل
 السليف مع الصواوفة من بني هناة بقومه فأمر القوم بالمسير الى السليف
 فلما وصلها ارسل الى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدوا الطاعة فأبوا
 ووصل اليه الصواوفة من أهل تنعم مؤدين الطاعة، ثم أنه أمر بالركضة على
 حصن المراشيد من السليف فركضوا عليه وهدموه على من فيه من نساء
 ورجال وأولاد، ثم ان سعيد بن جويد طلب التسيار الى بلده هو واصحابه
 فسيره محمد بن ناصر وزوده ، وبقي بالسليف حصن الصواوفة وحصن
 المناذرة : فاما المناذرة فانهم لما رأوا ما أصاب المراشيد صالحوا وأدوا الطاعة
 لمحمد بن ناصر فسلموا ولم يصيبهم بأس وأقرهم مكانهم ، وأما الصواوفة فلم

يؤدوا الطاعة فأقام يقطع نخيلهم والقتل فيهم كل يوم وفسح للبدو من أصحابه الا بنى ياس وقبائل الحضر وكان الحصار فوق شهرين ، ثم أنهم صالحوا على هدم حصنهم بأيديهم فهدموه وكان خلف بن مبارك بالقصير لما رأى محمد بن ناصر مشتغلاً بحرب السليف حاصر الرستاق وقتل واليها الغافرى المقيم بالقلعة فخرج محمد بن ناصر الحراسى من حصن الرستاق فدخله خلف وخلصت له الرستاق وكان سباع العنبورى قد أخذ حصن صحار فلم ير محمد بن ناصر الرجوع عن السليف فيمضى الى الرستاق صحارى فيقوى عليه العدو ؛ ثم ان خلف بالقصير سار على حصن الحزم وكان الوالى فيه عمر بن صالح بن محمد الغافرى فحاصروه ورد الفلج عنه وأرسل اليه خلف أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان فأبى وكتب الى محمد بن ناصر يخبره الخبر وأنهم لم يبق معهم ماء الا بركة قليلة فسار محمد بن ناصر إلى الحزم بعدما صالح أهل السليف وهدم حصنهم بجيش عظيم لا يعلم عدده إلا الله فلما وصل الحزم ركض على أصحاب خلف فقتل من قتل منهم وولوا هارين وتركو آلة حربهم من دوى ورساص وطعام ورجع محمد بن ناصر من الحزم إلى الظاهرة ولم يمر على الرستاق لأنه كان قصده بلاد سبت وحشر من البدو والحضر واجتمع عنده عسكر كثير وسار من الظاهرة إلى بلاد سبت فأرسل اليهم ليؤدوا له الطاعة فأبوا فحاصروهم وأمر القوم بالهجوم عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ركضوا على العارض وهى لبني عدى فأخذوها وأخذوا « غمر » وخلصت له بلدان بنى هناة من العلو ولم يبق فيها أحد منهم فالذى قُتل والذي قُتل والذي طلب التسيار سيره بأمان ؛ وقتل من أصحاب محمد بن ناصر عند الركضة على باب بلاد سبت قدر

عشرة رجال وجرح أناس ثم انه أمر بالمسير إلى نزوى فسار إليها وأقام بها
قدر ستة أشهر بعض الشتاء إلى أن جاء القيض وأرسل إلى أهل البلاد من
أهل منح أن يؤدوا الطاعة فأبوا فجز لهم جيشاً فحاصروهم الجيش وقطعوا نخيلهم
من أهل (الفيقين) و (جرعالي) حتى أدوا الطاعة من بعد ما ذهبت أموالهم ،
وأمر بالمسير إلى الظاهرة ونزل بالغبى وأخذ في جميع القوم حتى اجتمع عنده
خلق كثير من البدو والحضر وأمر على أهل الظاهرة أن يسيروا التمر إلى
الحزم وصحبهم أهل وادي بنى غافر ومن ذويهم وسار هو وجميع من عنده يريد
بلد العوامر من الشرقية فالتقواهم والعوامر وآل وهيبة من بدو وبنى هناة
فوقع بينهم حرب عظيم حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن
ناصر ثم انهم تابوا وثبتوا فوقت الهزيمة على بنى هناة وقتل منهم خلق
كثير واتبعوهم حتى دخلوا حجرة العاقل فرجع محمد بن ناصر ومن معه
غالباً مظفراً وكان في صحبته سيف بن سلطان إلى يبرين ثم أنه وصل إلى
الظاهرة ليجمع قوماً فاجتمع عنده خلق كثير فوصل بهم إلى نزوى وجمع
أهل نزوى وبهلى وأزكى وبنى ريام وسار بهم إلى سيفم وأرسل إلى سعيد
ابن جويد الهناوى ومن معه من أهل العقير والغافات فأبوا فحاصروهم ، ثم
خرج سعيد بن جويد ومر على الظاهرة ووصل إلى صحار فجمع قوماً من
صحار وينقل لان ينقل نكثت الصباح فاجتمع معه خلق كثير وجاء إلى
(عملى) و (ضم) وجمع جملة بنى هناة ومن ذويهم من وادي العلا وجميع
بلدانهم فلما وصل فاج العيشى وأراد أن يركض على محمد بن ناصر وأصحابه
وكان مدة غيبة سعيد بن جويد سبعة أيام ومحمد بن ناصر قد فرق العيون
في الاماكن خيفة أن يهجم عليه على غفلة فأخبرته العيون أن سعيد بن
(٩ - تحفة الأعيان)

جويد أقبل في جمع كثير فأمر أن يلتقوهم دون البلاد فالتقوا (في) صدر الغافات فوق بينهم حرب عظيم وقتل سعيد بن جويد الهناوى وقتل من اصحابه غصن العلوى صاحب ينقل وجملة من أصحابه وانكسر الباقون وأمر محمد ابن ناصر بالغزوة في كل بلد ملكها بهلى ونزوى وبلدان الظاهرة لآظهار الناموس وسحب أصحاب محمد بن ناصر سعيد بن جويد بعد أن قتل إلى حصن الغافات وفيه عياله وأولاده وقومه لينظروه ليؤدوا الطاعة فأبوا فحاصروهم قدر شهرين وفرغ ما عندهم من الطعام حتى أكلوا ما عندهم من الانعام والقائد لأصحاب محمد بن ناصر مبارك بن سعيد بن بدر لأن محمد ابن ناصر رجع من بعد الصكة إلى يبرين ثم انهم صالحوا بعد ما فرغ ما عندهم وقتل من قتل منهم وذهبت أموالهم وكان الصلح على هدم الحصن فهدموه بأيديهم ووصلوهم بأمان ، وبقى حصن العقير محاربا لم يؤدوا الطاعة وفسح محمد بن ناصر لمبارك بن سعيد بن بدر وجعل مكانه راشد بن سعيد بن راشد الغافرى وأقام محاصراً حصن العقير ومعه أهل بهلى ونزوى وأزكى والظاهرة وبنو غافر وبنو ريام وداروا به فلا يخرج منه أحد ولا يدخل حتى فرغ ما عندهم وطلبوا الصلح فصالحهم على هدم الحصن فهدموه بعد ما تلفت أموالهم ولم تبق نخلة ولا فليج وقد أكلوا جميع أنعامهم ومواشيهم فعند ذلك صالحوا فأعطوهم الأمان ووصلوهم ورجع القوم كل الى بلده .

وأما خلف بن مبارك (هـ) جمع قوماً ونزل وادى المعاول وانتقل بهم الى نخل فحاصرها وكان فيها مرشد بن عدى فكث أربعة أيام ثم خرج مرشد من الحصن فأحرقوه وهدموا منه ما قدروا عليه ومع ذلك صالحه

أهل حجرة الجيمي تم عقب عليهم من عقب ودخلوا البلد وهرب أهلها إلى سمانل وبعضهم التجأ في حجرة الجناة مع بني مهلل ثم أن الذين بقوا عند بني مهلل أرسلوا إلى أهل نخل أن يجيئوا من جانب الحمام فجاءوا بقوم من حيث لا يدرون بهم آل مهلل فدخلوا عليهم على حين غفلة منهم وقتلوا منهم من قتلوا فخرجوا إلى وادي المعاول حتى أن المعاول نصروهم وذمروا لهم الحرب إلى حجرة الجناة فكثوا يحاربونهم ثلاثة عشر يوماً لا يهدأ ضرب التفق حتى أنهم انهزموا من الحجرة وكثر فيهم القتل وتخبيوا ، ثم ان المعاول قالوا لا نبغى حجرة في الجناة فهدموها ومكث نخل مدة من الزمان لم يوجد فيها من الانس إلا الكلاب والسباع على القتلى ومن بعد قسموها على بني هناة ومكثوا فيها إلى أن ملك سيف بن سلطان بعد ما بلغ الحلم وأقيم إماماً فعند ذلك سلموها لأهلها وذلك أوان تخليج النخل فصارو يتوسلون بالقاضي ناصر بن سليمان المدادي في نزوى فجاءوا بخط إلى المعاول فسلموها لهم . وأما محمد بن ناصر فجهز جيشاً من البدو والحضر فقصد به بلدان الجبوس من الشرقية من المضبي والروضة والتقى بجيش خلف بن مبارك بالقصير والجبوس وغيرهم من بني هناة بالمضبي فوقع بينهم حرب عظيم وانكسر خلف بن مبارك وتحصل في حجرة المضبي فحاصروهم محمد بن ناصر وقطع أموالهم فطلبوا الصلح والأمان فأمنهم وأدوا الطاعة ولم يعلم محمد بن ناصر أن خلف بن مبارك معهم في الحجرة فجاءه من جاءه وأخبره أن خلفاً معهم بالحجرة فلم يستحسن أن ينكث عهده وصلحه ثم خرج خلف من المضبي هاربا فاتبعه محمد بن ناصر بجيشه حتى وصل إلى ابري ودخل خلف

ابرى ولم يظن أن محمد بن ناصر يتبعه الى ابرى فأقام مع الحارث فأرسل اليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا الطاعة ويخرجوا خلفاً من عندهم فأبوا فأقام على حربهم كل يوم يقطع نخلهم ويدمر أنهارهم فظنوا أن ليس لهم قوة على حرب محمد بن ناصر فأخرجوا خلفاً من عندهم خفية وكان خلف رئيس بني هناة كافة ومضى إلى مكسد ، ثم أنهم صالحوا من بعد خروج خلف وأعطاهم محمد بن ناصر الامان ورجع عنهم وأقام يبيرين وكان أكثر إقامته بها ثم انه سار إلى الظاهرة وجمع منها خلقاً كثيراً وغرب بهم ولم يعلم به من قومه أحد أين يريد فر بيلدان بنى نعيم وجمع بنى ياس وبنى نعيم وغيرهم وسار بهم ومر على نجد الجرى ومر على بلدان بنى قليب فصحبه من صحبه منهم ومضى على خط الباطنة حتى خاف منه أهل صحار فلم يغشهم ثم شرق نخاف أهل فلج الحواسنة ان يدمر واديهم وأصحابه يأخذون كلما وجدوا من ابل وغنم وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو وعلم به خلف بن مبارك بالقصير فالتقاء عند إفلاج عرعر ف وقعت بينهم صكة عظيمة فولى اصحاب خلف هارين ودخل خلف في بيت واتبعه محمد ابن ناصر بقومه ولم يعلم انه في ذلك البيت وظن خلف أن محمداً تركه بعد القدرة فدخل محمد بن ناصر الرستاق وجعل يدمر من انهارها ويكاتبهم أن يؤدوا الطاعة فأبوا ودمر فلج الميسر وفلج بو ثعلب والحمام وقطع شيئاً من النخل ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه حتى أنهم هموا ان يؤدوا له الطاعة فجاء الى محمد بن ناصر خبر أن راشد بن سعيد الغافري أخذ حصن مقنيات والوالى فيه مبارك بن سعيد بن بدر وكان ذلك حسداً منه لمبارك لتقدمه مع محمد بن ناصر فأمر بالنهوض من الرستاق

وتركها بعد مادمز أنهارها ثم ان علي بن ناصر بن حمد الكلباني مضى الى
راشد بن سعيد وناصحه وخلص له الحصن وضمن له أن لا تصيبه عقوبة
من محمد بن ناصر فقبض علي بن ناصر الحصن الى أن وصله محمد بن
ناصر فترك فيه مباركا واليا وترك معه الحواتم وسار قاصداً الى يبرين
فكث بها ماشاء الله ثم وصل بمن معه الى نزوى وبويع له فيها بالامامة
على حسب ما سيأتي :

باب إمامة محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة

ابن خميس الغافري

نسبة إلى غافر جد له ووجدت أنه من سامة بن لوى بن غالب وذلك أن محمد بن ناصر لما كان منه ما ذكرنا من الحروب ووصل إلى نزوى بمن معه أرسل إلى رؤساء القبائل وأهل العلم من غرب عمان وشرقها فاجتمعت إليه جموع كثيرة فطلب إليهم أن يبرأ من الإقامة بالحرب وبأمور المسلمين وأن يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان واعتذر إليهم فلم يعذروا القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد ووالى نزوى عبد الله بن محمد بن بشير بن مداد ومن حضر من المشايخ من رؤساء القبائل ولم يزلوا في معالجة هذا الأمر وغلقت أبواب حصن نزوى والعقر فلا يدخل فيها أحد ولا يخرج يومهم ذلك وليلتهم حتى قرب الفجر فعقدوا له الإمامة وضربت مدافع قلعة نزوى ونادى المنادى له بالإمامة والعز والأمان لكل قبيلة تريد المواجهة من يمن ونزار من بدو وحضر وكان هذا ليلة السبت لسبع ليال خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وألف وانظر في مبايعتهم له بعد تلك الأحداث المتكررة والأحوال المهولة وفي كشف الغمة أنهم بايعوه تقيّة .

قلت ولا يسوغ ذلك لقضاة المسلمين وعلمائهم غير أن الأمر يحتمل أحد شيئين إما أن يكون محمد بن ناصر محقاً عندهم في حروبه السابقة لأن يعرب بن ناصر وأشياعه كانوا بغاة على المسلمين وعلى هذا الاحتمال فيقال ان تلك الأحداث إنما كانت من معرفة الجيش ومن أحداث بعض السفهاء كما وقع بعض الأحداث في جيوش أهل العدل وهم لم يرضوا بذلك ولا صوبوا فاعله والاحتمال الثاني أن يقال أن تلك البيعة كانت

على سبيل الدفاع حتى تضع الحرب أوزارها وللمسلمين أن يقدموا في الدفاع إذا غشاهم العدو من لا ولاية له عندهم إذا رأوا صلاحيته لذلك وأن غيره لا يقوم مقامه فثبتت إمامته عليهم على الشرط الذي شرطوه عليه وتجب عليهم طاعته إذا دعاهم لدفع عدوهم على حسب ما يابيعوه وإنما جازت الإمامة هاهنا لمن لا ولاية له لأن الدفع واجب على الكل فهم إنما قلدوه واجباً عليه رجوا أن يقوم به وأن يكون لهم به الظفر ولا تزيد هذه الإمامة إن لم يصلح منزلة فوق منزلته إلا وجوب الطاعة في الدفاع وذلك إن لم يصلح حاله فإن صلح فلكل درجات مما عملوا ورب إمام بويع أولاً على الدفاع ثم ترقى أمره حتى صار في منزلة الظهور وأكثر الأئمة من بعد مهنا بن سلطان إنما بويعوا على الدفاع فيما يظهر من حالهم إذا نظرت إلى فعل المسلمين في أول ظهور أمرهم بعمان وفي تقديمهم لمحمد بن أبي عفان على ما قيل فيه سهل عليك الأمر واتضح السبيل وبرح الخفا وعلمت أن الدين سهل يسر ثم إن محمد ابن ناصر مكث بزوى حتى صلى الجمعة وارتفع بمن معه إلى يبرين وفسح للقوم وأقام بها قليلاً وبلغه أن مانع بن خميس العزيزي هجم على الغبي وقهر حصنها ونهب سوقها وأفسد فيها وأغار مهنا بن عدى اليعربي وعامر بن سليمان بن بلعرب الريامي وسليمان بن حمير بن علي اليعربي على غالة البركة وأخذوها فعلم الإمام محمد بن ناصر بهم فقصدهم إليهم وأرسل إلى القاضي ناصر بن سليمان والوالي عبد الله بن محمد ليلاحقوه بالقوم من زوى إلى البركة ولم يغش هو زوى ولم يكن عنده إلا قليل من عسكره وخدامه فهجم عليهم وقت الضحى ولم يرد قتالهم وناصرهم على الرجوع ورد ما أخذوا من الغالة فأبوا إلا حربته وقتاله فصنعوا له بومة في مسجد الشريعة الأعلى من البركة وقبضوا الجبل الشرقي وكسروا فالج البركة وصنع الإمام محمد بن

ناصر بومة في المسجد الأسفل من شريعة البركة والجبل الأسفل فكان
بينهما ضرب التفق وقتل رجل من عصابة الركاب من أصحاب محمد بن
ناصر وجرح رجل ثم أنه أمر أصحابه بالركضة عليهم فولوا منهزمين وأسر
منهم ناصر بن بلعرب الريامي وعلي بن صالح صاحب كنه وكان هذا قبل
أن يصله أحد من المدد وأمر بالتمر أن يحمل إلى يبرين ورجع هو إلى
نزوى وأقام بمساجد الغنق منها وكان إرادته حرب أهل تنوف وخرابها
ثم أصلح الله شأنهم وواجهوه وأخذ منهم عهداً لا يخونوه فطابت نفسه
عليهم وسار إلى الغبي فغدف عليهم الحصن ومعه ستة رجال فلم يشعروا
به إلا وهو في أعلا الحصن فخرج مانع العزيزي ومن معه من الحصن
هارين خوفاً منه وقتل خادم لمانع بن خميس وأخذ الحصن وجعل فيه
والياً ورجع إلى يبرين ثم أنه أمر بالحشد على جميع من بطاعته من أهل
عمان فاجتمعت إليه جموع كثيرة فسار بهم من نزوى يريد ضنك ليرجع
الوحاشا إلى بلدعم ويبنى لهم حصنهم الذي بضنك الذي دمره عليهم حين
كانوا في طاعة خلف بن مبارك فلم يرضوا آل عزيز برجوعهم إلى
حصنهم وبيئاته فجمعوا أحداً من البدو ممن يشتمل عليهم وأرادوا
حربه ومن معه من الوحاشا فالتقوا بضنك وأوقع الحرب بينهم
ثم انكسروا وتبدد شملهم فعملوا أن ليس لهم قوة على حربه وقصد مانع
بن خميس إلى السنينة مع النعيم فمضى في طلبه في ناس قليلة من أصحاب
الخيل والركاب السيارة فلم يشعروا به إلا وهو معهم فاسر مانع بن
خميس ورجع إلى ضنك فلما رجع يريد الغبي مر على أفلاج بدو آل
عزيز الذين نهبوا سوق الغبي فدمرهن ورجع إلى الغبي وأقام بها ماشاء
الله حتى حشد من قبائل الظاهرة من شاء من القوم وقصد يبرين وأقام
بها أياماً قلائل وجاء إلى نزوى فنزل بيت المزرع حتى يجمع قوماً منها
ثم مضى إلى أزكى وأخذ منها قوماً ومن جميع الشرقية فخافت منه بنو

رواحة ثم إنه قصد إلى سمائل فلم يزل يناصح البكرين وأهل الحيلي وقوم
عكاشة فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة فصالحوه وأدوا الطاعة فأرسلهم
إلى البكرين ليناصحوهم فلم يقدرُوا عليهم فأمر بالركضة عليهم في ليلة
شائية مظلمة مطيرة ذات رعد وبرق فلم يشعروا به إلا وهو في أعلى
السور مع الحارس يقول عمن تحرس فقال مخافة أن يهجم علينا محمد
ابن ناصر فقال له : هذا محمد بن ناصر عندك ، فخذل أهل الحجره وخرج
الأكثر منهم بأمان منه ولم يبق إلا برج وشيء من الغرف فيه بكر وأولاده
وبنو عمه فكانوا يضربون بالتفق حتى قتلوا عن آخرهم وقتل من أصحاب
الإمام محمد بن ناصر أربعة أحدهم بخيت النوبى مملوك له كان قدمه على
سائر العبيد ضرب بتفق وهدمت الحجره عن آخرها وسلمت له سمائل
زكاة ثلاث سنين وكان قبل أفسد فيها آل عمير وحازوا جميع أموال
الأغياب فرد كل مال إلى أهله وقيد أولاد سعيد أمبوا على وهدم من
حجرتهم ثم إنه أمر بالمسير إلى الجبل من الباطنة ليقطع لخلف بن مبارك
القصير حين نهوضه من مسكد إلى الرستاق فكان محمد يصل هو ومملوك له
إلى الغبرة ثم علم خلف بن مبارك أن محمد بن ناصر قاطع له فلم يخرج من
مسكد وجعل الحرس على الطرق والأسوار ولم تكن له قدرة على ملاقاته
محمد بن ناصر وأقام محمد بالحيل قدر نصف شهر وصالحه المعاول ثم نكثوا
ورجع هو إلى سمائل وذلك أن المعاول وقعت بينهم وبين خلف بن مبارك
شرهه وعتاب وأخذوا عليه حصن بركا وأرسلوا إلى محمد بن ناصر فهبط
والتقوه المعاول وعاهدوه على أن يخربوا مسقط ثم أن محمد ارتفع مغرباً
فظنوا أنه يريد حصن بركا فساروا ونزلوا الحرادى وكان نزول المعاول
وسط قوم محمد بن ناصر فجعلوا خادماً لهم يعمل طعاماً وفرشوا فرشهم
وسار كل اثنين منهم إلى نحو الخور ليصلوا المغرب أو العصر حتى خرجوا
كلهم متسللين لوإذا فدخلوا حصن بركا لينعوه من محمد بن ناصر وأما

ركابهم فإنهم جعلوا عليها طنفاً وقالوا له سر كأنك تسير نحو الفلاة فما لبث حتى دخل بهن وادى المعاول وأما محمد بن ناصر فإنه أرسل إلى المعاول ما خلفوا من متاعهم في عسكره وارتفع هو إلى سمائل وحمل أهله ثم سار يريد البدو من عامر بن ربيعة وآل سعلى ومن اشتمل عليهم من سكان الباطنة فعقر عليهم إبلا كثيرة وكان راكباً على فرس ويده كتارة ورمح يضرب يمينا وشمالا يقطع أعناقها ويعرق أرجلها ولم يرض لأحد أن يأخذ منها ووصل إلى فريق من فرقانهم فقتل رجالهم فصاحت نساؤهم بالأمان يا خلف بن مبارك أنا في طاعتك يظنونه خلفاً فأكثر في قتلهم وهو أمام القوم لم يلحقه إلا أصحاب الخيل والإبل السيارة وسيف ابن سلطان معه لا يفارقه في جميع حروبه وغزواته ثم رجع إلى الحزم فأقام بها أياماً قليلة ورجع إلى سنى من وادى بنى غافر فأقام بها أياماً وفسح لجميع القوم إلا العسكر والعبيد ثم قصد الغبي وأقام بها أياماً ثم رجع إلى يبرين وكان أكثر إقامته بها وكانت البدو من عمان قد أفسدوا جميع الطرق ينهبون ويقتلون فلا يقدر أحد يسافر إلى مكان إلا في جماعة كثيرة وخاصة آل وهيبة ولهم رئيس يسمونه بوخرق فحشدهم بجميع أهاليهم وإبلهم وغنمهم وأمرهم بالنزول حوالى يبرين وذلك قهر منه لهم حتى ماتت إبلهم وغنمهم وضعف حالهم ولم يقدرُوا على مخالفته فلما كانت ليلة أحد عشر من شهر الحج خرج بمن معه من القوم قاصداً آل وهيبة فدمر بلدهم السديرة وقتل من فيها منهم فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان وخرابها من كل موضع ليس فيه ماء يظنون أنه لا يتوصل إليهم لقلّة اهتداء الحضر لتلك الأماكن وقلّة دلائلهم بمواردها فمضى إليهم فقتل ستة وثلاثين رجلاً من أكابرهم وأسروا خمسة وتسعين رجلاً وقتل إبلهم وأغنامهم وحمل الأسارى إلى يبرين مربوطين في الحبال وأما بوخرق فإنه قصد مسكد ودخل مع بنى هناة وقيد محمد بن ناصر الأسارى بيبرين

شهرأ وأرسل بوخرق إلى الإمام أنه لا يضر أحداً ولا يفسد وأمنت
الطرق ثم إن محمد بن ناصر أمر بالحشد على جميع من أطاعه من عمان
من شرقها وغربها فاجتمعت إليه في يبرين جموع عظيمة لا يعلم عددهم
إلا الله وأرسل إلى بني هناة من بلدان وادي العلي والحيل وضم وعمل
فأطاعته جميع بني هناة ولم يعصه أحد وسار قاصداً إلى ينقل ونزل
في أعلا البلد وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن فأبوا وشدوا الحرب فخرج
ذات ليلة رجل من أهل ينقل يقال له عصام فصالح الإمام محمد بن ناصر
إلا أن البلد ليست في يده فقال له ناصح جماعتك لأجل حقن الدماء
فلم يتبعوه وأقاموا بالحرب وكان بيت عصام على السور وله باب صغير
فأدخل محمد بن ناصر ومن معه البلد فقتل من أهل البلد رجلين ثم طلبوا
الأمان فأمّنهم وقيد أشياخهم وحملوا إلى يبرين وترك فيها واليا وأدت له
الطاعة ومضى قاصداً بمن معه إلى صحار وقدم ربيعة بن حمد الوحشي
ليناصح بني عمه حتى يهبطوا من حصن صحار فلما وصلهم قال لهم شدوا
الحرب فلما دخل محمد بن ناصر صحار التفته بنو هناة فوقع بينهم الحرب
وقتل من قتل منهم وجرح ربيعة بن حمد وأخذ أسيرا وانكسرت
بنو هناة ورجعوا إلى الحصن ونزل القوم بالجامع ومحمد بن ناصر في بيت
ابن محمود وشاور محمد بن ناصر ربيعة بن حمد فقال له إن أردت أن
تقيم معنا فعليك الأمان وإن أردت تسير إلى أصحابك بالحصن سيرناك
بأمان فأراد المسير إلى الحصن فسيره وكان مع محمد بن ناصر اثنتا عشرة
فرسا وكان يجعها عيوننا تطالع المشرق لأنه بلغه أن خلف بن مبارك
جمع بني هناة من الرستاق ومسكد وأنه نزل بحصن صحم وكان محمد قد
خلصت له جميع صحار ورعاياها وآمن أهل البلد من جميع الطوائف فلم
يؤخذ على أحد منهم شيء وكانت عنده البدو من بني ياس والنعيم ومن
اشتمل عليهم والحضر فأصبحت ليلة من الليالي قد خرب زرع دخن

من طوى البلد فجاء صاحبها إلى الإمام شاكياً فسأله من خرب زرعك فقال بنو ياس والنعيم والبدو الذين عندك فقال كم غرامة زرعك فقال خذ مائتي محمدية فأبي فقال خذ أربع مائة محمدية فأبي فقال خذ خمسمائة محمدية فقال لا أرضى إلا أن تنصف لي منهم فأرسل إلى مشائخهم فحضروا عنده فأمر بهم فصلبوا وما كانت نصفته إلا الجلد فجلدوهم جميعاً وهم يستغيثون به فلم يغثهم إلى أن انقضت النصفة فأطلقهم من الجبال وكانت هذه حيلة من بني هناة لينفروا البدو وكان هذا من محمد بن ناصر عن جهل بالأحكام فإن أمر التعزير والعقوبات راجع إلى نظر الإمام لا إلى صاحب الحق ولا إلى سائر الرعية وإنما لصاحب الزرع غرم زرعه فقط فإن عرض عليه حقه فلم يقبله فلا حق له ، وقيل يجبر على قبول حقه وليس له أن يتحكم على الإمام في عقوبة الجاني ثم أن البدو خرجوا من عند محمد بن ناصر إلى بلادهم راجعين فعلم خلف بن مبارك بخروجهم فزحف عليهم بمن معه من القوم وهجموا عليهم بعد طلوع الشمس قليلاً فجاء من جاء إلى محمد بن ناصر أن خلفاً وصل بمن معه من بني هناة فقبل انه قال : هذه ساعة ليست لنا ولا لهم إلا ما شاء الله ثم ركب فرسه وركب أصحاب الخيل معه والتقوا خلفاً ومن معه على باب حصن صحار فوقع بينهم القتل وقتل خلف بن مبارك وهو يتبعهم حتى وصل جدار الحصن فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن ضربة تفق وأخذه أصحابه ومات وقتل من أصحابه قدر خمسة عشر رجلاً ودفن خلف داخل الحصن ودفن محمد بن ناصر في بيت غربي الحصن عند حجرة الشيعة ومكث بعد ما دفن ثلاثة أيام لم يعلم بموته إلا الخاصة وكاد أصحاب الحصن أن يسلموه ، وقيل والله اعلم أن احداً بعث محمد بن ناصر من قبره ورمى به خارج البلد وذلك بعد أن رجع كل إلى بلاده فإن صح هذا فلا ابرىء الشيعة منه والله اعلم .

باب إمامة سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان

ابن سيف بن مالك

وهو الصي الذي مات عنه والده صغيراً ومالت إلى تقديمه غوغاء
الناس أهل الشقاق من أكابر الرستاق فكان ذلك سبباً للفتنة العظيمة
والبلاء الطويل « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البيئات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » فكان بسبب اختلافهم ما قصصناه
عليك وما سنقصه إن شاء الله والمك لله الواحد القهار . وكان سيف
ابن سلطان هذا لم يفارق محمد بن ناصر لأن محمداً كان يحمله معه في جميع
حروبه ومواقفه سياسة منه وطمعاً في انقياد الناس بسببه فلما قتل محمد
بن ناصر بصحار رجع ينو غافر ومن معهم بسيف بن سلطان إلى نزوى
وذلك حين ما بلغ الحلم فأقامه القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد
إماماً للمسلمين يوم الجمعة بعد الزوال في العشر الأوائل من شعبان سنة
أربعين ومائة وألف وإنما قدموه إماماً لتقدم ولايته بسبب ولاية أبيه
فإن أباه كان إمام المسلمين وكانت ولايته على رعيته واجبة وأطفاله
تبع له في ذلك حتى يبلغوا ويحدثوا حدثاً يخرجهم من الولاية عند
المسلمين ، وقيل أن البالغ منهم يكون في الوقوف حتى يعلم منه حال يوالى
عليه أو يعادى عليه فتمسك القاضي بأول القولين نظراً منه للإمامة وطلباً
للسداد ومحاولة لجمع الشمل ولإراد لقضاء الله ولا معقب لحكمه فإن سيف
ابن سلطان لبث ما شاء الله ثم أحدث أحداثاً لا يرضاها المسلمون فعزلوه
و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وكان سيف قبل عزله طلب

من الشيخ سعيد بن بشير الصبحي أن يزيد في الفريضة على ما جعل
آبائه وذلك أن المسلمين قد جعلوا للأئمة فريضة معينة في بيت مال
المسلمين حتى نصب محمد بن ناصر فزادوه عليها ولما قتل ونصب سيف
ابن سلطان طلب من المشايخ أن يجعلوا له مثل ما جعلوا لمحمد بن ناصر
وكان الوالي سالم بن راشد البهلوي قد ألح على الشيخ الصبحي في ذلك
فقال الصبحي : لا بل فريضة آباءه لأن العاقدين الإمامة لجدّه الإمام
ناصر بن مرشد رحمه الله لم يألوا جهداً ولم يتركوا اجتهاداً ولو جاز لهم
ووسعهم فوق الألف الذي جعلوه لما بخلوا عليه من الزيادة ولو لكل
يوم ألف ولو جاز لهم ذلك لجاز للإمام قبوله منهم إذ لا غرم عليهم
في أموالهم ولا دخل على الإمام في قبوله منهم إذ صار العطاء المفروض
في بيت مال الله ولو جاز لهم ما اختاروه لجاز للإمام ما فرضوه وأرجو
أنه أخذوا ما فعلوا تأويلاً من قول الله عز وجل « والذين إذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » والقوام العدل بين الأمرين
نخذها سيدنا فريضة هنية وهبة برية لاوبية خارجة على حكم التقية
ولا أعلم أن جدك الإمام سلطان بن سيف ولا جدك سيف ولا عمك
بلعرب ولا أبك سلطان طلبوا ولا أخذ (أحد) منهم زيادة على ما مضى
عليه إمامهم ناصر بن مرشد وتلك فريضة كافية ومات عليها الأسلاف
ولا أريد لك خلاف ما عليه السلف فهذا اختياري والجهدة مني
ولا خفت في أمرك لومة لائم بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك
من الأئمة واختار المسلمون لهم ذلك نظراً ومعونة وموافقة لكتاب
ربهم . قال سالم بن راشد كيف جعلت فريضة الشيخ محمد بن ناصر
أكثر من هذا قال الصبحي أخاف أن يكوز وقوعها من باب التقية
والحلال أولى في حكم الله وحكم البرية وكان هذا نهار ٢١ شعبان

سنة ١١٣٣ ثم غير السيرة بعد ذلك وعزلوه وسار إلى نخل وكان الوالى بها جساس بن عمر بن راشد الحراصي فادخلوا بلعرب بن حمير إلى الحصن وسيف بن سلطان بالبطحاء فلم يدروا بدخوله ومنعوا الحصن من سيف ونهض سيف بن سلطان إلى بطحاء (قى) من وادى المعاول وأرسل خاله سيف بن ناصر (إلى) مسقط فقبضها وأما بلعرب بن حمير فأقاموه بنزوى إماما .

باب إمامة بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف

ابن مالك بن بلعرب اليعربي

بويح له ينزوي بعد عزل سيف بن سلطان في سنة خمس وأربعين ومائة وألف وتبعته فرقة من عمان وخلصت له سمائل وأزكى وبهلي ونزوى ونخل والشرقية وحصون الظاهرة وأما حصون الباطنة ومسكد والرستاق فإنها في يد سيف بن سلطان ثم جهز الإمام بلعرب جيشاً إلى وادي بني رواحة وبعث سيف بن سلطان أخاه بلعرب بن سلطان ومن معه من القوم نصرة لبني رواحة فوقع بينهم الحرب وانكسر بلعرب بن سلطان وقومه وانهمز أكثرهم وبقيتهم تحصنوا في حجرة وبال فحاصرهم الإمام أياماً يقطع نخيلهم إلى أن أدوا له الطاعة وفسح للقوم وأمنهم وارتفع عنهم بعد ما هدم بروجهم . ثم سار إلى بلاد سبت فحاصرها أياماً وافتتحها وهدم بنيانها وقطع نخيلها ودمر أنهارها . ثم سار إلى حصن يبرين وكان به بنو هناة تركهم فيه سيف بن سلطان فحاصرهم إلى أن أدوا له الطاعة فسيرهم بأمان هم وعيالهم ومتاعهم وأوصلهم إلى بلدانهم وأما سيف بن سلطان فإنه بعث إلى أهل مكران فجاءه قوم من البلوش أصحاب النفاق وحشد من معه من رعيته من الرجال وسار بهم إلى الجوف فالتقاهم بلعرب بن حمير بقومه فاقتلوا قتالاً شديداً حتى كادت أن تقع الهزيمة على أصحاب بلعرب فصبروا فوَقعت الهزيمة على أصحاب سيف والبلوش وانكسروا ووقع فيهم القتل والنهب في الطرق ومنهم من مات من العطش ثم أن سيف ابن سلطان جعل يكتب الأعداء من العجم لينصروه في ظنه وهم يريدون

ملك عمان وخرابها فأجابوه فنزل جبش العجم بخور فكان آخر ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومائة وألف وقصدوا الصير فخرج سيف بن سلطان من مسكد إليهم وحشد بلعرب بن حمير ومضى ليتلقاهم وخرج من نزوى أول شهر المحرم سنة خمسين ومائة وألف والتقى الجيشان بالسمني : سيف وعجمه والإمام بلعرب ومن معه وذلك في غرة شهر صفر سنة خمسين ومائة وألف ووقع بينهم حرب قليل آخر النهار وانكسر بلعرب وقومه واعتصموا بالجبل وقتل ناس قليل وبعضهم ضل الطريق وقتل بعضهم في الطريق ولم يرجع أحد منهم بدابة ولا سلاح ولا بشيء من حوائجهم إلا قليل منهم ونهبوهم في الطريق واستولى سيف بن سلطان على الجو وضنك والغبي وأدت جميع قبائل الظاهرة خراجاً عظيماً للعجم ودخلت حجرة عبري ووقع فيهم قتل عظيم وسلب جميع ما لهم وحملت نساءهم وقتلت الأطفال واصابهم ذل وهوان وبيعت نساؤهم وحملت إلى شيراز ورجعت العجم إلى الصير وأما سيف بن سلطان بن سيف فإنه مر إلى بهلي ووقع الحرب بينهم وبينه ثم تصالحوا وولى عليهم والياً وهو سالم بن خميس العبري ومضى فبات طيمسا فقليل أن أكثر العسكر من نزوى هربوا من الحصن وكاد بلعرب ابن حمير أن يخرج هارباً من نزوى إلا أن سيفاً لم يقصد نزوى ومضى إلى منح ومر على ازكي وقصد إلى سمائل وأناخ بفلج العد وكاتب قبائل وادي سمائل ليصل إليه مشائخهم فلم يلبث أن واجهوه فسار مجاوزاً إلى مسكد ولم يتعرض للحصون ثم بعد ذلك وقع الحرب بين والي الغبي من قبل سيف بن سلطان وبين بني غافر واستولت بنو غافر على الغبي ووقعت المخادعة من أهل بهلي وأدخلو بلعرب بن حمير الحصن واستولى على بهلي .

نم إن سيف بن سلطان زاد قوما من العجم من شيراز و ضمهم مع أصحابهم في الصير وتوجهوا إلى عمان وذلك في اليوم التاسع عشر من شوال سنة خمسين ومائة وألف وصالحتهم قبائل الظاهرة ووصلوا إلى بهلي فوق بينهم الحرب وقتل من العجم كثير وكذلك من أهل بهلي ودخلت العجم بهلي في ثالث عشر من ذي القعدة واستولوا عليها فهرب من هرب من أهل البلد وقتل من قتل من الرجال والنساء والأطفال واستولوا على جميع ما فيها وتركوا في الحصن رابطة ومضوا إلى نزوى أول شهر الحج وهرب بلعرب بن حمير من نزوى إلى وادي بني غافر وثبتت بنو حراص في قلعة نزوى وصالح أهل نزوى العجم فلما تمكنت العجم في نزوى وضعوا عليهم الخراج وعذبوهم بأنواع العذاب وقتلوا الرجال والنساء الكبار والأطفال الصغار وحملوا من النساء من ارادوه وفعلوا في نزوى افعالا قبيحة وأذاقوهم أليم العذاب حتى قيل أنهم قتلوا من أهل نزوى مقدار عشرة آلاف من النساء والأطفال ولم يسلم من أهل نزوى إلا من قدر على الهرب وهم قليل والله المستعان وسيف بن سلطان من ذلك النصيب الأوفر من الوزر حيث قاد إليهم الأعداء ونسى ما وقع فيهم من آبائه وظن أنهم ينصحون له وهم أعداؤه وما ينتج رأى السفية إلا مثل هذه الأفعال القبيحة .

لا تأمن قتي أسكنت مهجته غيظاً وتحسب أن الغيظ قد زال
إن الأفاعى وإن لانت ملامسها تبتدى عطافاً ونخفي السم قتالا
ولم تقدر العجم على القلعة والحصن من نزوى وخرجوا منها
في سادس عشر من الحج ومروا على أزكى فصالحوهم وأدوا لهم الخراج
وأقاموا يوماً وليلة ومضوا قاصدين إلى الباطنة ودخلوا مسكد في أربعة
وعشرين من ذي الحجة واحتوا على البلد وما فيها ولم يبق سوى

الكتبان وأقاموا محاصرين الكيتان إلى يوم خامس من صفر سنة إحدى وخمسين ومائة وألف وانكسروا ومضوا إلى بركا وصحار فرد شر سيف عليه جاء ليقهر بهم صديقه الذي يزعم أنه عدوه فطلبوا قهره بنفسه وحاصروا حصونه وهرب هو عنهم في مراكب في البحر حتى نزل بركا وخرج الطو وتلقوه أهلها بغزوة وصحبوه إلى نخل وسار إلى الظاهرة والتقى هو وبلعرب بن حمير بوادي بني غافر ودار نظر من مشأخ حضر من مشأخ بني غافر وغيرهم أن يستعفوا بلعرب بن حمير عن الإمامة ويرجعوها لسيف ابن سلطان رضاء له ودفعا لشره وقطعا للفسدة العظمى وإنما كان هذا من رؤساء القبائل وشيوخ البلدان دون أهل العلم والفضل فما بلى أهل عمان هذا البلاء إلا بمخالفة أهل العلم وأهل الفضل فإله يحفظ لنا ديننا ودينانا وبقية بلادنا .

باب تغلب سيف بن سلطان على الأمر

وذلك أن بلعرب بن حمير استعفى من الإمامة حين رأى ما رأى
وطلب منه ذلك من طلب فتسمى بها سيف بن سلطان واجتمعوا
حين رأوا المكروه من العجم وصاروا يداً واحدة وانقطع العجم الذين
خرجوا إلى حصار مسكد عن أصحابهم الذين يبلى وذلك أهم ساروا
من مسكد بعد أن أيسوا منها إلى بركا وصحار فلما استبطأهم أصحابهم
الذين يبلى وانقطعت عنهم أخبارهم بعثوا منهم نحو مائة فارس ليأتوا
إليهم بخبر أصحابهم من مسكد فمروا على سمائل اول النهار يوم ثامن
من شهر صفر فتلقاهم اهل وادى سمائل وحمير بن منير بقومه فقتلوا
أكثرهم ثم سار حمير بن منير بمن معه من العسكر وأهل ازكى وبنو ريام
إلى بهلى يوم تاسع عشر صفر ودخلوها يوم أحد وعشرين واستولوا
عليها واحتصن العجم فى الحصن فحاصروهم ثم خرج منهم قوم فقتل
أكثرهم وبقى من بقى من العجم لم يخرجوا من الحصن خوف القتل
إلى أن جاءهم سيف بن سلطان ومن معه فأخرجوهم بسلاحهم ومتاعهم
ودوابهم وأوصلهم بأمان وأصحابهم مبارك ابن مسعود الغافرى إلى صحار
وكان أحمد بن سعيد البوسعيدى واليا على صحار من قبل سيف بن سلطان
فقتل أن العجم لما وصلوا صحار حبسهم أحمد بن سعيد بصحار حتى
مات أكثرهم وإن ذلك من أول الأمور التي ظهر بها أحمد بن سعيد
وأما العجم الذين انكسروا من مسكد فإنهم ساروا إلى الصير وفيها
إخوانهم وركب منهم أناس إلى بلدانهم وبقيت منهم بقية بالصير ما شاء
الله من الزمان وسار إليهم سيف بن سلطان بجيش عظيم من البر وسير

إليهم المراكب من البحر فلما وصل بلدخت قرب الصير جاءه الخبر ان
مركب الملك قد احترق وغرق بمن فيه فعزم على الرجوع فرجع عنهم
إلى عمان وبقوا هم بالصير ودانت له جميع حصون عمان وادت له الرعية
الطاعة فلبث على ذلك ثم ظهرت منه أحداث لم يرضها المسلمون
ولا رضوا مبدأ أمره ولا منتهاه ووضع الخراج على الرعية واتفقوا على
غيره فنصبوا سلطان بن مرشد على حسب ما يأتي إن شاء الله تعالى .

باب إمامة سلطان بن مرشد بن عدى اليعربى

وهو آخر أئمة اليعاربة فيما انتهى إلينا علمه بويع له بعد أن استغاثت الرعية من أحوال سيف بن سلطان فاجتمع من شاء الله من مشايخ العلم من بهلى ونزوى وأزكى ورؤساء القبائل من بنى غافر وغيرهم من أهل الظاهرة ووادى سمائل ومشايخ المعاول فعقدوا له الإمامة بجامع نخل ليلة الحج أى ليلة عرفة سنة أربع وخمسين ومائة وألف فاستقام بحمد الله على الحق والعدل وخلصت له الحصون من سمائل ونخل وأزكى ونزوى وبهلى والشرقية وسالته القبائل من الفريقين والحمد لله كثيراً ثم جهز الإمام جيشاً إلى الرستاق وسار فيه بنفسه وكان سيف بن سلطان قد جمع قوماً كثيراً من أهل الرستاق وغيرهم خارجاً عن البلد نحو ثقباب فلج الميسر يريد لقاء الإمام فلما أحس أن لا طاقة له بحرب الإمام انهزم ليلاً عن أصحابه وترك بعض المؤونة من تمر وغيره فلما وصل الإمام صباح الجمعة آخر شهر شعبان لم يجد سيفاً ودخل الإمام الرستاق فتلقيه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة لما رأوه أهلاً للإمامة وآزره أهلها واحتوى على جميع رعاياها ولم يبق إلا الحصن فلبث في حصاره سبعين ليلة وافتتحه وقد كان سيف ترك فيه عبيده ووالدته وبعض عياله ثم سار سيف بن سلطان إلى مسكد وجمع قوماً من المطرح ومسكد، والسيد، وبركا، ولبث ببركا فبعث إليه الإمام بعض قومه وأمر عليهم أخاه سيف بن مهنا إلى بركا فالتقاهم سيف بن سلطان بقومه فاقتلوا فقتل من قوم الإمام قليل وقتل من أصحاب سيف بن سلطان كثير ولم ينج منهم إلا من انهزم أو ألقى بيده وأذعن بالطاعة للإمام.

وأما سيف بن سلطان فإنه انهزم إلى مسكد ورجع سيف بن مهنا إلى الرستاق منصوراً من الخلاق ثم جاءت لسيف بن سلطان ثيبة^(١) من بدو الظاهرة مقدار خمسمائة رجل فيما قيل فلما وصلوا الحزم طلع هو من مسكد وأقام يجمع قوماً من الباطنة فجاءته عساكر كثيرة من عامر ربيعة مرادهم نصرته وكان من قضاء الله وقدره السابق في علمه أن البدو الذين معه اقتتلوا وقتل من عامر ربيعة كثير وانهزم الباقون منهم وبقي البدو الذين من الظاهرة مع سيف بالحزم يزعمون دخول الرستاق ثم انهم لم يجدوا قدرة على ذلك فرجعوا إلى بلدانهم وأما سيف فإنه لما آيس من الناصرين سار إلى مسكد وترك عياله وعبيده محصورين وذلك قبل فتح حصن الرستاق للإمام فلما آيس من في الحصن من نصرة سيف لهم أرسلوا يطلبون الصالح من الإمام والأمان ليخرجوا بما عندهم من المتاع فأمنهم الإمام وخرجوا من الحصن بما لهم ودخل الإمام الحصن في اثني عشر من ذي القعدة من هذه السنة وجعل في الحصن واليا ومعه عسكر من جنابه وجعل معهم أخاه سيف بن مهنا ثم ارتفع منها بعد خمسة أيام ببقية قومه وحشد قوماً من الرستاق ومر إلى نخل وحشد منها ومن رعاياها قوماً ثم وصل إلى بدبد وحشد من وادي سمائل ومن أزكى ورعاياها وسار متوجهاً إلى مسكد يوم الخميس ثانی ذی الحجة من هذه السنة وقد اجتمع عنده قوم كثير فلما وصل إلى روى ليلة رابع من هذا الشهر ترك المعقل في روى فسار بأكثر قومه ليلاً إلى مسكد وركض عليهم بقومه على الجبال

(١) تكرر هذا اللفظ وقد سبق أن صحناه الكشبية وهو المراد وكنا نظن أنه

تصحيف من الناسخ فاذا هي لغة عماينة فليتبنيها : مصححه .

فأحذروهم من الجبال وجميع المقابض وهزمهم الله وافتتح الإمام مسكد
بجميع مقابضها ومعاقها وقت الضحى من يومه سوى الكيتان فاتهما
بقيا محاربين وأما كوت المطرح فبعث له الإمام بعض القوم في تلك
الليلة فأخذوه قهراً وحباه الله من لدنه نصراً وركب سيف بن سلطان
البحر وبعث له الإمام مراكب في طلبه فيهن بجاد بن سالم وعسكر
من قوم الإمام فجاءتهم ريح وفرقت المراكب دون خورفكان ورجع
بجاد بمن معه ثم أن سيفاً انكسرت من مراكبه بعض دقائه وأجرى
أخشاباً توصله إلى خورفكان ونزل بها ومعه قدر ثمانية أنفس على خيل
قاصدين العجم فقيل أنه لما علمت العجم بوصوله أتاه قوم منهم على خيل
وأخذوه وساروا به إلى الصير وبقى المراكب في خورفكان فأخذه أحمد
ابن سعيد وكاتب سيف بن سلطان أهل شيراز ليأتوه بقوم فجاءوا إلى
عمان ونزلوا بصحار وهم مقدار عشرين ألفاً فيما قيل والله أعلم بذلك
أحمد بن سعيد وهو يومئذ في بلد العوابي ونزلت العجم حول حصن
صحار وحاصروه حصاراً شديداً حتى كاد الحصن أن يهدم من شدة ضربهم
إياه بالمدافع حتى قيل إن رصاصة المدفع وزن ثلاثة أمان فحاصروه وبنوا
فيها بنياناً قوياً وكان الإمام محاصر الكيتان وفيهن عبيد سيف بن سلطان
فأرسل الإمام أخاه سيف بن مهنا إلى واد سمائل والظاهرة فأخذ منهم قدر
خمسمائة رجل أو أكثر فوق من معه وساروا إلى صحار ووقع الحرب
بينهم ليلاً ونهاراً وقيل أن في يوم واحد ضربت العجم ألفاً واثنى عشرة
ضربة مدفع فعلم الإمام بذلك فسار هو وأخوه سيف بن مهنا إلى الظاهرة
فخشدوا منها من بدوى وحضر وها هنا انقطعت السيرة التي نأخذ عنها

هذه القصة ولم نجد تمامها الا من كلام الشاعر ابن رزيق قال ابن رزيق في شرحه لبائته التي في السير : كان عدد العجم المحيطين بصحارستين ألفا وقيل خمسين ألفا وعدد مراكبهم خمسمائة سفينة وقيل بل أكثر من ذلك قال ومضت سرية من العجم عراة إلى وادي المعاول فبلغوا دون مسلمات فكسروهم المعاول ومضت منهم سرية إلى قربات فقتلوا منها خلقا كثيرا وأسروا نساء وصبيانا فبعثوا بهم إلى شيراز فبيعوا ببيع العبيد ومضت منهم سرية كثيرة العدد إلى مسقط فواقهم سيف بن مهنا اليعربى في سيح الحرمل وكان سيف بن مهنا يومئذ هو القابض لمسقط والمطرح من قبل الإمام سلطان بن مرشد ف وقعت بينهم ملحمة عظيمة فانكسرت العجم إلى روى ثم أتوا في اليوم الثاني فقاتلهم سيف بن بقي من العرب فقتل هو وقتل معه من اليعاربة ثلاثون رجلا ومن سائر قومه خلق فكان عدد قتلى العرب ثمانين رجلا وقتل من العجم خلق كثير ومضت العجم إلى مسقط فوثبوا على الكوتين فنصبوا عليهما السلام فانكسروا ثم أتهم زيادة من أصحابهم المحيطين بصحار فوثبوا عليهما فأخذوهما وعسكروا بمسقط قال : ولما وصل الإمام سلطان بن مرشد الخابورة وكان قد جمع قوما كثيرا من الظاهرة والريستاق بلغه أن العجم بعثوا شرذمة منهم إلى القصير وصحم وأن أهل البلدين قد خرجوا إليهم وهم مشتغلون بالسلب والنهب فوضعوا فيهم السيف فكشفوهم وقتلوا أكثرهم فلم يرجع منهم إلى صحار إلا القليل قال وأمر خان العجم أشجع فرسانه بالفارة على صحم والقصير فصادفهم الإمام سلطان ومن معه من القوم دونهما فكشفوهم وقتلوا من فرسان العجم رجلا كثيرة ثم صار الإمام بن معه إلى مناجزة

العجم الذين بصحار وكانوا قد تهيئوا لهم وعبئوا صفوفهم فالتحم القتال بين الصفين وكانت وقعة عظيمة وكان جيش العرب عند جيش العجم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وقتل أمير من العجم يقال له كلب على وقتل من خواصهم خلق كثير وقتل من العرب مهنا بن سلطان وثلاثون رجلا من اليعاربة وكثير من سائر القوم حتى إنه لم يبق منهم إلا القليل كذا قال ومهنا بن سلطان لم يسبق له ذكر في القصة وإنما سبق ذكر لأخي الإمام من أمه سيف بن مهنا وهو الذي سار معه للحشد من الظاهرة قال وأصابته الإمام سلطان بن مرشد جراحات من سيوف العجم ورماحهم فلما أئخنته الجراحات دخل الحصن عند أحمد بن سعيد السعدي فلبث في الحصن ثلاثة أيام وقيل يوماً واحداً ثم توفي غفر الله له وللمسلمين المجاهدين معه في الدين قال وكان سيف بن سلطان يومئذ بالحزم وقد استرسل عليه البطن فلما بلغه قتل الإمام سلطان بن مرشد حزن عليه حزناً شديداً قال ولم يلبث أياماً قليلاً إلى أن مات قال ولم تزل الحرب قائمة على ساقها بين أحمد بن سعيد والعجم فلما رأت العجم شدة ذلك ضعفت عزيمتهم وكاعت نفوسهم وطلبوا السلامة والنجاة فصالح أميرهم أحمد بن سعيد على الارتحال بما معهم فأجابهم إلى ذلك وأدخل أميرهم الحصن ومعه عشرة رجال من خاصته للكرامة فقدم لهم الطعام فلما أكلوا وشربوا قال أميرهم لأحمد بن سعيد وسع لأصحابنا الذين يسقط يحملوا ما بقي معهم من آلة الحرب وغيرها كما وسعت لنا وعبرهم في خشب إلى بندر عباس فقال أحمد ابن سعيد إن شاء الله ولم يزد على ذلك كلمة وخرج أمير العجم ولم يمكث في صحار إلا يومين فركبوا سفائنهم

ومضوا إلى بندر العباس وبعد ما رحل العجم من صحار سار أحمد بن سعيد إلى بركا ومعه من القوم ألفان فلما وصلها استخلص حصنها بغير حرب وكان حصنها يومئذ بيد المعاول وأهل حبرى ثم رجع إلى صحار فكتب إلى وليه الذي تركه في بركا وهو خلفان بن محمد السعيدى المعروف بالمحل أن ينصب قبايين في بركا لوزن الأمتعة التي تجلب من الهند وعمان وتباع بالوزن كما كان ذلك في أيام دولة سيف بن سلطان بمسقط ففعل خلفان بن محمد ذلك فاستقامت سوق شريفة في بركا وسارت إليها الخشاب والركاب كما كانت تسير إلى مسقط والمطرح وكثرت فيها التجار وانتهى إليها وفود عمان والظاهرة للبيع والشراء وحملوا ما يحتاجون إليه منها فانقطعت المادة عن العجم القبايين بمسقط والمطرح وضجروا بمقامهم وانقطع المواد عنهم وارتحال أصحابهم من صحار وزاد عليهم الخوف لما بلغهم عن سيف بن سلطان أنه مات فبعثوا رسولا منهم إلى الحزم أن يجيء إليهم رجل من اليعاربة وهو أقربهم نسباً إلى سيف بن سلطان فلما بلغ أهل الحزم رسول العجم بعثوا رجلاً من أرحام سيف بن سلطان يسمى ماجد بن سلطان فلما بلغهم أمره بالسير إلى شيراز وكتبوا كتاباً إلى الشاه يخبرونه فيه بموت سيف بن سلطان وأن لواصل إليه هو أقرب رحماً إليه وإنهم بقوا في مسقط والمطرح في أضييق حصار وقد قطعت عنهم العرب المادة وقالوا لماجد اظهر الطاعة للشاه وجدد العهد بينك وبينه فإنه إن كتب لنا بتخليص ما بأيدينا من معاقل مسقط والمطرح فخلصناهن لك فأجابهم ماجد إلى ذلك فمضى على سفينة صغيرة إلى بندر العباس ثم ارتفع إلى شيراز فلما واجه الشاه وأعطاه الكتاب الذى

أعطته أصحابه القابضون معاقل مسقط والمطرح وقرأه وأقامه في دار الضيافة ثلاثة أيام ثم كتب له لأصحابه بتخليص ما بأيديهم من المعاقل إليه فلما رجع أصحاب السفينة التي ركبها الطوفان فقدفها إلى صحار فضى إلى أحمد ابن سعيد في حصن صحار وأخذ منه خط الشاه إلى أصحابه بتخليص معاقل مسقط والمطرح وأمر خميس بن سالم ابو سعیدی أن يعضى بكتاب الشاه إلى مسقط ويقبض معاقل مسقط فضى خميس ابن سالم ومعه أربعمائة رجل من قوم أحمد بن سعيد فلما وصلهم وألقى إليهم الكتاب ظنوا أنه رجل من جماعة ماجد بن سلطان وقد بعثه ماجد إليهم فسلموا له المعاقل كلها فترك فيها خميس بن سالم أصحاب أحمد بن سعيد الذين أتى بهم من صحار قال فكان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة أربع وخمسين ومائة وألف وقيل سنة ست وخمسين ومائة وألف قال وكتب خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد بقبض معاقل مسقط والمطرح من العجم فلما قرأ الكتاب مضى إلى بركا وكتب إلى خميس ابن سالم أن يأتيه بالعجم إلى بركا وبعث إليه بالثني رجل من رعية صحار وبركا ليركهم في معاقل مسقط والمطرح ففعل خميس ما أمره به ولما وصل إلى بركا ومعه العجم ضربوا خيامهم بالقرحة وبعث إليهم أحمد بن سعيد الضيافة ولخيلهم بالطعام قال أخبرني أبي محمد بن رزيق عن أبيه جدي رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان والشيخ معروف بن سالم الصائفي والشيخ خاطر بن حميد البداعي والشيخ محسن العجمي القصاب وقد دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما رجع العجم من مسقط إلى بركا في صحبة خميس بن سالم السعیدی وفيها يومئذ أحمد بن سعيد ضربوا

خيامهم في القرحة فما ير أحد على حلة من حلة بركا إلا رأى فيها قدوراً
تفور بالطعام ضيافة للعجم من أحمد بن سعيد ولا ير أحد بحلاو في سوق
بركا إلا يصنع بأمر أحمد بن سعيد حلوى للعجم ولا ير أحد على زراع
إلا يجز زرعه بأمر أحمد بن سعيد لخيول العجم وما بات أحد يدعى أن
له فلساً على أحمد بن سعيد فضلاً عن الدراهم قالوا وكلام الناس على حدة
أن العجم لا يستحقون هذا وإنما يستحقون أن تضرب أعناقهم بالسيف
قالوا وبعد ما خيم العجم ببركا لثلاثة أيام خرجت موائد كثيرة للعجم في
صواني رحبة ودخل أكابرهم الحصن مع رسول أحمد ابن سعيد وعدد من
دخل الحصن من أكابرهم خمسون رجلاً فما كان بعد دخولهم الحصن
إلا ساعة من النهار حتى ضرب طبل في الحصن ومعه مناد ينادى ألا من له
وتر في العجم فليأخذه منهم قال فما استتم كلامه إلا والصائح على العجم
يصيح من كل مكان نخرج الصغير عليهم خلف الكبير من أهل بركا
ومن انضاف إليهم من سائر البلدان فوضعوا فيهم السيف ففشا القتل
فيهم وما بقي منهم إلا قدر مائتي رجل يصيحون الأمان الأمان يا أحمد فلما
بلغ أحمد كلامهم نادى المنادى من الحصن ارفعوا عنهم السيف فرفع عنهم
السيف قالوا وأما أكابرهم الذين دخلوا الحصن فإنهم قتلوا جميعاً . قلت
ولعل إكرامهم الأول سياسة يحاول بها القبض على الخمسين المذكورين
ليتمكن من قتلهم ولا يقال إنه قتلهم في أمان فإنه لم يذكر في سياق القصة
كلمة تدل على التأمين والحرب خدعة قالوا ثم إن أحمد بن سعيد أمر بتعبير
من بقي من العجم في سفن أهل بركا إلى بندر عباس فلما بلغوا بهم هذا
جبل السوادى خرقوا بهم السفن وسبغ أهل بركا إلى البر وهلك العجم

كافة بالفرق قالوا ثم إن أحمد بن سعيد أمر على خميس بن سالم السعدي
رجوعه إلى مسقط وأمر أن يصحبه كل من كان يسكن مسقط ومطرح
وكانوا جميعاً قد هربوا خوفاً من العجم فلما وصل خميس وممن معه لم
يعرف أهل مسقط حدود بيوت حللها الخارجة من السور نخرابها بمرابط
خيل العجم وروثها فاقتتلوا فكان عدد قتلام ستين رجلاً ثم قسم بينهم
خميس بن سالم تلك الأمكنة بالتحري وباراً بينهم في الدماء فصارت مسقط
والمطرح في عمار بعد الخراب ثم مضى أحمد بن سعيد إلى الرستاق ففتحها
ومضى إلى سمائل فاستخلصها بغير حرب ومضى إلى أزكي فأذغنت له
فقبض حصنها بغير نزاع ثم مضى إلى نزوى فسلمت له ثم مضى إلى بهلي
فأطاعته وقبض حصنها وأتاه سليمان بن محمد بن عدى اليعربي من سمد
الشان وكان سليمان بن محمد والياً للامام سلطان بن مرشد أيام حياته فسلم
محمد له الحصن فقبضه أحمد بن سعيد وأنعم عليه بحصن نخل وتعهدهوا
أن لا يخون أحدهما صاحبه قال ابن رزيق فهذا سبب انتقال ملك اليعاربة
إلى أحمد بن سعيد قال وما بقي لأحمد بن سعيد منازع من اليعاربة إلا بعد
مدة طويلة قام عليه بلعرب بن حمير اليعربي وقتل في وقعة فرق وهي
وقعة شديدة كانت بينه وبين أحمد بن سعيد فكان النصر لأحمد بن
سعيد وقتل بلعرب وقتل من قومه خلق كثير قال وكان بين هذه الوقعة
والوقعة التي بالطيب من الظاهرة من المدة اثنتا عشرة سنة ، قال وهي
حرب جرت بين أحمد بن سعيد وبين ناصر ابن محمد بن ناصر الغافري
وكان النصر فيها لناصر بن محمد ، قال وقتل من قوم أحمد بن سعيد اثنا
عشر ألفاً ، هذا من كلام ابن رزيق إلا ما كان من إصلاح في لفظه

وحذف لبعضه لأجل إصلاح التركيب ولم نجده مأثوراً عن غيره فالله أعلم بصحته ، ولا يرضون الكذب وإنما نخاف التساهل في النقل فقد رأينا بعض الناس يأخذ الأخبار من لسان العامة ثقة بهم ولسنا ممن يثق بالعامة فإن غالبهم ليس ضابطاً أو أكثرهم لا يحسن النقل . والله أعلم بحقيقة الأمر .

باب امامة بلعرب بن حمير

مرة أخرى على معنى ما يقتضيه كلام بعض المؤرخين فان سياق التواريخ يقتضي أنه بويج له مرتين : مرة قبل سلطان بن مرشد وذلك في سنة خمس وأربعين ثم استعفى عن هذه الامامة وترك الامر لسيف بن سلطان حين خافوا على عمان من العجم بافتراق سيف وبلعرب على حسب مامر ، والمرة الثانية بعد ذلك ولم أقف لها على تاريخ غير أن في كلام بعضهم ما يدل على أنه كان ذلك في آخر عمر سيف بن سلطان قبل موته وفي كلام حبيب بن سالم ما يقتضى أنه بويج له على الدفاع ، وحكم هو ومن معه من المشايخ بتغريق أموال سيف بن سلطان لاستغراقها في الجنايات والمظالم . قال ذو الغبراء - خميس بن راشد - وقد ذكر الشيخ حبيب ابن سالم قال وهو الذي حضر مع الامام بلعرب بن حمير وكثير من العلماء بحضرتهمما فحكوا باستهلاك مال سيف بن سلطان باتيانه العجم بعمان فسفكوا فيها الدماء وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، قال وأما الشيخ سعيد ابن بشير الصبحي فقد مات قبل دخول العجم بعمان ، وذكر في التغريق كتباً تاريخ بعضها ثامن ذى القعدة سنة سبع وخمسين ومائة وألف ، وبعضها في أول المحرم من سنة ستين ومائة وألف منها كتاب فيه نصيحة من مشايخ بني خروص للامام ومن معه من العلماء قالوا فيه بعد البسملة والثناء : طرقت الينامن جنا بكم الشريف العالى المنيف اشارات لأئمة وبراھين واضحة تشير إل الحكومة باملاك السيد سيف بن سلطان بن سيف اليعربى يسلك بها سبيل أموال بنى نهان فذلك قول من أقوال المسلمين ورأى

موافق مبين ولا مطعن فيه إلى من طعن ولكن هل لكم ياساداتنا
ومشائخنا أن تأخذوا بالقول الآخر وتأخروا عن هذا المال جهداً
وتعرضوا عنه كرماً وزهداً والله أولى بسيف وماله وهو المناقش عن
أخذه وماله وحسبكم الله في الظالمين فإن لله سطوات ونقعات ، وقد
قال الله في كتابه العزيز « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون »
وليس هذا منا اعتراضاً على المشائخ العلماء والسادة الحكماء الذين لهم
في العلم والزهد الدرجة العليا والشرف الأسنى ، ولكننا لما نجد
لكم في قلوبنا من المودة وجميل الصحبة فاعذروا وسامحوا واغسلوا
درن غيظكم بفيض منكم وفضلكم والاصل كل الامر لله وما كان وما
يكون فبقضاء سابق من الله الإله الحكم وإليه ترجعون ، وعليكم وكافة
ذويكم منا السلام جزيلاً يتجدد بكرة وأصيلاً ، وذلكم من أفقر عبيد
الله وأحوجهم إلى رحمة الله أصفياكم المحبين للحق وأهله : محمد بن خميس
ابن مبارك ومن شاء الله من رجال بني خروص ، وكاتب الأحرف الواثق
بالله عبده سعيد بن محمد بن راشد بن محمد ومهما سئح لكم من أرب
فالحجون مستقيمون لما يبدو . تاريخ الكتاب يوم السبت لتسع خلون من
شهر المحرم سنة ستين ومائة والى هجرية إسلامية .

فأجابهم الإمام بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم من إمام المسلمين
بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربى إلى المشائخ المحبين محمد بن خميس
وسعيد بن محمد بن خروص سلمهما الله تعالى ، وكتابكم الشريف وصل
وسرنا حال سلامتكم وذكرتم في التغاضى والاعفالى والاعراض عما خلفه
سيف بن سلطان بن سيف اليعربى مالم تقم الحجة وتنزل البلية فنحن قد

تغافلنا وأعرضنا وتفاضينا وقد مات سيف هذا من سنين حتى قامت
الحجة ونزلت البلية بأن احتسب من احتسب من المسلمين للمظلومين في
ما لهم حقوقا وتبعات ومظالم من دماء وفروج وعقور وسبي ذراري وتملك
أحرار، وقامت البيئة العادلة التي لاشك ولا ريب بعادتها وثقتها على
صحة هذه المظالم ومع ذلك تؤيدها الشهرة القاضية التي لاشك فيها
ولا ارتياب لما فعله سيف هذا وقادة من الجيوش الضالة المضلة وبما كان منه
من الدلالة على عباد الله بالظلم والطغيان والجور حتى أن المجانين والصبيان
يتكلمون بصحة ذلك، فما ظنكم بذي عقل؟ وما حكمنا الا بعد هذه
الحجة وان أموال سيف هذا لانهتسب على أهل الحقوق إذ لا تعرف كم
هي وان ماله لا يفي بها فرأينا إذ قامت علينا الحجة إذ لا يسعنا الا القيام
بذلك وإنفاذ حجة الله على القريب والبعيد والقوى والضعيف والدنيء
والشريف وهذا قول الله ناطق « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون^(١) » وقد قال الله تعالى « يا أيها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن
تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خيرا^(٢) » فعلمنا أن
لاحميد لنا الا القيام بالحق والتكلم بالصدق، وقد قال الله تعالى « وأن
احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم^(٣) »، ومن لم يحكم بما أنزل الله

(٢) سورة النساء آية ١٣٥

(١) سورة المائدة آية ٨

(٣) سورة المائدة آية ٤٩

فأولئك هم الكافرون^(١)» والظالمون والفاسقون ، ثلاث آيات يعرفهن من هداة الله البيان وسلك به طريق الرضوان ، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً^(٢) » والله الله أحباءنا عن التكلم بمدادة ذلك ، محجور في دين الله علينا وعليكم . والتكلم بالحق أولى ، واحذر من رضا المخلوقين ورضا الناس غاية لا تدرك ، ونحن قد دخلنا في ذلك بنظر المسلمين ولم ندخل فيه بهوى ولا ارتدينا فيه برداء العمى فأعجب المسلمين ذلك وسجلوا على صحته وحكمنا به وحكموا به والله قد أمضى ذلك وحكم به ، ونحن بالله معتصمون وعليه متوكلون وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، ولم نخف في الله في هذا ولا غيره لومة لأئم ولا سطوة مخلوق ، والله يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً : وليس على الله بعزيز أن يوفقنا وإياكم على سلوك مرضاته التي سلكها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم « فمن بدله بعد ما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » وماذا بعد الحق الا الضلال ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كتبه الإمام بيده حامد الله وحده ومصلياً على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم . بتاريخ عاشر المحرم سنة ستين ومائة وألف هجرية نبوية إسلامية .

ذكر الأحداث التي ذكرها حبيب بن سالم

في سيرته للإمام بلعرب بن حمير وخلعه بها من الإمامة

من تلك الأحداث قتل بجاد بن سالم قال له قتلته محمداً قد فعل الحق وقال الصدق بخلعه اياك جوعاً وعطشاً وطمرته في طمورة مقيداً مقطوراً مدفوناً عليه وفعلت به فعل الجبارين كما قال الله تعالى « وإذا بطشتم بطشتم جبارين » قال وأنت لو رجعت إلى نفسك وعقلك لعرفت أنه على الحق وأنت على الباطل ، وتعلم أن قتلك له رضى لمن أمسك من الجبارين لينصرك ويعصوك قال فهذا أمر أقبح الفعال ولا نصرة منهم لك حاشا لله أن ينصرك بأعداء الله ياعدو الله قال وأنكرت عليه أفعاله الحسنة إذ أنه حرب للبداءة قطاعة الطريق المفسدين في الأرض وأنت لهم سلم تعطيمهم مال الله وتظلم لهم العباد وتعطيهم إياه . ومنها سجن صالح بن ربيعة قال سجنته ظالماً وعدواً بأعلم منى يقين أنه أنكرك عليك الباطل فحسنته على إنكاره الباطل عليك ، قال وقد أنكرت عليك أنا بنفسى الذى أنكره باستعمالك الخونة في واديهم لقبض زكواتهم قال وما حبسك إلا حبس طغاة متجبرين أدخلته ضيق السجن مقيداً مقطوراً ، قال وكذلك سجنك للشيخ محمد بن سالم الندابي سجنته ظالماً بعد أن أعطيته الأمان قال وما سجنته إلا بإنكاره عليك العامل الذى يبدهم وليس لسجنك طائل تتعاطى فيه علم الغيب ولم تقبل منهم صدقاً ولا عدلاً ولا من المتوسلين لهم إليك . قال فهذا فعل الجبارين فالله يحكم بيننا وبينك « يأبها الناس أتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً^(١) » قال وكم مسجون في سجنك مظلوم سجنهم على

ما تهوى نفسك ورضا لمن تحب . ومنها قتل عامر بن سليمان بن بلعرب
الرياحي قال قتلته في مطمرك فيما بلغنا عنك جوعاً وعطشاً قال وبلغنا من
أفعالك القبيحة فيه أنكم تجوعونه وتعطشونه أياماً ثم تأتون إليه بالماء
وهو على شدة العطش فيشر به عطشاناً جائعاً فيسرع إليه الموت قال
ماسمنا بهذا فعل جبار قبلك فياويلك من حر عطش النار وجوعها .
قال وقد صح معنا أنك حبست الشيخ خميس بن محمد بن مبارك
البوسعيدي وقيده إذ أن الشيخ أحمد بن سعيد حبس محبك سعيد بن
ناصر البحري وضيقته على الشيخ خميس هذا في سجنه وقيده ضيقاً
عظيماً معاقبة بحبس سعيد بن ناصر وأن المعاقبة في القبيلة لا تجوز فيما عرفنا
ولا نعلم في ذلك خلافاً بين أهل العلم ، وقد أجازها من أجازها من أهل
العلم في المال دون النفوس ، وقد منعتهم المباح في سجنك ومنعتني الطعام
والشراب في سجنك وعذبتني ضرباً وأخذت . إلى غضباً فياويلك من
عذاب الله « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »^(١) فمن أين يحل
لك أخذ مالي وأنت قد صح عندك خلع المسلمين لك تنادي في الأشهاد
بلسانك أنك قد خلعت وقبل ذلك قد أبلغك ثقات المسلمين ، وقد
عذبتني على ذلك عذبك الله بناره وأنت تعلم هجرة خلع المسلمين
إنها قبل تصرفك في بيعك في مال الله ويومئذ لا تصرف لك ،
خلع المسلمين لك جائز صحيح بقلة الحماية منك لهم وعن حريمهم ويضعفك
الذب عنهم وأنت تعلم أنك امام دفاع ، وجائز امام الدفاع للمسلمين أن يخلعوا
امام الدفاع بذلك ، فكيف وأحداثك شاهرة ظاهرة ما فعلت بمن كان

في سجنك وبتوليتك المفسدين على عباد الله في بلاده ، ومنها تزكي عباد الله بلا حماية وتولى على قبضها الخونة المفسدين وتأخذ الخراج على غير الحقيقة وتسلكه على غير الطريقة وتضيعه ومال الله في البغاة قطاعة الطريق المفسدين في الأرض سفاك دماء المسلمين ، قال وقد صح عندنا أن جباتك بأخذونها من حيث لا تجب وعلم من لا تجب عليه وقد نصحنك فأيدت إلاما تهوى نفسك وهذا ظلم ، وقد قال الله عز وجل «ولا ينال عهدى الظالمين» قال وانك حملت دماءنا بخلعنا لك ونحن قد فعلنا الحق وقتلنا الصدق وامام الدفاع يخلعه الواحد من المسلمين في بعض القول فكيف وقد خلعتك جماعة المسلمين فأين عنك ذكر الوقوف بين يدي الله عز وجل وأين عنك ذكر مناقشة الله في دماهم وأموالهم . فاتق الله يا بلعرب بن حمير ولا تتسم بالإمامة ولا تقل انك على الاستقامة فتكذب على الله قال : ومن أحداثك أنك متعود بالكذب وتنقض العهود ولا تعاهد فتني ولا عهد لك ولا وفاء فمن أين لك الامامة ولا تحصى أحداثك ولا تكن قائداً للبغاة ولا تسعى في الأرض بالفساد ولا تعاضد المفسدين في دماء المسلمين واتق الله ولا تماد عاصياً واحذر أن تكون قائداً للبغاة ، قال : ويكفيك ما احتطبت به على عنقك أن تعذب به وانك غير امام يعرفك الخاص والعام قال فاعلم علما يقينا إني أنا خالعك والشيخ سالم بن راشد البهلوي والشيخ راشد بن سعيد الجهضمي والشيخ محمد بن ناصر الحراصي والشيخ محمد بن عامر والشيخ محمد بن خلف والشيخ غانم بن عامر والشيخ بجاد بن سالم ومن بقلبه إيمان الله ولم يتمسك بإمامته إلا الجاهل مثلك ، والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ونهى النفس عن الهوى ، من خادم العلم وأهله

حبيب بن سالم بن سعيد بن محمد بن خلف بن محمد أمبو سعيدى العقري
النزوى وكتبه بأمره عبد الله بن ناصر بن سليمان بيده وتاريخها يوم
سبع وعشرين والجمعة من شهر شعبان من شهر سنة إحدى وستين ومائة
وألف من الهجرة . وقال ذو النبراء قد عمل بلعرب بن حمير برأيه في
طمره للمسلمين وقتله لبيجاد بن سالم الغافرى والشيخ عامر بن سليمان
الريامى فضعف أمره واجتمع عليه بنو غافر ولزموه بالحليل وأخرجوه من
ملكه وأقام بفلج البزيلي .

ذكر مقتل بلعرب بن حمير

وكان قتله بعد أن خلع من الامامة بسنيات ، خرج عليه أحمد بن سعيد
ابو سعيدى وذلك بعد أن استولى على حصون الباطنة وما حولها وخرج
إلى نزوى وذكر بعضهم أن أحمد التقي بلعرب بن حمير وأنه قال له أنت
إمام فوق إمام كيف هذا فقال بلعرب ان سيفاً غير السيرة وخالف
الجماعة وسد باب الطاعة واختار المسلمون إماماً غيره فلذلك عزلوه ثم
اختاروني وعقدوا الى الإمامة قال فقاتله أحمد بن سعيد برؤوس القبائل
فقتل بلعرب بن حمير بفرق وخلصت نزوى لأحمد بن سعيد وذلك في
سنة سبع وستين ومائة وألف ، كذا ذكر بعضهم وهو مخالف كلام بن
رزيق المتقدم ، والله أعلم .

باب انتقال الدولة من أيدي اليعاربة

إلى أيدي آل بوسعيد

وهم ملوك العصر والله يؤتى الملك من يشاء والأيام دول ولا تبقى الدنيا على حال ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلما غيرت اليعاربة سيرة السلف الصالح وظنوا بعباوتهم أن الدولة ميراث وتكالبوا على الملك أذهب الله ذلك من أيديهم وجعله إلى غيرهم . وأول هذه الدولة أحمد بن سعيد بن أحمد محمد البوسعيدى وهو أبو ملوك العصر ، قيل أنه كان صبيا صغيرا فى (آدم) فلقبه الشيخ خلف بن سنان وكان من أهل الكشف فوضع يده على رأسه وقال له اتق الله فى الرعية فنشأ الغلام وشب ولما بلغ أشده استعمله سيف بن سلطان فوجد منه الكفاية ثم ولاه على صحار فوجد منه كفاية لم يجدها من غيره فجعله سيف دولته وموضع شوخته وصولته وفوض إليه الأمور كلها ، وكان أهل نزوى قد عقدوا الامامة بعد سلطان بن مرشد على بلعرب بن حمير بن سلطان فلبث بعد هذه البيعة أشهراً وبعث سيف بن سلطان عامله أحمد بن سعيد ليخلص له حصون عمان ويقاوم بلعرب بن حمير فخلص الحصون وانتهى إلى نزوى وفيها بلعرب فقال له أحمد أنت إمام فوق إمام كيف هذا ؟ فقال له بلعرب ان سيفاً غير السيرة وخالف الجماعة وسد باب الطاعة واختار المسلمون إماماً غيره فلذلك عزلوه ثم اختارونى وعقدوا لى الامامة ، فقاتله أحمد بن سعيد برؤوس القبائل فقتل بلعرب بن حمير بفرق وخلصت نزوى وعقدوا الامامة عند ذلك لأحمد بن سعيد البوسعيدى . كذا وجدته فى سيرة متقطعة من أولها

ولا تخلوا من تخليط ، والصحيح الذي يشهد له ظاهر الحال وما ذكره ابن رزيق أن سيف بن سلطان كان قد مات قبل قتل بلعرب وأن أحمد بن سعيد قد تغلب على حصون الباطنة وما حولها بعد موت سيف ، وأن سيفاً كان قد جمعه في صحار وتغلب على صحار في حياة سيف وأنه كان قد انضم إلى طاعة سلطان بن مرشد فلهذا أحاطت العجم بصحار وفيها أحمد بن سعيد وذلك في حياة سيف واستولى عليها وأخذ مركب سيف في حياته ، وخرج سلطان بن مرشد لكشف العجم من صحار ودخل بعد الجراح في الحصن عند أحمد بن سعيد ومات عنده ثم مات سيف بن سلطان بعد ذلك ييسير واستقل أحمد بن مرشد بالعجم ونصره الله عليهم في مواطن تقدم ذكرها في كلام ابن رزيق وخلصت له حصون الباطنة واستقل بها ، وسار إلى بلعرب وهو امام على نزوى وما حولها وكان قد خذله أصحابه وخلصوه فقاتله فنصر عليه وقتل بلعرب وعقدت الامامة على أحمد بن سعيد والعاقد له حبيب بن سالم الأمبوسعيدى العقرى النزوى وابن عريق وذلك في سنة سبع وستين ومائة وألف ولم ير أبو نهبان وولده ناصر وغيرهما من الأفاضل صحة امامته لأن بيعته كانت على غير مشورة من المسلمين ولأنه كان عقداً مشكلاً لأنه كان بعد التغلب على ملكهم ولأن حبيباً وابن عريق ليسا ممن يلزم المسلمين عقده لاسيما وقد كان عقداً بعد فتنة وتغلب على الأمر ، وخاطبه الشيخ سعيد بن احمد الكندى بالامامة واطلقها عليه عامة الناس . قال أبو نهبان: الخطاب بالإمامة يحتمل وجوهاً ، وقال ناصر بن أبي نهبان : ان السلطان الذى يسمونه الإمام أحمد بن سعيد

جيش ثلاثين ألفاً إلى الظاهرة قال وخرج لهم مقدار سبعين رجلاً وكسروا الجيش كله قال ومات كثير منهم بالجوع والعطش بعد أن ولوا الأدبار قال وكثير منهم لم يتمكن في الهزيمة أن يستريح مقدار ربع ساعة ولذلك ماتوا. قال وحكى لي الشيخ محمد بن عامر الكندي أن الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندي والشيخ العالم^(١) العدوي مرا على امرأة متورعة قد بلغت في السن وصارت قليلة الصحة فقالت للشيخين أسار الجيش؟ قال لها نعم قالت كم من سائر فيه وهو في الحكم غير سائر معهم، وكم من واقف في بيته وفي الحكم هو سائر معهم. قال ناصر أرادت كم من مجبور غير راض بذلك ولا يدخل في الباطل معهم فليس هو معهم ولا منهم في الحكم لا يشار إليهم في الأئمة، وكم من راض مسرور ويهوى الغلبة للجيش ويرضى بفعلهم بغير مالا يسعهم وهو في بلده وفي الحكم هو منهم ومعهم بمشاركته لهم في الأئمة. هذا كلام هؤلاء الأفاضل في إمامة هذا الإمام، غير أن اسم الإمامة ثبت له عند الخاص والعام اسماً دون حكم فأولاده يقال لهم أولاد الامام والوقعة التي أشار إليها الشيخ ناصر أظنها الوقعة التي ذكرها ابن رزيق وغيره وهي حرب جرت بين أحمد بن سعيد وناصر بن محمد بن ناصر الغافري وكان النصر فيها لناصر بن محمد وقتل من قوم أحمد بن سعيد إثني عشر ألفاً. قال ابن رزيق وكان بين هذه الوقعة وبين وقعة فرق التي قتل فيها بلعرب اثنا عشر سنة. وقال ذو العبراء: لما ملك أحمد بن سعيد وساد ودانت له الخلائق واستقام ملكه وخذل عدوه، دلته نفسه بقتل أكابر بني غافر فلما قتلهم مشى على ديارهم بجيش عظيم فالتقوا بالأثيلة فصح عليه الكسير وهم فئة قليلة

(١) بياض بالأصل .

فثارت بينهم العداوة والبغضاء إلى أن ظهر في الملك سعيد بن سلطان
وحمود بن عزان فعلا في الرعية بميزان البصيرة وإصلاح الفريقين فدانوا
لهما اه كلامه وللشيخ سعيد بن أحمد الكندي رد أحداث علي أحمد بن
سعيد في سيرة كتبها جواباً له حين سأله عن أمور دخل فيها قال رحمه الله:
فيا معاشر المسلمين ويا حملة القرآن العظيم ويا أهل هذا المذهب القويم من
أين جاز لا مام المسلمين أن يأمر على شيخ قبيلة من رعاياه بكذا كذا رجلا
ليخرجوا من ديارهم للمحاربة والقتال بالجبر والقسر ومن لا يأتي منهم
يحبس ويقيد ويضرب ولا يسمع له عذر ولا مقال، ورؤساء البلد لا يؤمنون
ولا تقبل شهادتهم بقيراط لرجل ولي مسلم على يهودى فاسق مخالف لدين
رب العالمين ولا يكونون حجة ولا مأمونين في شيء من أحكام دين الله
تعالى إلا في هذا الحرف المخصوص فإن قولهم على ضعفائهم مقبول ان فلاناً
عليه من الغرامة لعز الدولة كذا وكذا، وان فلاناً مأمور عليه وواجب عليه
الجهاد إلى قتال عدوه ومن يأبى عن ذلك فيحبس في العذاب المهين بقول
ذلك الرجل الفاسق اللعين، أيا معاشر المسلمين من أين جاز هذا وثبت من
قول الرؤساء على الناس يجب ويلزم على من ألزموه منهم وينحط عن لم
يجمعوا عليه شيئاً من قراباتهم وأرحامهم ولو كانوا أصحاب أموال ان هذا
لهو الزور المفترى والكذب على الله ورسوله والمسلمين فإن قتل ذلك
الرجل المجبور بقول ذلك الرئيس على ما وصفناه فهلا يلزم على من جبره دية
أو يقاد به أولاً يلزمه شيء ومن جبره على تسليم شيء من الغرامة على
ما وصفناه فهلا يلزم فيه ضمان أو استئجال فالله الله رحكم الله في أمر الدين
ورضا الحى القيوم، إلى أن قال: وقد ذكرت تسأل وتناظر أن تستعين بأناس

من قبائل أهل الخلاف من غير أهل عمان فلا يعجبنا ذلك ولا تفتح لهم باباً على أهل عمان وتدعوهم إلى نصرتك ومعاونتك فانهم لا تؤمن غوائلهم ومكرهم وخدائهم ولا ترجى منهم النصرة لهذا الدين وهم أعداؤه وحربه وقد كنت العداوة في قلوبهم لأهل هذا الدين، أترجى منهم أن يتخطوا الفياض والقفار ويحملوا المشاق والمضار ويسافروا البر والبحار ويجهزوا الأموال والأبشار ويفارقوا الأهل والأصهار لنصرة من عاداهم في الدين وإن كان محيئهم واجابتهم لدعوتك من قبل الاطماع وما تبذله لهم من المال فعندنا أن ما تبذله لهم من المال لا يقوم بما يغرمونه من أموالهم ولا يبيعون به أنفسهم للقتال وإن لم تجد من أهل عمان على غير الجبر فكيف تجد من غيرهم إلا على طمع في سلطانك وملكك فتفكر في ذلك وتدبر تدبر من أشفق على نفسه طالبارضا الله وانظر في أمر سيف بن سلطان وأتباعه العجم وما تولد من أمورهم وصنيع حيلهم فإن لمن تدبر في ذلك وتفكر عظة عن غيره، ومن لم ينفعه قليل الحكمة ضره كثيرها انتهى. ما أردنا نقله من كلامه وكان أحمد بن سعيد صاحب همة عالية ومطلب سام وجرأة وإقدام فصار ملك عمان كله إليه إلا ما شاء الله، ودانت له القبائل وسكن الحركات وأطفأ كثيراً من الفتن وأمرونها وقام بأمر الدولة وأعطى المملكة حقها ودافع العجم واستراحت الرعية وتجدد الملك.

وتوفي أحمد الامام سنة ست وتسعين ومائة وألف فكانت أيامه أيام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن وكانت مدة ملكه بعد العقد تسعاً وعشرين سنة وخلف أولاداً منهم سعيد بن أحمد وسلطان بن أحمد وقيس بن أحمد ومحمد بن أحمد وطالب بن أحمد وهؤلاء كلهم يقال لهم

أولاد الامام . فأما سلطان فهو أبو ملوك مسكد وزنجبار ، وأما قيس فهو أبو ملوك الرستاق وكانوا قبل ذلك على سحار وما يليها ، وأما محمد وطالب فإنهما وليا من قبل إخوتهما : فولى طالب الرستاق وولى محمد السويق من الباطنة ، وأما سعيد فهو الذي ملك بعد أبيه بالحال وتسمى بالامامة وخاطبه بها أبو نهبان وذكر ذلك لأجل معنى يريد به دفع مظلمة عن بعض الناس قال إن الخطاب بالامامة يحتمل وجوهاً واشتهر بهذا الاسم من بين إخوته فأولاده يقال لهم أيضاً أولاد الامام ابن الامام ولم يعدل في ملكه ولم يرض المسلمون عليه ، وكان أديباً ليدياً معدوداً من أدباء عصره ومما ينسب إليه من الشعر قوله متغزلاً :

يا من هواه أعزه وأذلى	كيف السبيل إلى وصالك دلى
وتركتني حيران صباً هاأما	أرعى النجوم وأنت في نوم هنى
عاهدتني أن لا تميل عن الهوى	وحلفت لى يا عصى أن لا تنثنى
هب النسيم ومال غصن مثله	أين الزمان وأين ما عاهدتني
جاد الزمان وأنت ما واصلتني	يا باخلا بالوصل أنت قتلتني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي	ورجعت من بعد الوصال هجرتني
لما ملكت قياد سرى بالهوى	وعلمت أنى عاشق لك خنتني
ولأقعدن على الطريق فاشتكى	فى زى مظلوم وأنت ظلمتني
ولأشكينك عند سلطان الهوى	ليعذبك مثل ما عذبتنى
ولأدعين عليك فى جنح الدجى	فعاك تبلى مثل ما أبلتني

وكتب إلى أخيه سلطان بقوله :

إذا شحت الخضراء بالوبل فالتمس تجد جود سلطان على الناس كالمطر
فإن عز مطلوبي فليس شماتة وإن حصل المطلوب فالفوز بالظفر
ولعل هذه الكتابة كانت منه لأخيه بعد خروجه عليه وأخذه لغالب
ممالكه على حسب ماسيأتي إن شاء الله ، ونذكر الأحوال الواقعة في ملك
سعيد بن الامام ونفرد لها بابا .

باب الأحوال الواقعة في أيام سعيد بن الإمام

ذكر ناصر بن أبي نهبان أن السلطان سعيداً مال إلى شف الهناوية
وتسكرت عليه الغافرية . وذكر أبو نهبان بعض ما وقع بينه وبين السلطان
وبين بعض الغافرية في رده على السيرة الثلبية ، ومن جملة من خالفه
العبريون ورئيسهم يومئذ سالم بن مسعود ، قال أبو نهبان فكم مرة
سار إلى بلدهم الحمراء بجيوش كثيرة وعدد كثير ولم يقدرُوا أن يشربوا
منها شربة ماء . قال : ويخرجون إلى قتلهم أناس قلة ، وفي مرات لم يعلم
الجميع بهم أو علموا فيبادرهم أناس قليلون من الخمسة عشر رجلاً أو يزيدون
قليلًا أو أقل وفيهم كبيرهم هذا فيقتلون فيهم ويولون الأدبار والقتل فيهم
وأهل البلد في هيئة البراز لهم وذلك إذا كان مجيء واليهم على غفلة منهم
قال فلما لم يقدر عليهم صالحهم وأعطاهم العهود والمواثيق بالأمان عليهم
جميعاً وقرب كثيراً أخا الشيخ سالم بن مسعود خدعة وعرفهم أنه يصلهم
زائر لتمام الألفة وجاء بقوم كثير وجيش كبير وتركهم وراء الحورة
ودخل هو في وسط الأموال باناس قلة ونزل هنالك فذبحوا له للضيافة
وعظموا الكرامة وقعد آمناً منهم وهم آمنون منه ولما حضر أكار البلد
وفي نيته أنه يحيط بالأكابر ويهلكهم فما كان غير قليل إلا وأحاطت
القوم بهم وظن الأكابر أن وصولهم من غير رأيه معهم بل كما جرت
العادة أن السلطان يتبعه الناس حيث يسير يسرون في طلبه فلم ينظروا
إلا والسيوف قد علت وأحاطت بهم فقتلوا أخا الشيخ سالم بن مسعود
وتشمر الشيخ ومن حضره من الأصحاب لقتالهم وكانوا يفرقون منهم
لشهرتهم في شدة البأس وقلة مبالاتهم في القتال في الحرب فانهمز القوم
مولين الأدبار منهزمين والقتل فيهم ممن حضر الشيخ لا غير ولم يعلم بهم

من في البلد إلا والقوم بعدوا عنهم ، قال فهذا الذي قد كان منهم فيهم
وذكر أبو نهبان وولده ناصر أن أخا السلطان سعيد كاتب عليه المسلمين
ووعدهم بالاعانة ووائثقهم للقيام عليه وأن يمدهم بالمعونة في حربه على
شرط أن يكون الأمر راجعاً إلى المسلمين يولون من يرون أنه أصلح
للأمة وأقطع لمادة الفساد وأقوى في أمر الدين ولم يسموا هذا المكتاتب
أى اخوة السلطان كان وأظن أنه سلطان بن الإمام لأنه هو الذي اشتهر
بالخروج على أخيه فوافق قيام المسلمين وفيهم الشيخ أبو نهبان وقوع
فتنة بين أهل نزوى فخرجوا في الظاهرة لاطفائها وهم يضمرون غير
ذلك بل كان مرادهم التمكن من السلطان بالحيلة وسيأتي إن شاء الله تعالى
تمام خبرهم مستوفى ، وكان لسعيد بن الإمام ولد يقال له حمد بن سعيد
حدثني من أثق به من أولاد الإمام أن هذا الولد كان قد طاع طلعة حسنة
وثار ثورة مباركة فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أيام
والده وكان أبوه بالرستاق وكان هو ببركا وكان يطوف بقومه على عمان
باطنة وظاهرة ثم يأتي على الجوف والشرقية يصنع ذلك في السنة مرتين
يتفقد الممالك والرعايا وحصلت له في القلوب هيبة ومحبة ، قال فدخل
على أبيه يوماً وكان قد جاء من سفر وأبوه بالرستاق وكان بارزاً في غرفة
الصلاة وكان قد تحزم بديولى وهو رداء يعمل من الابرسم والزرى
فقام له أبوه ليحييه فلما رأى حمد لباس أبيه لم يتمالك أن تناول الديولى
من حزام أبيه فجذبه انكاراً لما رأى فدار أبوه بذلك دورين أو ثلاثة ،
قال : وكان عمه سلطان ابن الإمام عند آل وهيبة ساكناً في سيوحهم
الحدرية وكان همه وعزمه هم الملوك وعزمهم فأخذ يوماً سبعين ركباً
وقصد بركا ليقتل ابن أخيه حمداً خوفاً على الملك أن يستولى عليه دونه
فلما وصل بركا وافق حمداً خارجاً في البلاد على فرس ومعه فارسان أو قال

ثلاثة فتلقى حمد عمه بالترحيب ونزل عن فرسه وحياه ثم ركب فرسه
وقال أنا قدامكم ومضى إلى الحصن مسرعاً فقال أصحاب سلطان كيف
أقلت الرجل وقد عزمت على قتله ولا تجد له فرصة مثل هذه فقال إني
هبتة ، وما كان بسultan من وهن في باب الرجال غير أن الأقران
تعترف للأقران ثم أناخ على الكرامة وترخص ومضى فقابلت حمد بن
سعيد بعد ذلك إلا قليلاً من الزمان ثم توفي ورثاه أبوه بأبيات قال فيها :

وإفا حمامك يا حبيبي بالعجل نار تلهب في ضميري تشتعل
يا من له شرف وفضل في الوري أمسى وحيداً مفرداً دون الأهل
الله أكبر من مصاب عمنا همأ وغمأ لا يبيد ولا يفل
حمد حوى المجد الشريف تغيرت أيامه قد كان يضرب بالمثل
صبراً لأولاد الإمام ومن لهم من أخوة وأقارب فيما نزل
لا غرو هذا قد أتى خير الوري لم تمنع الأموال عنه ولا الدول
وقال أيضاً :

لهفي على عيش مضى ما ذقت أحلى منه شى
لما ذكرت عهوده جرت الدموع وقلت أى

وفي يوم الخميس لثمان ماضين من شوال من سنة ثمان وتسعين بعد
مائة وألف خرج رجال من حارة الوادي من نزوى وهم في حال الريبة
والتهمة بالفساد لاختلاط النساء بالرجال ونزلوا على جبال سمد نزوى
في الجانب الغربي عند جبل الحلاة على حذا مسجد الجبل وقيل معهم بعض
النساء المسترايات فلما كان وقت الظهر خرج عليهم ملاء من سمد نزوى
فهمجموا عليهم بالبنادق والسيوف فقتلوا منهم أربعة رجال وجرحوا
آخرين وقتل من الخارجين واحد وجرح اثنان فكتب الشيخ سعيد بن
أحمد الكندي إلى السلطان كتاباً فيه ؛ أما بعد ، فإن السوق طغوا وبغوا

ونهبناهم مراراً فلم ينتهوا فالآن قد قتل منهم أربعة رجال ولا يجوز
أولاً يعجبنا أن تعاقب أحداً منهم في نزوى وأرسل به رسولا ، قال
أبو نهبان . فلم يرد السلطان إليه جواباً قال وقوله ولا يعجبنا أن تعاقب
الفاعلين بنزوى ليس فيه ما يدل على أنه يعجبه في غيرها أولاً إذ قد خصها
ولم يذكر ما عداها بشيء جزماً فهو مما يحتمل لأن يكون المشتمل
على المندوحة في القول الواسع وكأنه مما يدل على محاولة السلامة
في الأمرين الدنيا والدين فما أبلغه في نظر العارفين خلافاً لمن عابه من
الجاهلين ، ثم خرج بعض أكابر العقرة وأتوا عبد الله بن محمد الكندي
وهو يومئذ كبير أهل سمد وطلبوا إليه أن يخرج إليهم القاتلين فواعدهم
بالغد فاستشار الشيخ سعيد بن أحمد الكندي وهو يومئذ عالم أهل
نزوى فقبل إنه أفتاه وقال له لا تخلص القاتلين إلى أحد لأن الناس في هذا
الزمان لا يؤمنون عن التعدي في العقوبة وأخذ الحقوق وعبد الله بن
محمد هذا هو الذي بنى بيت سليط بسمد نزوى في أرض له يقال لها
سليط فاضيف البيت إليها ثم إن أكابر العقرة كتبوا للسلطان بصفة الحال
وهو يومئذ بالرستاق فجاء إليهم في رجال وعبيد وجمع غير كثير فلما
وصل نزوى طلب منه ما قد طلبه أكابر العقرة سابقاً فاعتذر الرئيس
واعتل بان الفاعلين قد اختفوا فلم أجدهم فطلب منه السلطان سبعة رجال
من أهل القاتلين ضماناً بكونون في السجن حتى يأتي بالقاتلين فأجابته إلى
ذلك ودفع إليه الرجال وأحدهم ولده وألزمه أبو نهبان التوبة من تسليمهم
وحاول عبد الله إخراجهم من يد السلطان فلم يقدر وكان يشاور
في أمره الشيخ سعيد بن أحمد الكندي ثم إن السلطان طلب من عبد الله
ابن محمد بيت سليط ليجعل فيه رجالاً من طرفه فأبى وخرج إلى من حوله
من القرى والمسافى والجبال واتى بالجيوش والحشود واشتد الأمر

وقبض السلطان عليهم المقابض وقطع عليهم السبل فصار أهل سمد ومن معهم في بيت سليط وفي جامع سمد والسلطان ومن معه في الحصن وأهل السفالة في حوائرهم وبقيت الأمور كذلك من تاسع شوال إلى خامس عشر من ذى القعدة من السنة المتقدمة قال أبو نهبان أقاموا بسمد نزوى كأنه لمعنى الدفع عنه ولم نسمع أنها كانت لهم غزوة على أحد وإنما أغير عليهم من السفالة يوماً لكن على مجازة النساء فأتوها من علا الحورة فثار الناس إليهم وتراموا بالبنادق حتى هزموهم بعد أن أصابوا رجلاً بجاموديا برمية فمات منها وغداً يكون الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، قال ناصر بن أبي نهبان فلما عجز الشيخ سعيد بن أحمد والشيخ عبد الله بن محمد عن إخراج المقبوضين من يد السلطان استعانا بالشيخ الوالد العالم أبي نهبان بالوصول إليهما ليتناظروا في هذه النازلة ويعملوا فيها على موجب الشرع ، ويحتالوا على إخراج المقبوضين بغير الحق خوفاً منهم أن يهلكهم أو يعمل فيهم ما لا يجوز له من الضر فوصل الشيخ وعملوا الحيلة أنه إذا سلم لهم المقبوضين يسلموا له المطلوبين ، قال فأخرج لهم المقبوضين ولم يبذلوا له المطلوبين لأنهم لا يأمنونه أن يتعدى فيهم الحق ، وقال غيره وصل الشيخ جاعد بن خميس الخروصي يوم خامس عشر من ذى القعدة من السنة المتقدمة ونزل بالحدفة من سمد نزوى وكأنه في ظاهر الأمر يريد سد باب الفتنة وفرح كثير من الناس بوصوله وكتب للسلطان كتاباً ساعة نزل قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . إلى إمام المسلمين سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدى أما بعد ، فإنى جئت فى سد هذه الفتنة وإنى نزلت فى الحدفة مع نفسى لا مع غبرى ولا ريامى ولا كندى ولا مع غيرهم بل مع الحق والحق مع من اتبع الهدى وله أردت وقد بلغنى أنك قبضت رجلاً بغير جنية فهذا

لا يجوز في دين الله وفك عقابهم الساعة قبل اليوم ولا تتأخر ساعة واحدة وعليك من ذلك التوبة . ولجلالة الشيخ وشدة محبته في القلوب تداول هذا الكتاب الخص والعام وقرىء في المساجد والمجامع فأجابهُ السلطان بالسمع والطاعة وارسل له هدية قبلها الشيخ وقال السلطان أنا ما أريد إلا الفاعلين القاتلين بأنفسهم فوعده بهم على أن يأتوه بهم وطلبوا منه أن تكون عقوبتهم بالرستاق لاني نزوى ، ولعل ذلك كان خوفا عليهم من أهل المقتولين فأجابهم إلى ذلك وأطلق المتبوضين ونادى مناديه بالأمان وربما فسح لشيء من جيوشه وهم بالمسير بالصباح وأرسل السلطان ناساً من أكابر أهل الرستاق فيهم القاضي ناصر بن سليمان الشقصي ليأخذوا المطلوبين فلما وصلوا كلم القاضي رؤساء سمد في أمر السلطان وطلب منهم أن يكلموه فيه والمعنى أن القاضي كان ميله إلى السلطان وكأنه يصوبه في صديعه ويطلب من المشايخ الجواب البين في خطائه قال أبو نهبان ورجعوا إليه بالجواب قال فكأنه احتار على ما عصب قال ولقد أشار على القاضي من يكلمه أن يحضر الخصمين من هؤلاء الفريقين ليقضى بينهما بالعدل ونحن معه من حولهم في جملة الحاضرين لمنع من أراد التعدي منهما على الآخر قال فلم يفعل وأعجبه ما عليه الجبار من أخذهم للجزاء ولم يذكر الآخرين بشيء والقتل والجراح في الفريقين فقال له من يكلمه عسى أن تكون لهم حجة فلم يمل إلى شيء من قوله لا عن تكبر يظنه به ولا تجبر لأنه أدنى إلى أن يكون هو الذي أداه إليه رأيه من الاختيار لأجل سداد الحال برضى الجبار والذي هم به العظيمة وليس عليه أن يكون موقفاً عليها ثم وقع بعد هذا الكلام سقط في كلام الشيخ أبي نهبان ، وحاصل ما نفهمه من سياقه أن أهل سمد ولوا أمرهم رئيس العبريين وهو يومئذ سالم بن مسعود وقد تقدم ما جرى

بينه وبين السلطان من الحروب وأن السلطان كان قد خادعهم واحتال على قبضهم وقتل أخ الرئيس المذكور وأن سالم بن مسعود أبى من دفع المطلوبين فقال يسلمهم إلى ثقات المسلمين لا غير وذكر السلطان فأغلظ فيه القول لما قد عرفه من قتل أخيه على أمان قال أبو نهبان واحتج في أمره بما لم يقدروا على دفعه وأشار إلى القاضى بهم فلم يقو على أن يتولى أمرهم فى حبس الجبار فيكون هو المسئول عنهم قال وربما عرض بالشيخ محمد ابن خلف بن محمد الشقى فى بذلم إليه ولا أدرى انه من معارضى الكلام أو أنه على ظاهر ما ابداء او انه على وجه الاختيار إلا ان القاضى ذكر عن السلطان انه لم يعرض بذلك قال ولما رأينا ما بينهم خلوه بعد فأمره بغير ما هو عليه من الشدة لأن بلوغ المراد من إخراج من أودع السجن جوراً أو غيرة لا سبيل إليه كمثلته ، فرجع إليهم بما يرضى السلطان من بذلم إليه قولا ليس من ورائه عمل فراجعوا بالأمر فأخرجهم وتبقى حكم الموعد له بهم . هذا آخر ما انتهى إليه الأمر فى هذه القضية وسنذكر لك بيان ما طلبه الشيخ أبو نهبان وقصده .

ذكر خروج أبى نهبان

على السلطان سعيد بن أحمد

لطلب إقامة العدل وإظهار الحق وذلك فرض الله على الناس إذا قدروا عليه وأمكنهم فعله وذلك أن أبانهبان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف واتخذ الناس قدوة فى مرآشد دينهم ومصالح دنياهم وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه وورعه وكاتبه أخ السلطان وغيره فى الخروج على السلطان ووعدهم أخ السلطان بالمعونة على أخيه قال ناصر بن أبى نهبان وذلك منه لأجل الملك حين صار فى يد أخيه بعد

أبيه فقبل منه المسلمون ذلك على شرط أن يكون مرجع الأمر إلى أفاضل المسلمين يولون من يروونه أقوى للأمر وأصلح للامة فدخلوا العقر على حسب ماسياتى وسار أخ السلطان إليهم بالمعونة وفاء بما وعد فلما وصل وادى بنى رواحة منعوه الطريق لأن شفهم كان عند السلطان بالزعم الباطل أنهم هناوية ولم يكن عند أخ السلطان ولا عند أفاضل المسلمين هذا الشف فكان منع بنى رواحة لأخ السلطان من أقوى الأسباب التي ظهر بها السلطان على أفاضل المسلمين ابتلاء من الله لعباده وأما أبو نهبان فإنه لما نزل الحذقة من سمد نزوى ورأى القبائل متجمعة على السلطان أحس في نفسه القوة على ما كان يحاول فأخبر عن نفسه أنه لما نزل الحذقة ليكون غير واج معهم وفي معزل عن غيرهم لمعنى أرادته عن رجائه ثم ارسل إلى السلطان تعريفاً يخبره بنزوله بها وان أمره له لا لغيره ممن لا يقدر في الشيء على فرق ما بين شره وخيره إذ لا يرضى من نفسه أن ترضى في الحال أن يقوده من لا يبصر ما يأتى أو يذر وإنما أراد أن يكونوا أولئك تحت أمره ونهيه خوفاً من مخالفة الحق في شيء ويدعوه فيه إلى فك من قد سلم إليه من الناس فأودعهم السجن بدلا من المهزمين لا لمفارقة شيء من الخطايا التي بها يستحقون العقوبة في قول المسلمين وأن لا يؤخرهم طرفة عين لأنهم بدل وليس في مثل هذا في أهل القرى بدل ولا تأخير، لأنه من الباطل الذي لا يجوز له أن يقيم عليه طرفة عين على معنى الإصرار فيه ويخبره فيه أنه ما جاء ليخاصم خصما أخصم ولا لأن يدفع حجة حق ولا ليعطل حداً ولا يبطل حقاً وجب في الحكم ولكن لمعنى الصلح بما جاز فيه من العدل وما أشبهه في المعنى وأراد منه أن يرسل إليه من عقر نزوى رجالا من ذوى الحجى لشيء أرادته حال المناظرة لهم في هذا الأمر الواقع وغيره مما قد خرج إليه اولا بالتلويح وثانياً بالتصريح ان شم منهم رائحة

الرغبة فيه وإلا فالكف عن إذاعة ما يخشى على ظهوره ، كون الأذى
لغير فائدة ترجا هو الأولى لظنه لهم السلامة من الدخول في هذه البلية
ولم بدر أنهم قد حشدوا النادى لإعانة الجبار مع أهل حوائر الوادى في
تلك الواقعة حتى بلغ إليه ذلك من بعد والله أعلم أنه كان ذلك أولاً ، غير
أنهم لم يصل إليه أحد منهم وأنزلهم إلى العذر لأنهم أعلم بما هم عليه وعسى
أن يكون لمنع السلطان لهم أو لمعنى آخر ثم أرسل إلى بعضهم أنه يريد أن
يدخل معه سرّاً أو يخرج إليه هو في موضع بلفاه فيه فرجع إليه الرسول
بالعذر منهما فعذره لأنه أعلم بأمره وأدرى بما عليه من سلطانه ولم يحملهم
على سوء الظن بان ذلك منهم لجفاء وليس له مراد إلا أن يتعرف
ما عندهم في هؤلاء القائمين بالأمر ، أهم في رضى عنهم على ما هم به من
الفساد والبغى في العباد أو في كراهية لهم ؟ لقبح حالهم وكثرة ضلالهم
وهل من حهم التعاون على زوالهم ، لراحة الناس من شرهم وجورهم
وضرهم أولاً يقدرون على شىء من هذا ، لأن مراده القطع لمادة الفساد
في الأرض بقهر هذا العدو المارق لا لقتله ولكن لعزله إياساً من عدله
إن أمكنه الوصول إلى ما نواه فيه حين الخروج إليه وقال في موضع آخر
فأنا والله ما قمنا عليه لما نقمناه منه بعد الإياس من رجوعه إلا لإقامة
دين الله وإحيائه ولم نزل نؤمل هذا ونعتقده في نفوسنا إن امتى قدرنا
أو طمعنا بالقدرة لنسعى فيه حد الإجتهد من إقامة دين الله رب العباد
وتوهين أهل الظلم والفساد ومحو الباطل والعناد حتى طمعت النفس
بالقدرة على وصوله بكرة فيكون سبب ضياع ما نحاوله بمخافته منه بأخذ
الحذر وعلى المرء فيما عليه لازم ولو فيما هو جائز أن يسعى في طلب
القرب من الله تعالى بأى وجه ولا سيما من جهة الفضائل ذلك لوجود
المعين من أخيه ابن أبيه إلا أنه لم يكن في الحال عندنا وأراد منا أن ندخل

في الأمر قبل وصوله . وقال في موضع آخر كلا والذي يعلم السر وأخفى
إني لم أقصد إلى معين من الناس فأضعه على العناد فوق العباد إنما القصد
كله مع الظفر بمعقل المسلمين أن يكون الأمر إلى أهل الحلم من أهل العلم
من المؤمنين لمن يختاروه من حبشي أو يمني أو قرشي لأنى لهم أتبع ولقولهم
أسمع ولا أرى أن أكون المستبد برأى عنهم فضلا أن أخرج منهم وعلى
هذا اعتمدنا فيما له قصدنا والله يعلم انى لا أفرق بين أهل الطاعة من
الفريقين جميعا إلا من حيث المنازل فإن لكل منزلة هي التي بها أنزل
نفسه لا غير إذ لا يجوز أن يعدى بها إلى غيرها وجميع الخلق عندي في
الحق بالسوى وأرجو من ربى أن يوفقنى أن لا أميل بهوى فى شيء
أخالف فيه سبيل أهل التقوى فكيف أدس نفسى بالصياصى حتى أجبر
الناس على طاعة من يعمل بالمعاصى لقد ضللت إذن وما أنا من المهتمدين
إن كان هذا منى فى حين ولكنه لم يكن وأرجو من الله أن لا يكون .
هذا كلام الشيخ أبى نهبان فى بيان مقصده ومطلبه الذى طلبه وقد ذكر
فى موضع آخر أنه أهمل أمر تلك الفتنة الواقعة بين الغوغاء وضرب عنها
صفحا وأخذ فى خدمة ما إليه قصد وإياه طلب وجعل الوصول للصلح
بينهم من أعظم السبب فعند ذلك أمكته الفرصة وقام لاقتناصها
ودخل العقر .

ذكر دخول أبي نهبان ومن معه العقر

لأجل إظهار الأمر حين أمكنته الفرصة

قال ناصر بن أبي نهبان : ولم يكن في نفس الشيخ أن يقوم بالعدل في ذلك الوقت قال : وقد قال للشيخ سالم بن مسعود وأصحابه إن كنتم تريدون بالعلم السر فاتركوني في المسجد الذي أنا قائم فيه واذهبوا أنتم إلى المعقل وإن كنتم تريدون بغير العلم السر فالنظر إليكم قالوا أنت بما عندك من العلم النافع لهذا دعه الآن واخرج معنا قال وفي أنفسهم قوة على ما أرادوه لا يحتاج إلى التيسر بعلم الأسرار فلما تسوروا البلد كانت عند الشيخ حيلة بأن يحملوا الحجارة ويحملونها بين الرز والباب حين معالجة فتحة فمأهم الشيخ إلا وقد تقدموه على الباب يعني باب الحصن وتقاوموا عليهم والداخل في المعقل هذا يفتحه وأولئك يسدوناه فوقف في الوسط ولم يرموا حجارة بين ما ذكرناه فغلب أهل الدخل لكثرتهم وقلة الذين يفتحونه وسدوه وضاع ما كانوا أملوه قال ولو أنهم تركوا الأمر على اختيار الوالد وتركوه في الخلوة وساروا هم إلى المطلوب لتوفق ، ولكن لم يكن ذلك لأمر يريد الله تعالى في عباده ماداموا مستحقين الغضب ولو أنهم أحسنوا أحسن الله إليهم ، قال أبو نهبان : وقد تقدمنا على الداخلين من قبل أن لا يتعرضوا إليها لأخذ مال ولا لأحد بالقتال وأن يقولوا لمن عارض بالمنع إنكم غير مطلوبين إنما المراد فلان يعني بذلك السلطان فكفوا فعليكم الأمان ومن أبي من بعد أن يستكفي فيدفع بأقل بما به يمتنع إلا أن يقاتل فلا بد من ضربه حتى يرجع أو يقتل ثم يترك على حاله فلا يؤخذ له

شئ من ماله فامتثلوا الأمر بعد أن سمعوا الزجر ولم يصح أنهم خالفوا إلى شئ مما نهوا عنه وسلم أهل العقر من كل ضر وأما نحن نسلم منهم كل السلامة لأنهم أصابوا منا رجلا برمية في وجهه ولعلها أن تكون بلبنة من طين أو ما أشبهها فأضر به وآخر أصابته في رجله جراحة ولعلها بشيء من البنادق فالله أعلم ، غير أنا أخذنا في الوضوء لصلاة الصبح فلم نشعر إلا والحرب بين القوم وأهل البغي ممن في الحصن قائمة وبحثنا عن المبتدى فقيل وصح معنا أنهم أهل الحصن ولا خلاف بين المسلمين في جواز حربهم في الحال على ذلك ، ذكر غيره أنهم تسوروا سور العقر بالجدوع جذوع النخل في الثلث الأخير من ليلة ثامن عشر ذى القعدة سنة ١١٩٨ هـ ثمانى وتسعين ومائة والى والسلطان نأثم في حصنه قال فلما انتبه من نومه قال له بعض أصحابه نخرج على القوم قبل أن يتكاثروا فقال لا لأننا لا نعلم الدولة الداخلة قليلة أم كثيرة وخاف الخديعة فخرج في نفر من باب السوق على خيل وركاب فقصدوا برا من الشرقية ونواحيها وحشد حشوداً منها ومن نواحيها فأقبل عشية الأحد بعد سبعة أيام كان فيها أبو نهبان ومن معه محاصرين الحصن متمكنين من العقر فلما علموا بوصول السلطان بجيش الشرقية وكانوا كالجراد المنتشر خرجوا إليهم والتقوا بين حاجر سعال وأبي ذؤابة - نهر بزوى وهو بهمة فوحدة فواو فذال معجمة فواو فألف فباء موحدة فهاء - قال أبو نهبان فأردا بهم الوقوف لمعنى الترتيب قال ودعاهم قائد منهم إلى الرجوع ليسكونوا في موضع ولعله رآه أصلح لنزالهم وأولى بقتالهم فردوا إلى ورائهم من غير ما وقف إلى ما يأمرهم به فلم يقدرُوا على ردهم لأمر سابق في علم الله كونه وإلا ففي الخارجين أناس

من أولى الشدة والبأس يقاتلون كثيراً وإن قلوا يعرفون بذلك غير مرة في قتالهم لهذا الجبار وغيره ممن هو أقوى منه فلا يقدر عليهم بحيلة وفي هذه الواقعة تولوا منهزمين في الحال من غير ماقتل ولا قتال لأمر أرادته الله تعالى في بقاء هذا السلطان على ما به من البغي والعدوان والغنى والطغيان وعسى أن يكونوا أهلاً لذلك الأمر ، لا مرد لأمره ولا معقب لحكمه ولا بد من كون ما في سابق علمه ، فكيف يجوز أن يكون في وقت إلا ما أرادته فيه ولا يحدث سواء فلا تبدوا إلا إياه « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » كما كنتم يولى عليكم . هي المقادير فامنى أوفذر .

ثم رجع الشيخ بمن معه إلى العقر ونزل السلطان في جامع السوق وجيشه نزل معه وبعضه بين حوثر الوادي وبعضه بالبطحاء ودخلت رجال بالصلح بين السلطان والشيخ قال أبو نهبان ان السلطان أرسل إليهم مع أناس من أعوانه كتاباً يدعوهم إلى الصلح فأجابهم إلى ما طلبوه لما رأى ما يفوته من التخاذل عن قهر البلاد ومجاهدة العناد لرب العباد بعد التشمير لهم ، لعسى أن يأتي النصر من عند الله لمن يرجو منه مدداً بعد حين فلم يشعروا ولما أتاه الخبر بوصل أناس من أهل البأس بسعد نزوى أراد منهم ان يكونوا على السور واقفين وفي المقابض قائمين إلى الصباح فلم يجبه الا القليل من أهل النجدة والبأس ممن له في هذا الأمر قوة وشدة مراس ولكن ليسهم ممن تقوم به الكفاية والبعض أبي عن المراد وهم الاكثر وأظهروا له انا لنخرج وان لم يصحبنا خرجنا عنه وذلك لقلتهم وكثرة قوم السلطان فلما آيس من نصرتهم أتم لهم ما أرادوه على أيدي من يسمعون فيما بينهما ورأى لاصحابه العذر الواضح من قلة ما يأكلونه من المعاش هنالك وعدم

ما يدفعون به عن أنفسهم من الباروت والرصاص وميل أهل
الدار لا إليهم مع قلة العدد وانقطاع المدد الا أنه اشار أحد منهم إليه بجبر
أهل البلد على الطعام بالقيمة فأبى أن يجبرهم عليه إذ لم يصح معه إن لهم
فضلا لذلك ، قال ناصر بن أبي نهبان أن الشيخ أفاد جواز الجبر لأهل البلد
على بيع الطعام مثل هذا الأمر الذي ذكره إن لو عرف أن معهم فيه فضلة
عن قوتهم لسنتهم أو غير ذلك من المواد التي عندهم قال : واما دخول
الوالد في هذا الأمر على قلة ما ذكره فيما سمعته أنه وعده بالمدد وبالرجال
وبما يحتاج إليه الحرب أخ السلطان وكان عدواً لأخيه حيث انتقل
الأمر إليه بعد أبيهما وأراد خروجه منه والولى من اختاره المسلمون
وأن يعقدوا الإمامه بعد ذلك لمن شاءوا ممن يرونه أهلاً لها فلما
عرفهم بخطط بالخروج على السلطان وأنه خارج من بلده بجميع ما يحتاج
الحرب إليه سار الوالد وأضمر في نفسه القهر له بالحيلة كما أخبر عن نفسه
فيما مضى من كلامه ولم يتفق له ، تشر بعد ذلك إلى أخذ الحصن على حين
غفلة فأرأى الباب مفتوحاً فلما ذهبوا إليه أصحابه ورأوا أهل الحصن سدوه ، هم
يسدون من داخل والقوم تفتحه من خارج وبقى الباب كذلك وكان أهل
الحصن أكثر من الذين يفتحونه من خارج من القوم فغلب أهل الحصن
وسدوه فقال لهم الوالد الشيخ لو كنت عندكم لرميت الحصى بين الباب
وبين الرز ، فأضربوا أن يحربوا ويصبروا حتى يصلهم أخ السلطان لأن أهل
السلطنة تتبعهم الناس أكثر من العشائر طمعا لما في أيديهم وهذا ما لا ينكره
ذو عقل صحيح قال فلو وصل أخ السلطان فلا شك أن القلوب تكون
مطمئنة به أكثر من حربهم بأنفسهم وهم عشائر فقراء ، وكان أرجى

لبلوغ المراد فلا شك أنه رأى الذي فيه السداد في سلوك منهج الرشاد فلما وصل أخ السلطان وادى بنى روضة منعه عن المسير إلى نزوى إذا كان ميلهم إلى السلطان لأن السلطان ميله بالمحبة والعصبية والحمية الجاهلية إلى كل معنى يسمونه هناوياً على الحقيقة في نسبة كذلك ولكن قسموا العوام عشائر [من] أهل عمان على غير حقيقة النسبة ويقل كل من كان نزانياً ويسمونه غافرياً وأخ السلطان معه هذا وهذا سوى ولذلك كان ميلهم إلى السلطان دون أخيه فلما وصل الشيخ خبر أخ السلطان أنه منع عن الوصول اليكم أيس من وجود ما ذكر عدمه وأيس أصحابه وهو في الأصل ما نشر لهذا الأمر الاثبته بمن واثقه على المدد بجميع ما يحتاج إليه والا فهو عالم أن هذا أمر لا يصح الا بذلك قال وقد وفي أخ السلطان بما حاهد عليه الشيخ لانه خرج بذلك وسعى وجد واجتهد ولكن لا يكون في الكون شيء الا ما سبق في علم الله بصير بالعباد ، قال هذا ما عرفته شفها من لسان الشيخ والذى قال أبو نهبان مخبراً عن نفسه بعد أن ذكر نعت الامور ورأى الخروج أولى من الدخول فخرج منها بعد أن أعطى من السلطان أماناً على كل حارب الا أنه أمان امرأ^(١) اهل هذا الزمان من البوسعيدي في عمان فهو الادنى بما ساغ إلى ان يكون المكر والخداع قصد إلى سمد نزوى لوقوفه فيها خوفاً من العدو عليها فوجد كبيرها قد عزم على الرحيل منها وأنه أخبر الشيخ سالم بن مسعود العبرى كبير قومه إنه كآثره في الوقوف فكآبره وقال له قد كنا متفرقين والآن صرنا في

(١) هكذا في نسختين وامل صوابه : امرئ ظالم وذن أظلم من أهل الخ .

سمد مجتمعين إن جاءها قاتلناه دونها وإن سار إلى بلدنا لا قيناه، قال وقوله (١) من وراء فعل الرجال لأنه من جملة الأبطال معروف بالشجاعة حين النزال وحوله من بنى عمه رجال وأي رجال وأناس آخرون عند الحاجة إليهم لا يقصرون فأبى الخروج منها والقوم تحتاج إلى الطعام وقد كان القائم به هو لا غيره ولا يرجى أن يقوم به أحد بعده فلم يمكنه أن يبقى في سمد نرؤى بعد خروجه من العقير وذكر غيره أن الشيخ جاعد خرج من العقير أول ليلة الإثنين قال ودخلوا سالمين وخرجوا سالمين قال وصروا إلى سمد ولم يقعدوا فيها قال فلما أصبح الصباح تهضت جيوش السلطان إلى سمد فخربت البلاد وشردت العباد وقتلت رجالا وبيتمت أطفالا وحرقت المنازل والحروث وخشبت النخيل قال أبو نهبان: وذلك كله لعدم إيمانه جرى منه هذا بعد أمانه أخزاه الله في سلطانه، وجميع من أعانته على شيء من ظلمه فهو من أعوانه قال أوله في الحق مخرج إلى الصواب؟ في قتل الرجال أو في تخريبه المنازل أو في نهب المال أو في تشريد العباد في الأودية والجبال أو الحق في حكمه أنه من الضلال لظهور ظلمه؟ قال وهل هن غير واحدة مما تقدم له في مثلها مما لا وجه له في العدل لحكمها قال أخفى عليك أمره بعد أن شهر في البلاد كفره هذا كلام أبي نهبان مختصرا في هذه الواقعة وقد تركت أكثره وإنما ذكرت منه ما يناسب المقام وللقصة تمام يأتي ذكره في خروج سلطان بن الإمام

(١) قوله مبتدأ وما بعده خبر •

ذكر خروج سلطان ابن الإمام

على أخيه سعيد بن الإمام

ذكر ناصر بن أبي نهبان أن سبب ذلك كان من الشيخ أبي نهبان قال : وذلك أنه لما رجع من نزوى إلى وطنه العليا شمر السلطان بالرشاء بالدرهم الجزيلة لقتل الشيخ وتبين عليه ذلك قال فشمرو الشيخ في العمل الخفيف من عمل السرفأخذ مرتبة مائة واربعة وخامسة^(١) مائتين ومزجها بحروف تعطيل حركات فلان حرفا بحرف وسطا واحدا وكسره بأخذ حرف من آخره وحرف من أوله حتى تم السطر الثاني من وسط السطر الاول وكذلك بكل سطر حتى خرج السطر الآخر كالسطر الاول وهو المسمى معهم بالزمام ونظم السطر الثاني أسماء من أوله إلى آخره كل أربعة أحرف منه إسما إن كانت جملة حروفه زوجا وإن كانت فرداً نظم كل خمسة منه إسما وزاد كل اسم منها في آخره بال أو ال وأخذ جملة بالجمل الكبير عدداً واستنطق العدد حروفاً أى جعل بدل العدد مما له من الحروف حروفاً وجعلها إسما والحق آخره ائيل وهو اسم عبرانى معناه بالعربية الله كما يقولون إسرائيل وجبرائيل يضيفون ذلك إلى الله كما تقول ناصر الله ومحمداً لله وسما لله وأرضاً لله أى لله تعالى فيكون هذا هو الروحانى وتلك الأسماء هى القسم ووكل الروحانى بتعطيل حركاته فى كاغدة وحثه بالقسم ورقم التفسير فى قفا القرطاسة وطواها وقال لولده نهبان علق هذا على الماء فى قنطرة

فليج كانت عند المسجد الذي قام فيه وهو مسجد الحشاة من بلد العليا وأمره أن لا يتركه بقدر ما عس الماء فإنه إذا مس الماء مات به ولم يرد به بعد موته قال فبطلت همة السلطان وضعفت قوته وذهبت مملكته وخرج عليه أخوه سلطان ابن السلطان أحمد بن سعيد وتولى على جميع ما كان في ولايته ولم يبق في ولايته غير الرستاق قال وذهبت هيئته حتى أن السمك يؤخذ من يد طارشه إذا حمله من السوق ولا يقدر أن يذب عنه قال وصار عبرة للناظرين وآية للمعتبرين قال وعلم الناس جميعاً أن ذلك كان من الشيخ فيه وخضع للشيخ وذل له وصار من أشد الناس هيبة منه وفرقاً من عمله ومعرفته قال وأمر الشيخ ولده بعد ذلك بزوال العمل وتدميره لئلا يهلكه قال ويجوز له أن لو تركه إلى أن يهلك في قول بعض المسلمين في قتل الجبارة غيلة قال وقد عمل به في غيره من الجبارة قال ولا فائدة في رسم جميع ذلك قال وكان أكثر أمره في هذا بالدعاء انتهى ما أردنا أخذه من كلام ناصر بن أبي نهبان وبهذا السبب الذي ذكره صارت الدولة لسلطان ابن الإمام ولم يذكر أبو نهبان ولا ولده لسلطان هذا شيئاً يكرهونه منه في باب الدنيا وظاهر الخال أن الحركات قد سكنت في أيامه واستراح أبو نهبان وأولاده وكان الملك البحري أيام اختلاف اليعاربة متفرقاً في أيدي عمالهم مثل الهند ومباشرة وزنجبار وما بعدها وكل عامل قد استبد برأيه وانفرد بما تحت يده وادعى المملكة لنفسه فسعى سلطان في رد ما أمكنه من ذلك ولم يتم له الأمر وإنما تم لولده سعيد بن سلطان ومات السلطان سعيد بن أحمد وبقيت الرستاق في أيدي أولاده حتى أخذها منهم طالب ابن الإمام في أيام سعيد بن سلطان بمعونة من سعيد

لعمه على حسب ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ثم قتل سلطان ابن الإمام قتله أهل الشمال وكانوا قد آذوا عمان في زمانه يغزونها في سفن صغار من جهة البحر ودافعهم سلطان حتى قتل ثم دافعهم من بعده ولده سعيد بن سلطان حتى استأصلهم .

وكان سلطان قد ترك ابنه سعيداً صغيراً وكان مقامهم بمسكد فزحف إليه عمه قيس ابن الإمام وكان على صحار وما يليها فحاصره بمسكد ومعه أهل الشرقية وقائدهم عيسى بن صالح وقام بأمر سعيد بن سلطان بعض أعمامه وبعض أخواله من الجبور فيقال أن قيساً خلص مطرح وما حولها ودخل مسكد ولم يبق لسعيد إلا الكيتان وما علا من البنيان .

فعند ذلك أرسلوا لعيسى بن صالح ما لا جزيلا في خفية لبعضهم وكان هو القائد الأكبر فلما أصبح اعتل بالحمى فقطن له قيس ابن الإمام فقال له أوحيت فإن كان ذلك فقم بيننا بالصلح فخرى الصلح بينهم على أن يكون لسعيد مسكد فقط ولقيس باقي المملكة وافترقوا على ذلك .

فأزال سعيد يكبر حتى ظهر على أعمامه وغيرهم وسعى في تخليص ما بقي من ممالك العرب في أرض الزنج وخلصت له وأخذ جانباً عظيماً من أرض فارس ودانت له الأمور بعد وقائع مشهورة وأحوال معروفة . وطالت أيامه حتى قيل إنه عاش في المملكة خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك .

ولطول مدته كثرت الحوادث في أيامه وخرجت عليه طوائف

وحاربه أهل نجد وأهل الشمال وبنو أبو علي وكان له في الجميع وقائع
كثيرة وحروب متوالية وأخبار يطول بها الكتاب .

وقتل عمه قيس بن الإمام في صكة كانت بينه وبين أهل الشمال في
خور فكان وقتل فيها كثير من العرب من أهل عمان .

وترك قيس ولداً اسمه عزان بن قيس وهو جد الإمام الذي سيأتي
ذكره ان شاء الله تعالى .

وسنفرد لبعض الأحوال الواقعة في أيامه باباً .

باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان

سعيد بن سلطان

ومن جملة ذلك أنه لما شخص نابه قتل ابن عم له كان قائماً بأمر دولته على جهة النيابة وهو بدر بن سيف بن الإمام فسار الوشاة بينهما بالنيمة حتى وثب عليه سعيد فقتله وكان بنخل وال من اليعاربة يسمى مهنا بن محمد بن سليمان ثم قتل وصار حصنها لمالك بن سيف بن سلطان صاحب الحزم ووقعت منه مخالفة على سعيد بن سلطان فخاربه سعيد فأخرجه من الحصن وصارت نخل لسعيد . ومن جملة الأحوال الواقعة في زمانه قدوم مطلق ابن محمد المطيري وهو عامل من قبل سعود بن عبد العزيز الوهابي جاء إلى عمان بالجيوش بواسطة الغافرية من أهل الظاهرة وأهل جعلان وشايهم على ذلك كثير من أهل النفاق ممن ينتحل بالدعوي مذهب الحق فقدم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فكان قدومه على عمان عذاباً واصباً وبلاء ويلا ذكر الشيخ ناصر بن أبي نهبان أنه كان قد استحل دماء المسلمين وشركهم ودعى الناس إلى مذهبه قال ومن لم يدخل في مذهبه قتله وسبي نساءه وذرائره وغنم أمواله، وذكر غيره أنه عامل أهل القبلة بمعاملة أهل الشرك فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم الخراج وتردد على عمان ثلاث سنين يسير عنها ويرجع إليها وأعد له السلطان سعيد بن سلطان الرجال للقتال فما أغنوا شيئاً وجاء له بالعجم والعرب فهزمهم بأزكي وصار إلى مطرح ودخلها ونهبها وأدى إليه السلطان الخراج ليدافعه عن البلاد حين لم تغن الرجال

شيئاً وذلك لاختلاف كلمتهم فيما بينهم بزعمهم الباطل أن هذا غافري وهذا
هناوى واتخذ توام وهى البريمى معقلا وبقيت فيها عمال أهل نجد حتى
أزالهم الله على يد الإمام عزّان بن قيس رضى الله عنه . قال ناصر بن أبى
نهبان : قام مطلق بحرب بلدان المعاول ثلاثة أيام فقلنا للشيخ لازم عليك
إعانة المسلمين فدخل المسجد ودعا عليهم فى الحين ثم خرج الينافى صرح
المسجد وعلى الصرح غمء فقال فى هذه الليلة ليذهبوا عنهم فلم يبيتوا تلك
الليلة فى بلدان المعاول من غير أن يدركهم أحد لمسيرهم قال ثم سار إلى
الشرقية فجئنا إلى الشيخ فقال اعملوا له طريقة المزج بقتل فلان بحروف
النارية النحسة قال ونحن فى بلد العليا من وادى بنى خروص قال وأمرنا
أن نجعله فى الموقد الذى نقدفيه وقت الشتاء فالبث ثلاثة أيام إلا وجاءت
الآخبار بقتله ، والعمل كان ليقتل قال وكنا قد عملنا ذلك بين يدي الشيخ
قال وقتله فى الشرقية كهول قليلون وهو فى جيش كبير . قلت : وهوؤلاء
القاتلون هم رجال الحجريين وكان قتله عند شكل أولاد عرفة علوى الواصل
جاءوا على حين غفلة فسلطهم الله عليه بعد أن قتل من رجالهم سبعة بيده
لأنه كان فارساً عنيداً قالوا فأراد أن يجعل الدرع على نفسه فلم يمكنه لضيق
الحال فاستوى على فرسه وكان يطعن بشلفة فى يده فسقطوا عليه على غير
مبالاة بالموت فمكّنهم الله منه وأهزم قومه بعد قتله وقتل منهم مقتلة عظيمة
وذهبوا هائمين على وجوههم وأراح الله منهم البلاد والعباد وكان قتله على
ما قيل فى سنة خمس وقيل ثمان وعشرين ومائتين والى وجاء ولده سعد بن
مطلق فى طلب ثأر أبيه فى سنة خمسين ومائتين وألف ركب فى قوم من
البريمى وجنبوا الخيل وأغاروا على بديّة صبيحة العيد وهو يوم الزينة فقتل

منهم رجالا وقتلوا منه رجالا ثم عطف راجعا فلم يعاود منهم أحد بعد ذلك
فهؤلاء الوهابية الذين تراهم في جملان والظاهرة إنعام بقايا من أتباع مطلق
النجدي الوهابي قال ناصر بن أبي نهبان ولما طغى الأمير النجدي في جميع
البلدان قلنا للشيخ عليك نصر دين الله ونصر المسلمين واجب فقال إن
شاء الله اصبروا وانظروا بما يرسل عليهم من محو آثارهم قال فما كان بعد
مدة غير طويلة فوصل السر إلى سلطان مصر^(١) ونزل عليهم ومحام من نجد
وقبض الأمر إلى مصر وأرسل الله على كل من صار إلى مذهبهم من أهل
عمان من الشرقية بنى بوعلی السلطان والنصارى ومحوم ولم يبق أحد إلا
من كتم نفسه أو رجع إلى مذهب السنية . قلت وقد رجعت بعد ذلك
لبنى بوعلی قوة لكنها لم تبلغ القوة الأولى فانهم كانوا قبل ذلك أهل عدة
وعدد وصوله يضرب بها المثل يعتقدون القتال دينا وكان السلطان سعيد
ابن سلطان قد جيش لهم الجيوش من أهل عمان فلم يغنوا فيهم شيئا وكانوا
كلما جاءهم بجيش هزموه ثم استعان عليهم بالنصارى^(٢) وجمع معهم أهل عمان
فهمهم بنو بوعلی ثم جاء بنصارى آخرين وجاءوا بشدة لا تقاوم وطلبوا
أن يكونوا في قتالهم منفردين لا يكون عندهم أحد من العرب إلا الأدلاء

(١) هو الأمير محمد علي جد العائلة المالكة السابقة بمصر وكان يومئذ والياً من قبل
الدولة العثمانية على مصر ثم استقل بها استقلالاً كاد يكون تاماً لما حارب الدولة
العثمانية فاحتل الشام وقضى على الحركة الوهابية بالحجاز وطاردها حتى بلغ عاصمتها
الرياض فاحتلها وكادت الوهابية تموت وينقطع أثرها والملك لله يؤتیه من يشاء .

(٢) قلت أراد الإنجليز وهذه البادرة كانت أول ظهور الاستعمار الإنجليزي في
الخليج الفارسي بالفعل بعد أن مهدوا له بالدسائس ثم أخذت بعد نظهر المناقسة الفرنسية
لكنها لم تستطع الصبر إزاء اليد الإنجليزية فصفا الجو الأخيرين فسكان منهم ما يشاهد
اليوم من تمكّنهم بالخليج وجزيرة العرب والأمر لله .

فهجم عليهم بنو بوعلی فی منزلهم الذي نزلوه فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتلوا منهم كذلك ثم رجع بنو بوعلی وكنوا للنصارى فی موضع منخفض قريب من بلادهم فجاءت النصارى والمدافع تسحب أمامهم وكانت محشوة بالسلاسل فنظروا فلم يروا أحدا وظنوا ان القوم قد كنوا فی الموضع المذكور ف ضربوا عود غاف كان عند الموضع فظن بنو بوعلی أن النصارى قد رأوهم فخرجوا من مكمنهم ووثبوا على النصارى وثبة الاسد الباسل فكانت المدافع تضربهم بالسلاسل فتأخذ منهم جانبا فيلتحمون حتى ضربوا رماة المدافع وكان قد قتل أكثرهم بالمدافع وانهمزم الباقون إلى بلادهم ودانوا حين استشعروا العجز فأسروهم النصارى وسبوا من ذراريهم وحملوا من نسائهم إلا من شاء الله وكذلك استعان السلطان بالنصارى على حرب أهل الشارقة من أرض الشمال فقهر بهم عدوه وكانت هذه الاستعانة منه أول سبب تدخلت به النصارى فی ممالك المسلمين من أهل عمان فبقوا آفة فی ذراريه وعلّة فی مملكته يظهرون الصداقة ويضمرون العداوة وأن أنكى الاعداء من يأتيك فی صورة صديقك يظهر محبتك ويضمر هلاكك ثم خرج على السلطان سعيد بن سلطان محمد بن ناصر الجبرى واستعان بأهل نجد والغافية واستولى على سمد نزوى وأزكى ومنح وسمائل وسنا ووادم وكان جباراً عنيداً وكان على غير مذهب الحق، ذكر الشيخ ناصر أنه كان حنفى المذهب والمشهور عند العامة أنه كان وهابياً ولكن الشيخ أعلم به لأنه قد عاصره وجاوره وذكر من جوره وظلمه قطرة من بحر قال وذلك أنى والشيخ ناصر بن محمد بن شابع الخروصى طيننا نسيئة^(١) مالا له ثمانية قروش افرنسيات وجعل عليه الخراج

(١) الطنين بيع تمر النخل خالصة وقبل بيع ثمار الأشجار .

في ذلك للمال اثني عشر قرشاً ليسلمهن في ذلك الحين قال وقس على هذا فيما وراءه فمن حصد قيمة عشرين فلساً أخذ عليه ثلاثين هذا في غير زروع الحب فإن الناس تركوا زراعته أصلاً وأن كانت الأمطار تمطر والأنهار تجري فأنهم تركوها تسيح في السيوح لا يزرع بها أحد في خارج البلد فإذا قيل لهم كيف هذا قالوا إذا حصدنا ثلاثين صاعاً أخذ منا عليه خراجاً دراهم عن ذلك قيمة سبعين صاعاً وتبقى الغرامة علينا فوق ذلك وجعل ابن صاحب الرسالة الثلبية قاضياً له على البلد التي هي من نزوى بسمد وسيأتي تمام خبره وأنه طلب الشيخ ناصر ليقتله وأن الشيخ قتله بعلم السر ونذكر ذلك كله إن شاء الله تعالى نقلاً من كلام الشيخ ناصر

ذكر ولاية طالب ابن الإمام علي الرستاق

من قبل ابن أخيه السلطان سعيد بن سلطان

وكان بالرستاق أولاد السلطان سعيد ابن الإمام وكان طالب أعمى ولكنه يظهر التجلد والتصلب حتى أنه سقط يوماً في حفرة حفرت لفسل نخلة وكانت الحفرة غريزة نحو قامة فالتحم عليه قومه يقولون طحت طحت في هيئة المتندم على إغفاله فقال لا وإنما أردت أن أقبس غرزها ثم أخذ ينقد على حافرها يقول لم لا سويتها من هنا ولا حفرتها من هنا وإنما كان سقوطه فيها لأنه لا يرضى أن يقاد وكان هذا في مال بالرستاق بعد أن صارت إليه والمال من بيت المال وكان قد استأذن ابن أخيه السلطان سعيد أن يسير إلى الرستاق وطلب منه المعونة على ذلك فأعانه وخرج في هيئة من يحضر للقبض حتى نزل في بيت الوقفان من قرية عيني من الرستاق

وكان قصرآ عاليآ فجاأ ملك الحصن وهو أحمد بن سعيد بن أحمد الامام
ليسلم على عمه وكان قد هيا له المسكر ليمسكوه إذا دخل من الباب ويحيلوا
بسد الباب بينه وبين من يتبعه من قومه فلما دخل أحمد قدام قومه سد
الباب دونهم وأمسك طالب أحمد بيده وكان قد قام له فى هيئة المحي فقُبض
هو ومن معه ثم أمر به فقيد ثم قام إلى الحصن وحاصره حتى فتح له وانتقل
أولاد سعيد بن أحمد إلى المنصور ومنهم من سكن وبل وبقى طالب فى
الريستاق عاملا من جهة ابن أخيه وملكها ملكا شديداً وحى بعضهم عن
بعض وكان ذلك فى آخر عمر أبى نهبان رضى الله عنه ، وذكروا من ضبطه
أنه كان لا يرضى أن يحرص أحد ماله فى المصطاح والجنور وقيل ان رجل
حرص ماله فى الجنور ليلة فعلم به طالب فأرسل إليه وهدده وقال أنت
ما اكتفيت بحمايتنا ولا أدرى قالوا عاقبه أم لا وأن أهل الوشيل فى أيامه
كثر ما فىهم سرقة الزرع وثمره النخل فأخبر بذلك فيقال أنه أرسل قدر ثلاثين
عسكريا من حيث لا يعلم بهم وأمرهم أن يقفوا على أبواب حارة الوشيل
بالليل فكل من جاء من خارج بزرع أو جداد قبضوا عليه ففعلوا ذلك
وقبضوا على جملة اللصوص وجاءوا بهم إلى حصن الريستاق ومعهم ماسر قوا
فسجنهم طالب فأصبحوا مفقودين من الوشيل فتساءلوا عنهم فأتاهم الخبر
أنهم بسجن الريستاق فساروا إليه ليكلموه فىهم فما أطلقهم الا بكفالة
من أعيانهم وارتفع الضر عنهم بذلك

وذكر الشيخ ناصر بن أبى نهبان أن طالب ابن الإمام كان مضمرا
للشيخ أبى نهبان وأولاده كل العداوة وأن أخاه محمد ابن الامام كان محسنا
إلى الشيخ غاية الاحسان ، ومن فعل الجميل ذكر به والعكس فى العكس قال

ولم يزل طالب يحاول للشيخ المكائد ويلتمس له المعاند حتى أجابه الريامي
يعنى الشيخ سليمان النهباني وكان بنو ريام جنده فأجاب طالباً إلى المراد
بإظهار العناد قال فنزل إلى الجار وهم بنو بحرى قال وكانوا أشد عداوة
للشيخ ولكن لم يخبروا على مخاصمته فيما مضى مجاهرة فوعدهم بالنصرة
وأمرهم أن يبدوا بالمضار وذهب عنهم وسار فأصبح الضر في بعض أموال
أصحاب الشيخ واحتصنوا في بيت كبيرهم حتى يصلهم الريامي فوصل الناس
للإصلاح فلم يقدروا عليهم وحذرهم الشيخ أن لا يبدؤهم بالحرب أبداً فسار
اليهم ولد الشيخ نهبان ليكلم كبيرهم في الصلح بغير سلاح وربما من
غير زم لقميصه بزمامها من السرة بل شدها من أمامه بعضها ببعض
ونهاه والده وقال لا تخلف على قال وكان كبيرهم أقرب المقربين مع ولد
الشيخ نهبان وربما أكثر ماله بعتاء الشيخ نهبان له فلما دنا من الباب ومعه
أخوه الشيخ سعيد بن أبي نهبان لينادي كبيرهم ضربوهما بينادقهم فأصابتهما
ومات نهبان في تلك الليلة وقتل منهم رجل وانهزموا إلى جبل بنو ريام
وأما سعيد فقد عافاه الله بعد زمان ونزل بهم الريامي ووصل العبري واصلحوا
الحال بين الفريقين بالكف عن بعضهما بعض لا غير وذكر غيره أن قتل
نهبان كان في سنة ست وثلاثين ومائتين وألف قال وكان ذلك قبل موت
الشيخ بسنة قال الشيخ ناصر فلم يكف ذلك الجبار المرید في الشيخ وأولاده
وأخذ كبير الجار إليه وأسكنه في بيته وأحسن إليه وأثاره إلى ما أراده منه
وكانت لهم حجرة في السفالة من العليا فأمرهم أن يحتصنوا فيها وفيها بيت
مانع ليقيم وهي على مضيق الوادي ولا طريق للبلدان من العليا اليهن
الآنحت الحجرة فقطعوا الطريق عن المرور فيها من أصحاب الشيخ وذهب

كبيرهم إلى الريامي لينزل معهم وأرسل أصحاب الشيخ إلى عشيرتهم من بلد
المشائق ووصلوا قبل وصول بني ريام وأمرنا الشيخ بحربهم وقتلنا حتى
يبدأوننا قال ان المسلمين حربوا من بنى بأقل من بنعيم، حربوهم حتى يهدموا
حجرتهم فلم يتدوهم حتى مر رجل من نسل أحد آباء الشيخ يسمى حنظل
في الطريق فلما كان بحذاء حجرتهم ضربوه يبنادقهم من الحجرة فأصابته
ضربة في الورك ولم تقتله ووقعت الحرب يومئذ واحتمى كل فريق منهم
في بيت وتركوا بيوتهم وأحرقت المنازل وخشيت كثير من أموال الفريقين
وأحاط أصحاب الشيخ بحجرة الجار، قال وكان الوالى يومئذ على الفريقين
صاحب نخل الشيخ سعيد بن سيف المعولى وواه السلطان سعيد بن سلطان
ابن أحمد قال وهو ابن أخ هذا الجبار ووصل مع الفريقين وقد صح معه
التمعدى فقبض الحجرة وأمره الشيخ بهدمها فقبل له أن البيت المانع فيها
الذى هم متحصنون فيه لأيتام قال اهدهوه وغرامته فيما بينهم وبين الله
وفى الحكم عليهم لأنهم هم كانوا فيه السبب لهدمه فهدم وصلاح الحال
بالتوقيف عن الزيادة وبقي كذلك أشهر أليس لهم قوة على المعاندة ولا للريامي
إذ ليس لهم منع يتحصنون به قال فلم يكف الجبار ما قد جرى من المضار
فلم يزل يطلب من ابن أخيه الرخصة فى بناء حجرتهم وأنه هو المتكفل بهم
إن تعدوا حتى سمح بذلك على غير رضى من الشيخ فحينما بنيت ذهبوا بليل
إلى العليا ورصدوا للساقى بالماء فى الأموال وقتلوا رجلا من أصحاب الشيخ
يسمى عبيد بن سعيد الخروصى ووقعت الحرب بين الفريقين وأحاط أصحاب
الشيخ بالبيت ووصل الوالى وقبضه وأمر بهدمه وأمره الشيخ أن لا يتركوهم
يسكنون هذه الحجرة ماداموا على أحوالهم هذه وتوقف الأمر ومات الوالى

وجعل أخوه الشيخ خلفان ابن سيف والياً بعده فطمع الجبار أن لا يكون مثل أخيه قوياً وطلب واجتهد لعمارة الحجره فطاوعه السلطان ، فعمروها في حين ، ثم أن أهلها منعوا الطريق عن المرور عن مسير أصحاب الشيخ إلى أموالهم التي بالسفالة ، وأقاموا الحرب قال وكل ذلك طاعة للجبار ويعدم بما يحتاجون إليه واحاط بهم أصحاب الشيخ قال ووصل هذا الوالى الآخر وقبض احداً من كبرائهم ووقف الحرب والمضار واخذ الكبير إلى نخل ليذهب به إلى السلطان وألحقه^(١) أنا للصالح وصار كل منا آمناً من المضاررة في أمواله فسمعنا حسا كأنه أحد يخشى في الأموال خفية في الليل فأرسلنا اليهم فقالوا نخشى بأمر الشيخ فمنعناهم فعلم بذلك فأحضرنا فقال من منعني منكم عن الخشى فقلنا له نحن فقال هل يجوز هذا في شرع المسلمين أن تمنعوني عن أخذ حق هو لى وجائز لى أخذه قلنا له ان الوالى قد منع ذلك فقال هل يجوز للوالى أن يوقفنى عن أخذ حقى فوقف الحرب بحكم باطل ظلمنى فيه لأنه اخذ كبيراً منهم ووقف الحرب ولم يهدم البيت فأنا لم أحرص لأقتل أحداً بل ما كان حربى إلا لهدم البيت وقد عزمت على القوم حتى قرب حصول المطلوب فضيع على الأمر فيحتاج إلى غرامة أخرى أليس هذا من الباطل منه لى ولا شك أنه باطل أن لو كان عارفا لعرف أن عليه غرامة ذلك لى والحكم أن عليه أن يحرب معنا حتى يهدمه إن قدر على ذلك لأنه منكر وعلى كل من علم به أنه صار فى حد المنكر أن ينكره بهدمه مع القدرة على ذلك أو يعين من ينكره إذا علم أنه كذلك وقدر على الإعانة، وأمره ظاهر أنه على طريق المسلمين وبعيهم ظاهر والاياس من صلاحهم حاصل قال فهذا على معنى قوله

(١) الظاهر أن المراد وألحقه بكتاب فيه : أنا للصالح ... الخ

رحمه الله قال ولم تقدر أن تكفه عن الأمر بالخشي إلا بوعد مني له إنى لأصالح
على هدمه فقال إن لم تهدمه كان منك السبب على تركه فإذا وقع منهم ضرر
فأنت شريكهم في الإثم قلت له الطاعة لله ثم لك قال وذهبت مع الوالى
وذهبنا إلى السلطان فى مسقط ووقع صلح السلطان بأن نسلم لهم قيمة البيت
ويهدم قال ودفع السلطان الثمن إلى خفية عنهم ودفعت ذلك إليهم والبيت فى
قبض الوالى وأمر بهدمه وهدم ووقفت الحرب لعجزهم عنها بغير منع ولم
تكن حيلة للجبار إذ لا قدرة لهم إلا بالمنع قال ولم يكفه هذا إذ ليس له
إرادة لإهلاك الشيخ وأصحابه الساكنين معه فى بلده مقدار خمسة وعشرين
رجلا ولكن معه عشيرة وأصحاب من بلدانه التى هى أسفل من حجرة
الجار وجاره مقدار مائة رجل يعنى بنى بحرى قال ولكن ينزل معهم الريامى
فى مقدار سبعمائة نفس والله أعلم ، قال وكان فى نفس السلطان من اعداوة
للشيخ وأولاده وإرادة السوء لهم ما فى ضمير عمه لهم والعلة واحدة ، قال
ولكن قد تبين له من قبل بضياح شىء من ماله فتضعضت عليه جميع
أموره فلما صلح حاله معه صلحت أحواله التى كانت تضعضت عليه ولم يقدر
أن يتبين له خوفاً من دعوته إلى الله الجبار أن تؤثر فيه شيئاً من آثار الدمار
قال ومن حيث أن الوالى ليس فى إرادته ذلك بل لا يرضى فى أحد الفريقين
إلا الإنصاف بالعدل بينهما وأدب المعتدى بما يستحقه فى الحكم وبقى
كذلك الأحوال ساكنة بين الفريقين قال ولم يقدر المرید طالب الجبار
العنيد بعد ذلك على السعى فى بناء الحجرة مادام الوالى حياً ولم يبق زماناً
إلا ومات يعنى الوالى خلفان بن سيف قال وما كان بينه وبين موت الشيخ
إلا مدة قليلة وذكر ذو العبراء خميس بن راشد أن موت أبى نهان كان

يوم ثالث من شهر الحج سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف قال الشيخ ناصر
وكان عمره تسعين سنة عدد أحرف اسمه تعالى ملك ، قال وأما الجبار فإنه
قبل موت الشيخ لم يزل يحاول على ولاية الرستاق لتكون له ولاية
الفريقين ليفعل في كل منهما ما يهواه هو وحتى اتفقت له وتولاها ولكن بقي
الفريقان في ولاية ولد الشيخ الوالى الأول سعيد بن سيف المعولى الذى
ذكرناه وسار فى الفريقين سيرة أبيه ولم يقدر الجبار أن يعارض وهم فى
غير ولايته إلى أن مات الشيخ كما ذكرناه فتشمر المرید وابن أخيه جميعاً
لإظهار ما أكناه من العداوة والإرادة فى أولاد الشيخ بسبب عداوتهم
لأبيهم قال ولم يكف الجبار إلا هلاك الشيخ وهلاك نسله وأمواله ومنازله
وتدمير ما صنفه من العلوم النافعة وأنه فى آخر أمره بعدما تولى الرستاق
ليتولى الفريقين فيفعل فى كل منهما ما يهواه هو ، ولكن بقي الفريقان
فى ولاية صاحب نخل سيف بن الشيخ الوالى الأول الذى ذكرناه سعيد بن
سيف وأخ الوالى خلفان بن سيف قال وصار الولد سيف فى الفريقين سيرة
أبيه وعمه مدة قليلة قال ولم يقدر الجبار يفعل ما يهواه هو فى الفريقين
وهما رعية غيره كذلك مدة قليلة ثم توفى الشيخ قال فحين توفى الشيخ
تشمر الجبار إلى ما أراده فى نفسه وقصده قال والتمس من ابن أخيه السلطان
ليولىه الفريقين ويفسح له أن يفعل فى أولاد الشيخ ما يشاء قال فوجده
أشد عداوة منه وإنه ما كتم فى حياة الشيخ ذلك إلا فرقاً منه فخذل
بذلك قال ولا طفنى خدعاً أن نأتلغ ائتلاف العناصر والخناصر بالبناصر
واكتب له شيئاً مما يبطل عنه جميع الأعمال الطلسمانية ولا تؤثر فيه جزماً
فأجبتة لذلك على عهد وميثاق أن يكف أذاه عن إخوتى أولاد الشيخ

فأجاب وجعلت ذلك من أعظم الصلاح لهم قال فمزجت له من الحروف
النارية الممزجة ذوات النقطة منها بحروف تبطيل السحر من فلان وأتممت
العمل فيه بالطريقة التي عملها الشيخ في المزج بتبطيل حركات
فلان المقدم ذكرها وشربه في إناء وفي كاغدة اتخذه حرزاً وهذا
من أقوى الأعمال في هذا حتى قيل في المسحور أنه لو كان قد غاب حسه
وانظرحت جثته أفاق من ساعته وحينه إذا شربه فكل من عمل له ذلك
لا يضره عمل قال فلما عرف سره تشمر العدو للحرب فأمر الجار بقطع
الطرق من حذا حجرتهم عن مرور أولاد الشيخ وأصحابهم إلى سقى أموالهم
ومعاناتها وقطعوا سقى أموالهم فأرسلوا عليهم فقالوا لا نخالف طالب بن
السلطان فيما أمرنا وهذا بأمره فلم نصدقهم فراجعنا الجبار فقال لقد كذبوا
وهو الكاذب وكان موضعاً في جبل أعلا من بيت الإخوة مرصداً يسمى
أهل عمان ما كان مثله بومة وليس حيلة ليدخل البلد إلا إذا قبض ذلك
المرصد فهبط الإخوة من بينهم ليأمن السارقون لأموالهم وليس لهم
طريق إلى ذلك لأجل قطعهم الطريق فرؤوا في الجبل وهم خمسة نفر من
أولاد الأخوة وأصحابهم فما كان إلا قليلاً حين صاروا بحذاء حجرتهم
إلا والجار من أعلاهم يضر بونهم بالبندق وما كان بينهم وبين أصحابنا أكثر
من خمسة عشر باعاً فلم يصب أحداً منا فسلو سيوفهم فسل أصحابنا سيوفهم
فأصابوا منهم رجلين وماتا في الحال وانهمزوا جميعاً ولم ندر من الجبار أن
هذه حيلة منه لتقبض المرصاد الذي ذكرناه وهو الذي يحصرنا به عن الماء
فأرسل إليه أناساً من بني ريام ونزلوا فيه على غفلة منا ودعى بكل ريامي حيث
كان ومن حيث ظن أنه ليحييه ونزلوا في مقدار ألف نفس وجاء هو بنفسه

إلى حربى وأنا فى بلد سونى وهى التى تسمى العوانى وأنا فى بيت صغير عند شريعة الفلج عند بيت كبير لوالدى ولبعض عشيرته جاءنا فى مقدار ألف نفس قال وما معى غير ستة أنفارت ركت ثلاثة منهم فى بيتى وثلاثة فى البيت المنسوب للشيخ وأرسل ابن عمه السلطان إلى العشائر ليعينوا عمه فإذا جاءوا إلى الجبار قالوا على أى شىء تحربهم وعلى أى سبب لأن الحرب لا يكون إلا عن سبب فيحربون إلى أن يؤدوا الواجب فقال لأدرى ابن أخى أمرنى بذلك وهذه خطوطه لى ومكتوب فى آخرها بعضها بخطيده حين نظرنى إياه لا بد من هلاكهم وإذا ساروا إلى السلطان بذلك قال لأدرى عمى أراد لهم وهذا خطه فلما عرفوا منهما ذلك سكتوا عنهما قال وهو يضربنا بالبنادق والمدافع ولكن جميع القوم لا يضربنا من يضرب منهم إلا بالباروت وقطع الخرق القديمة قال وكنت أذهب إليه وأجلس معه فى القوم وقد اتخذ معه شاعراً فاسقاً متهما بالرجال يسمى سعيد بن أحمد اليعمى فيهجو بنظمه من شاء أن يهجو بالصفات قال وكفاه خبيثاً أن سماه الشيخ سفلة من الرجال قال واتخذ متعلماً متكلماً خبيثاً ثنيان بن ناصر المعولى قال وكان كثير الخبث مطاوعاً له فى جميع أموره اتخذ له ليعمل له سيراً فيمن يريد أن يطمئن فيه بالباطل من المؤمنين ، قال واتخذ متعلماً آخر يسمى سليمان ولا فائدة فى تعريفه وفى ظاهر الأمر أنه عارف فقال الجبار وأنا معه فى الحرب أتريد تعرف ورع سليمان ؟ قلت إليك فنادى الشيخ سليمان فقال ليك قال حرب أولاد الشيخ جائز أم لا ؟ قال : جائز حربهم قتلهم وهدم بيوتهم وخشى أموالهم ولم يدر أنى مع الجبار حينئذ قال فقلت له بأى وجه أجزت ذلك فينا فنكس رأسه استحياء منى ولم يستحي من الله ، وقال كيف

نقول لم نقدر أن نسكن معهم إلا أن نقول بما يرضيهم فقلت هذا وجه إذا
كان على هذا أى وجه من طرق الشيطان قال ودام الحرب كذلك سبعة
أشهر وخشيت ما بقى من أموالنا من العليا وقطعت الأشجار ونزل من
البيت ولد الشيخ ماجد ومعه أحد عشر رجلاً فى الوادى وكر عليهم
وقتل أنفاراً وانهمزوا على كثرتهم ولم يقدروا بعد ذلك أن ينزلوا قال وبعد
ذلك انتقد^(١) جدار الأجل يعنى بركة الماء التى يوردون منها وأيقنوا بالغلبة
والقتل فعملت الحيلة وقلت لهم اكنتموا الأمر فصالحته على أن نخرج من
بيوتنا ونحول طاعتنا فأجاب إلى ذلك لظنه أنه لا يقدر علينا مادام معنا
ماء ولم يعلم بذهابه فحولنا ذلك وخرجنا وقبض البيوت وهدمها ودعى بنا
إلى الصلح ليحسب قيمة الأموال ومبلغ دية القتلى ويقاصص ما بيننا
فقلت ليس الحق كذلك فى قول والدنا ان المبتدىء بالحرب ظلماً عليه
كل ما أفسده والمحروب ظلماً ليس عليه شىء مما يفسده على من حربه
ولا على من كان معهم فى إعاتهم فى ظاهر الأمر لعله سأل وتوقف، ووقف
الحرب وبعد مدة رجع الإخوة إلى بيتهم ولم يسمح ليدنوه إلا بناء ضعيفاً
وعاش على اذائهم دائماً فى حياته قال ثم انتقلت إلى نزوى وسكنت فى
العلاية فى موضع يسمى الجحى قريباً من مسجد خب القش قال وولى أمرها
يومئذ وكثير من بلدان تلك النواحي التى تسمى عمان محمد بن ناصر الجيرى
حنفى المذهب وبلغ من أمره ما قد بلغ ثم ذكر من جبره بعضاً ثم قال وجعل
ابن صاحب الرسالة الثلبيّة قاضياً له على البلدة التى هى من نزوى سمى قال
وكان هو أعلم من فيها قال وأما أفضل من فيها فالشيخ العالم الورع الثقة

السميدع الضرير علي بن سليمان العزري رحمه الله وهو من نسل العالم موسى بن علي رحمه الله ومعهم أصحاب متعلمون ولكن دونه في العلم وهم أهل زهد وورع وقد بلغوا حداً من حدود الكمال في الفضل قال وكلامهم يقولون ذلك . وقال في موضع آخر :

بيان ما كان من ولد العبادي

من الكلام في أولاد الشيخ ولاء الحكيم في نزوى والى من أهل المذاهب الأربعة تولى علي أزكى ونزوى ومنح وأدم ولاية لم ير أصحابه أشد منه ظلماً إذ ليس هو على مذهبهم فلم يدخل قلبه بمض رحمة علي أحد منهم حتى مات وكان ولد علي بن مسعود العبادي وهو الشيخ العالم عامر ابن علي الذي ولاء الحكيم أكثر أهل زمانه في العلم وأما في العمل به فالإعراض عن الكلام في بيان ذلك ورسمه أخرى ولا فائدة لنا في ذلك ولكن مما يدل على بعض أحواله بعد نظمه في أولاد الشيخ في هذه الحرب الواقعة عليهم كما ترى ومن يهد الله فهو المهتدي ومن لم يهد الله فما له من هاد قال وصل كتابك الشريف أيها الشيخ الأبر العفيف الثقة الشيخ سليمان سالمك الله وعافاك وأبقاك ذخراً لنا ولكافة المسلمين وكفاك ما اكتنف دارك وموطنك وقرارك من غياهب الفتن ما ظهر منها وما بطن وفهمنا منه ما يشغل القلوب فيذهل العقول بل القضا قد مضى فانقضى ولا حيلة في تغيير ما ترجمه القلم في اللوح المحفوظ نسأل الله أن تكون العقبى في هذا في الآخرة والأولى خيراً إن شاء الله تعالى ومن المرجو منك أن لا تقطع صغيرك التعريف فيما يحسن كونه منك له كما هو لك كذلك النية والاعتقاد والله الموفق على موافقة ذلك القول بالعمل

وعليك منى جزيل السلام والتحية والإكرام وممن ذكرتهم وعرقهم
بالسلام من الإخوان في الإسلام من العبد الفقير الحقير المقر بالزلل
والتقصير عامر بن علي بن مسعود بن علي بن علي بن محمد بن خلف بن أحمد
ابن علي بن محمد بن عباد بن محمد بن عباد العبادي بيده وإن بدت حاجة
تقضى إن شاء الله . وهاك في معنى هناك هذه الآيات قلتها حين وفد علي
كتابك الكريم فذكرت المعاهد وصفاء الموارد الذي كنت إليها وارداً
وانظر عساها تكون قاضية إلى تلك المعاني قاصية على ما تعلق بها من
المباني . فقلت شعراً :

محال أن تكون لنا بقاع	مناديساً يدس بها المتاع
وعزاً للرجال إذا اعترأها	اعتداء وافتتان أو ضياع
ولكن الرجال لهم طباع	تصان بها المواضع والضياع
فهذا ديدن النجباء منهم	وبعضهم لبعضهم سباع
ألا يا أيها المرتاب فيما	نبأت به فما عنه نزاع
فذاك الصدق والحق المنير	حكى شمس النهار له شعاع
كفأك بما تراه من الرزايا	بوادى بنى خروص والسماع
عموت ذوى الحلوم فتى خميس	ورباني الورى وقع الشناع
لقد ذهبت مهابتة وضلت	فلا يرجى لها فيه ارتجاع
وتاه المحتمون به فـابوا	وشيكاً عاقهم عنه انتجاع
وشتت شملهم وذرى ذراهم	ونال حمام العالى اتضاع
فلم تحميمهم السمر العوالى	ولا ما شيدوه ولا اجتماع
فلم يمنعهم حرص الصيامى	ولا رصد الشوارع والدفاع

لقد أخذوا بهذا الأخذ لما
تغلب قلبه الأهواء حتى
تردد سيره في كل وادٍ
فصبراً بآدى الآرا جميعاً
ولو هو حيث مانادى أبوه
هلم بنا فنحن إليك حصن
تقاصر دوننا وأبوك يوماً
فلباها على عجل محيياً
واكن القضاء عليه جار
عسام غيروا فرموا بهذا
فما ظن التمزز بالصياصي
إذا اجتثت براثين البرايا
وإن منح الزمان مثل هذا
فلا تفرك [الأحلام دار
في الله من زمن رمانى
سوى كف المنية فهو يقضى
فياخسر البرايا حين أودى

بليد الرأى صار هو المطاع
به جرت مطيته الرعاع
تضعضه الفدافد والتلاع
على مالا له عنه اندفاع
ونادته المحابر والرقاع
به مس العباهلة ارتياع
مضى في مضنا البطل الشجاع
لصح له على الجوزا ارتفاع
وعترته فما عنه انصداع
وغيرت المنازل والبقاع
وبالشم الرواسى له امتناع
فدع من لاله منا استماع
غريباً فهو منه له لنا اختداع
بها الغوغا لمذهبها مطاع
يلوى لالهاعنى انقطاع
لما يبنى الزمان به انقشاع
أبو نيهان حاق به الضياع

قال الشيخ ناصر وكتب سليمان فى القرطاسة بعد هذه: واصلكم أيها
الإخوة لمشايخ ثنيان بن ناصر المعولى وسعيد بن أحمد اليعمدي قرطاسة
فيها ثلاثون بيتاً فالمرجو منكم أن تنظموا على منوالها كل واحد بعددها

وأرسلوا الجميع ويبنوا في نظمكم الصور الموجودة زيادة للبيان وللاستحقاق
لما وقع وجرى وأتم محل النفس فكونوا كما ظننت بكم والسلام من سليمان
بيده قال الشيخ ناصر ونحن لا لنا حاجة بأن نتكلم في شرح مارقه سليمان
ولا ما نجده عن سعيد بن أحمد ولا عن ثنيان من الطعن في أهل الإيمان
بما لا يجوز في دين المنان لأنهم لا من ضعفاء أهل العلم فضلا أن يكونوا
من العلماء بل هم معروفون إنهم من الجهلاء الذين يرضون الأمر بما يريدونه
منهم على ما يحبونه ولو كان على غير اعتدال الميزان ميلا إلى هوى السلطان
قال وكفى بسيرة الشيخ أبي نهبان التي لو إلى حصن السويق محمد بن السلطان
أحمد بن سعيد بما أبداه فيها من الذم لسعيد بن أحمد اليماني دليلا على
خبثه وقد جمعه والى نخل قاضيا في بلد نخل ومات رجل لم يخلف غير خمر
وكان لولده حق عليه فحكم أنه يجوز أن يباع لقضاء دينه إذا لم يوجد له
لوفاء دينه فدعى بأهل النسق وعرفوا أن هذا لا من الحق ونادوا عليه على
سبيل الاستهزاء به ليشرهوا أمره شاهر أظاهروا نادى أهل الإيمان بالنكير
مع أولى الأمر فلم يسمع لهم وباعوه بلا حياة من أحد فإذا كان مثل هذا
وثنيان بن ناصر إخوته وهو يعلم بما يجري منهما لأن أمرهما ظاهر لا ينكره
أحد فلا بأس إذا رضى لنفسه أن يكون منهم قال والناظم لهذه المنظومة
إذا كان يرضى من جملة إخوان هؤلاء الثلاثة ويرضى أن ينزل منزلتهم فنحن
نرضى أن ننزله في الحكم الذي ينزل فيه وإن كان لا يرضى إلا الحق وقال
في موضع آخر بقي طالب يعاودهم في الحرب أربع عشرة سنة والثلاث
السنين في زمان والدهم قال ولما صرت بنزوى لم أكن أشتغل بأذى الجبار
ولم ينزل الإخوة دائما مستأذين حتى هموا بالفرار من أرض عمان إلى ماشاؤا

من الديار قال وعرفوني اما انفعنا بشيء من الأسرار فشمرت وعملت
صورتين من شمع احدها صورة الجبار والأخرى صورة السلطان قلت
التصوير حرام ولا أدري بأى وجه استجازه الشيخ ناصر ولا أقول بجوازه
حتى للمعنى الذي أراده قال وفرقت في الأعضاء اعداد الوفق الثلاثي ومع
كل عدد حرف ونكستهما في التعليق واتخذت لوحاً من فضة وصورت فيه
صورتين إحدها معكوس رأسها مع قدميها هي صورة السلطان والأخرى
معها قاعة معتدلة ورسمت أنه الملك والانتزاع كل كلمة منها في الصورة التي
توافقها من الملك والعز للقاعة ليكون في السؤال ممن هو خير منه والانتزاع
والذل للمكوسة قال وتلوت عليهما وعلى صورتى الشمع ما قد أشرت إليه في
ديوان المصطفى الذي صنفته كله نظماً على حروف المعجم في الصنعة الفلسفية
والحكمة الربانية قال وهو أخصر من النثر وأحضر قال ورسمت المشار إليه
فيه في كتابي طرف الألفاظ والسر الخفي في شرح مربع الشكل القافي
والشكل الألفي قال والمراد بذلك هلاك الجبار يعني طالب بن الإمام
وتضعع ملك السلطان يعني سعيد بن سلطان قال ولم أر هلاكه خوفاً
أن يتولى بعده الجائر الظالم محمد بن ناصر الجبرى وهو حنفى المذهب
فلا يؤمن منه إذا تمكن ملكه في عمان أن يدعو الناس إلى مذهبه بالجور
والعدوان قال وعرفت الإخوة أن اصبروا السنة ونصف سنة فعند انقضاء
ذلك يقضى على الجبار ويتضعع ملك السلطان قال وإنما احتاجا إلى هذه
المدة لما ذكرته من الرسم لهم في تبطيل الأعمال عنهما وكان يأتينى في بعض
الأوقات نوم كثير وأعاني على ذلك أهل الورع والتقوى من أهل سفالة
نزوى بالقهوة التي هي شربة البن لأقدر على التلاوة في بعض الليل وأقوى

فنفعت ويقولون لي أكثر من التلاوة فأقول لئلا يموت في دفعة من الألم فلا يكون عبرة لغيره من أهل الظلم فطول السقم أشد عذاباً وجزاء في النقم قال فما كان أشهر إلا وتألم واستقم وصاح وناح وتحير فلم يمكنه أن يقف في مكان أبداً ولم يزل ينتقل به على سواحل البحر من بلد المصنعة تشريقاً من موضع إلى موضع يحمل على أعواد الخشب لا يقدر على القيام بل على جنبه يقلب ويتقلب حتى انتهى إلى مسقط فلم يستطع الوقوف فيها مدة لتحيره وثبت ينقل من موضع إلى موضع تشريقاً من مسقط ودام على هذه الحالة سنة كاملة أو أكثر ولم يزل كذلك يحمل وينقل راجعاً إلى الرستاق ووصل ومات فيها عبرة لأولى الألباب ولم نعلم له ولا علمنا أنه علم به غيرنا أنه تاب بل لم يزل وهو على ذلك الحال على الإصرار في الظلم إلى أن قضى نحبه ومردده ومردنا جميعاً غداً إلى الله الملك الوهاب . قال : وأما السلطان فلم يزل يتضعضع عليه التوفيق حتى أخذ عليه شيء من حصون البلدان الشاسعة من ولايته له قال ثم نهض رجل فقير متورع من أهل التقوى في ظاهر حكمه زجار يعني أنه يزجر له في الباطنة بموضع قرب صحار يقال له القصير قال واسمه حمود بن عزان بن قيس بن السلطان أحمد ابن سعيد البوسعيدى قال كان أبوه وجدّه واليين على صحار ونواحيها ومات عنه أبوه وهو في سن الصغر قال : واختلس خفية بأناس قلة فأخذ حصن صحار وهو في ولاية السلطان سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد قال وسعى بغير حرب إلى قبض ما بقى من الحصون التي بنواحيها وقد انتهبوا له وتشمروا الحربه فلم ينفعهم حزم وحصلت له جميع حصونها في أقل من شهر بأناس لا يزيدون على أربعين نفساً وحصن ينقل أخذه

بخمسة وعشرين نفساً وكلهم على حزم منه قال وسعى إلى الرستاق بسبعين
نفساً وما عنده من الطعام شيء بل يأكلون القاشع والتمر الضعيف في النهار
والأرز والموال في الليل فحصلت له والحروب فيها كانت قائمة في ثلاثة
أيام عبدة للأنام .

قلت : وذلك أن الرستاق بعد موت طالب صارت إلى سعود بن علي
ابن سيف وهو فيما أظن أحد أولاد الإمام فيحكي عنه أنه صار فيها أجبر
من طالب واستغاث من ظلمه أهل الرستاق والله أعلم بحاله ثم أبق له
عبيد وخرج بنفسه في طلبهم حتى نزل بالمنصور وكان فيها رقيقه وهو
سلطان بن أحمد بن سعيد ابن الإمام فأنزله على الرحب والسعة فينما هو
نائم في المسجد وقت الظهيرة إذ أتاه صاحب المنصور فضربه بتفق من
المصباح فقتله ثم جمع صاحب المنصور من حوله من الأعراب وزحف على
الحصن وحاصره وعند ذلك قدم عليها حمود بن عزان فدخلها والحرب قائمة
واعل ذلك كان لرغبة أهل الحصن فيه .

قال الشيخ ناصر وكلما سار إلى حربهم السلطان بجيش كبير في
مقدار عشرة آلاف هزمهم بمقدار مائتي نفس قال وجيش عليهم في وقت
مقدار سبعة آلاف وثمانين رأس خيل وقد قلنا لا تخافوا ولو جيش عليكم
ومن الأرض جميعاً فانهم ليولون الأدبار بسر إلهي قد ستر عنكم فتلقاهم
أخوه قيس بن عزان بن قيس بحصان واحد وخمسة وسبعين رجلاً فظهر
عليهم بعد القتال الشديد فردهم على أعقابهم وولوا الأدبار وصح فيهم
القتل الكثير والجراح ولم يقتل من أصحاب قيس أحد وإنما جرح اثنان

وعافاها الله تعالى قال ورفع حمود جميع المظالم واجتنب جميع المسآثم إلا ما دخله عن جهالة أنه يجوز له في ظنه قال وأشهر توبته مع جم كثير من المسلمين ولم تزل تتسهل له الأمور .

قلت : ولما ذكره من صفات حمود بن عزان اجتمع المسلمون عنده وهموا بتقديسه إماما فلم يتفق ذلك لأمر أراده الله وكان حمود قد خلع الحصون للمسلمين وقلدهم الأمر وصار كواحد منهم فاجتمعوا يوما في مسجد البياضة من الرستاق ليعقدوا له الإمامة ثم اختبروه بشروط يشرطونها عليه وهي الشروط التي يشرطها المسلمون على الإمام الضعيف فأبى أن يقبلها وتفرقوا عنه وتركوه ومن يومئذ بقيت الرستاق في أيدي أولاد عزان إلى حال التاريخ . وأما صحار وما حولها فإنها أخذت منه بالحرب بعد أسر حمود بن عزان هذا فإنه قد أسره السلطان ثويني بن سعيد باحتيال احتاله عليه في المواجهة فأمسك وقيد وحمل إلى مسكد وسجن فيها ومات في السجن وكان لحمود في حياته ولد اسمه سيف ابن حمود فطلع طلعة على خلاف سيرة أبيه واستولى بالغبلة على صحار وما حولها وخاف منه أبوه وعمه فأمر به أبوه بعض الخدم فقتله في صحار . وأما السلطان سعيد بن سلطان فإنه بعد ماضى قرب الشيخ ناصر وأدنى منزلته وضمه إليه وأكرمه وأنعم عليه فكان إذا سار إلى السواحل حمه معه فصاححت أموره بعد صحبته وكان الشيخ ناصر لهم فظاً غليظاً ينكر عليهم في حضرتهم وكانوا يلينون له ولا يظهرون له ما يكره خوفاً أن يصنع فيهم شيئاً من السر الإلهي الذي اشتهر به وعرف بعمله بين الخاص والعام ومات الشيخ ناصر في زنجبار ، وله مع السلطان قصص ولا حاجة لنا بذلك .

وذكر ذو الغبراء خميس بن راشد العبدي قال سمعت عبد الرحمن يعني ناصر بن أبي نهبان أنه أكل الخبز بالماء والليمون سنة في بلد نزوى من قلة ما في يده لأنه سافر عن بلده لما خاف على نفسه حين خشي ماله وهدم بيته طالب بن أحمد بن سعيد . وقال الشيخ ناصر في ذلك :

معيشتنا خبز لغالب قوتنا وماء وليمون وملح وقاشع
فان حصلت مع صحة الجسم والتقى فياحبذا هذا بما هو قانع

قال ذو الغبراء : وعمت هذه الأخبار مع جميع الفرق الإسلامية واليهودية والنصرانية والمجوسية فتأسفوا في نفوسهم بما أصاب عبد الرحمن ثم اجتمعوا في بندر مسقط بحضرة سيدهم ومولاهم سعيد بن سلطان وقالوا هذا عار لبستموه ومن عقها نار شديدة فلا يرضى أحد بمثل هذا من الأمراء في علمائهم قال فكتب السيد إلى عبد الرحمن بالوصول إليه فلما وصل عنده حياه وكرمه وعظمه وكساه وجعل له فريضة معلومة ويوتا مستورة وتزوج له من أحسن نساء أهل زمانه ومهنا مشى خطوة في حضر أوفي سفر أخذه في صحبته وأطعمه من طعامه واستشاره في أكثر أموره في طول زمانه إلى أن توفاه الله إلى رحمته : توفاه الله في حجره وجواره في بندر زنجبار وذكر في موضع آخر أن الشيخ ناصر توفي يوم الأحد والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ومولده ببلد العليا في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف .

وتوفي الشيخ علي بن ناصر الرياى يوم ١٨ رجب سنة أربع وستين ومائتين وألف يوم الثلاثاء وقت الظهر وقبل موت الشيخ ناصر ببسير قلد جمود بن عزان أمر المسلمين على حسب ما أشرنا إليه أولا ، ونذكره الآن مستوفى .

ذكر تقليد حمود بن عزان للمسلمين

وكان ذلك في أول سنة اثنتين وستين ومائتين وألف فان حمودا في هذا الوقت عزل نفسه من الحصون وقلد أمرها للمسلمين فجعل أمر الرستاق بيد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي^(١) وصحار بيد الشيخ حمد بن خميس السعدي والشيخ جميل بن خميس السعدي مؤلف القاموس^(٢) وجعل الخابورة بأيدي آل خميس فغيروا المناكر وأمروا بالمعروف وأقاموا العدل واجتهدوا طاقهم وطلبوا شخصا للإمامة وكتبوا إخوانهم من كل ناحية قال ذو الغبراء لزمنا دعوة علمائنا وإخواننا المسلمين وقصدنا بالطاعة إليهم مسرعين ونزلنا عندهم بمسجد البياضة والخلق من كل فج مجتمعون والامر بينهم شورى في نصب حمود بن عزان في يوم رابع شهر شعبان فأبى السيد حمود من عذر له لعله خفية قال وكذلك اجتمعوا يوم أربعة وعشرين من شعبان فأبى عن ذلك فتغلظت قلوبهم عليه وكذلك خميس بن جاعد الوالى والزاهد سيف بن محمد تعذرا مع المسلمين لعذر لهم في زمانهم قال وقد طلب هذا الأمر الشيخ سيف بن مالك اليعربى وأراد أن يقبض حصن الرستاق فأجابه

(١) هو أحد أئمة العلم في زمانه فقد تصدى للتأليف وأجاد فيه وظهرت له مؤلفات جليلة ورسائل كثيرة فيها من تحقيق المسائل ما ليس بعده وهو رحمه الله جد الامام الخالى أبى عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي

(٢) أى قاموس الشريعة وهو أكبر كتاب في الفقه ظهر للان اذ يبلغ تسعين جزءاً مستقل كل منها وقد وقفت عليه كله من خزانه قطب الأئمة رحمه الله فقد استطاع مؤلفه أن يحشر فيه كل أبواب الفقه والأصول والآداب الشرعية وما إليها ويوجد منه أجزاء في دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة .

الشيخ الخليلي : كن في الحصن كأحد من المسلمين واجتهد في الأمر والنهي فلم يرض إلا بالحصن وما وجد المطلوب فرجع إلى وطنه .

وقال في موضع آخر : قد كثرت مكاتبة شيخنا العالم سعيد بن خلفان إلينا يريد منا أن نكون في خدمته ونحن ننظر ما هو فيه وعليه ونؤخر الوصول من علل كثيرة وسندينها لئلا يظهر الجفاء فإن عمان قد مضت عليها سنين مجدبة والأيدى مقلة والانتقال نرى فيه خوفا على الأنفس والأهل قال وأنا قد بان لي من السلطنة والامراء وأهل اليسر والفقر والذي يدخل معه من اخوانه والذين بيدهم قبض الحصون كلهم ضده ويراءونه بالسنتهم وقلوبهم متغيرة عليه هو ومن والاه وخفت عليه من كيدهم غيلة فاحترق قلبي وكتبت إليهما يعني الشيخ الخليلي والشيخ سلطان بن محمد البطاشي نصيحة مني قال وأنا أقول قد ظهر نور المسلمين في سنة اثنتين وستين ومائتين وألف والسيب في ذلك أن السيد حمود بن عزان قد وصل عند الشيخ العالم سعد بن خلفان الخليلي وجاء به إلى حصنه بالرستاق وأمره أن يحكم بين المسلمين وأمنه الحصن والبلد فاجتهد الشيخ هو ومن والاه من آل سعد وغيرهم وأراد المسلمون أن ينصبوا إماما لهم الوالي سيف بن محمد السعيد فآبى عن ذلك ثم أشاروا على الشيخ خميس بن جاعد الخروصي فلم يجدوا منه سبيلا ثم عرفوا المسلمين من كل جهة ليجتمعوا بالرستاق فلما صح جمعهم أشاروا بالإمامة للسيد حمود بن عزان فأراد منهم إرادات فلم يقدروا فآبى عن البيعة في المرة الأولى والثانية وصار إلى بيت له في القصير فالمسلمون احتسبوا واجتهدوا في الأمر والنهي وإصلاح الرعية لله وفي الله والناس تنظر إليهم شزرا فلما عرفني الشيخ سعيد بن خلفان بالوصول معه

لمدينة صحار قائما والشيخ سلطان بن محمد البطاشي بحصن الرستاق فألزمت
نفسى وكتبت لهما هذا الخط ثم ذكر الخط بطوله وذكر في أوله العذر
الخاص به المانع له عن الوصول وفي آخره نصيحة للشيخين نصها : في هذه
الأيام الناصر معدوم لأنى أرى القائمين بالمساجد المريض والأعرج والسقيم
والأعمى والجانب عن الحرب وأخبركم عن السادة الذى نسلهم من أولاد
أحمد بن سعيد قلوبهم مطمئنة بالحصون فى أيديهم متى أرادوها سينزعونها
من أيديكم لأن العساكر والرعية فى أيديهم سرا وعلانية ولكن أكنوا
فى صدورهم ما لم تحيطا به فى إصلاح دينهم لا لدينهم وأتما عملتما التعزير
والقيود وأخذ الزكاة وقد كان الذى بيده الأمر أقوى عشيرة وأكثر أموالا
والرعية له مطيعة وأمراء القبائل معهم رغبة ورهبة وما بشير عليهم فى الأمر
إلا بلسانه والحق يحتاج قيامه (إلى) مال ورجال تكون بأيديهم السيوف
المسلولة واقفون فى أمر الأمير كل ساعة يتقون بنفوسهم من الرعية حرا
وشتاء ليلا ونهارا لا يخافون فى الله لومة لأم وأمرهم شورى بينهم وأنا
أخبركم عن كثير من الأمراء عمل برأيه دون آراء المسلمين أمره نبدفاعبه
ملكه وراء ظهره وقد عمل برأيه بلعرب بن حمير اليعربى فى طمره للمسلمين
وقتل لبجاد بن سالم الغافرى والشيخ عامر بن سليمان الريامى فضعف أمره
واجتمعوا عليه بنو غافر وأزموه بالحبال وأخرجوه من ملكه وأقام بفلج
البرزلى والسيد أحمد بن سعيد لما ملك وساد أطاعت له الخلائق واستقام
ملكه وخذل عدوه فدلته نفسه بقتل أكابر بنى غافر فلما قتلهم مشى على
ديارهم بجيش عظيم فالتقوا بالأئمة فصيح عليه الكسير وهم فئة قليلة فثارت
بينهم العداوة والبغضاء إلى أن ظهر فى الملك سعيد بن سلطان والسيد حمود

ابن عزان فعلا في الرعية يميزان البصيرة وإصلاح الفريقين فاستطاعوا إليهما فمن عمل برأيهما لإصلاح دنياه فحسب أمره إلى بعض حين وأما إصلاح الدين فقل فيه المساعد إلا إذا بروا إليكما آل سعد وأنا كما رأيته بعيني وفكرت فيه بقلبي وغيرى كمثل أرى البادية القدي سكن الصحارى يتقوه الذين معهم البلدان وأحاطت بهن السيران وكذلك السادة الكبراء يبذلون ما في أيديهم من الدراهم لأمر القبايل هذا طبعهم لسداد خلهم والله وعباده مطلقون على أمرهم وأنتم تنظرون ذلك وإن آل رأيكما على قيام الحق والعدل بالسيف فأريد البيان لأصل إليكما ولنسل سيوفنا ونباع الله أنفسنا ونقاتل أعداء الله وأعداءنا حتى تفتنى أرواحنا والابتداء بالسادة ثم الذى يليهم إلى حيث تنتهى والمراد إلى طريق الآخرة . وأما ان وقفنا على هذه الحالة فأخاف عليكما الذهب مما أتما فيه وعليه لأن من راغم السلطان ولاعب الشعبان وغاص في البحر مع الحيتان أو صادم الراجل الفرسان والشجعان سيدلى بالذل والامتحان والناصر والمعين معدوم في عمان وأراها أموالكما قليلة وأيديكما غير طويلة وليس معكما عشيرة فانظرا لأنفسكما من الرأى الذى هو أصلح وأسلم والناس في هذا الزمان تميل بالكليّة إلى الظلم والفساد إلا قليل من عباد الله كتم إيمانه وعزل نفسه والسيد حمود ابتلى بالإمارة فما مراده إلا أن يبليكما من بلائه ولو كان حقا وصدقا منه لما عزل نفسه عن الحصون ولو كان صحيحا منه هذا بتقديكما وصح مع نسل أحمد بن سعيد لدخل في قلوبهم بالحال والحين وأنهم سيعزلون رءوسكما نساؤهم والخدم قبل أولادهم ونسل أجدادهم وآلهم وعشيرتهم ورعيّتهم لأن كلاً منهم يطلب الملك لنفسه دون غيره والنفس أسلم لها مسكنها

في الخيام والفيافي والقفار عن سكن الحصون التي لم تحرز بالأمناء ولا تكافح
عنها الأمراء والأولياء وأرى من كل جهة عليكم عيوننا ومع العيون عيوننا
لأن أكثر الناس بضد الحق أمراؤهم يبرءون من الدماء والأموال
ولا يجعلون رأيا للأولياء ولا للنساء واليتامى والأرامل فالأقرب يوكل
ماله ولو كان جاهلا والأموال الموقوفة تجري فيها الوكالة على ما سبق
وسلف ولم يرضوا بتبديل دفاترهم وشهادتهم إن كانوا على الحق أو على
الباطل يعملون به ويقتدون بنسل الملوك المضلين وهذا أثبتوه بسيوفهم
ويحكمون به على بعضهم بعضا فمن كانت له قدرة ومعه عشيرة وأراد الحق
ينفذ بينهم ويبدل سيرتهم فلا يأتيهم كلام ولكن يسلم سيفه عليهم
حتى يفيثوا إلى أمر الله فإذا لم يقدر على ما ذكرناه فينكر عليهم بقلبه
وأما يجتنب عن أهل زمانه لأنهم كلهم في محافلهم يستهزءون بالعلماء
والتابعين لهم وأنا شاهدت أهل العلم والمطاوعة وهم عدة وأجسامهم قوية
وأموالهم جزيلة كل قبيلة عددهم مثل آل سعد أو أزيد فسألتهم عن لزوم
الجهاد والقيام فأجابوني حملة العلم بالمعذر لأن أهل الجور والظلم شوكتهم
قوية في زمانهم في أيديهم الحصون والرعية وهؤلاء الأشياخ عملوا بالتقلبة
لإصلاح دينهم وهم أعلم بذلك وفي زماننا هذا أنما أئمة مذهبنا وبكنا نقتدى
وبعلمنا كما نهتدى وعليكما السلام من خادم العلماء خميس بن راشد العبري .
هذا كلامه بنص حروفه وقد ظهر ما توسمه في أهل زمانه . وقال
في كتاب آخر لبعض أصحابه والسيد حمود قد فتح الباب لهما فلما دخلا
سده عليهما وهما لا يشعران بأمره فيجب على من علم بسد الباب أن
يخبرهما بذلك وقال في موضع آخر بعد أن ذكر الشيخ سعيد بن خلفان .

الخليلي قال وأقبل معه السيد حمود ظاهر أمره للسؤال وباطنه يريد منه أن يتقوى به ويكتب له لما يريد من الأوقات فأقام معه ببلاد بوشرا أياماً وأخذه في صحبته وأنزله في منزلته وقال له : كن أنت في الرستاق واجتهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجتهد الشيخ هو ومن معه وآل سعد وأرادوا نصبه لئلا يكون إماماً لهم فأبى لأنه يعرف نفسه ليس هو من أهل الإمامة فلما صار الأمر في أيديهم احتسبوا فجبوا الزكوات وأصلحوا الأموال الموقوفة وعملوا في الناس التعزير والقيود على الشريف والضعيف والسادة والقبائل ينظرون إليهم ويستهنئون بعملهم مرادهم كشف خللهم مع الناس حتى يكفر عليهم الموشى والحساد فاستنزع السيد حمود وولده عليهم الحصون ونبذهم وراء ظهره قال والشيخ الخليلي لما خرج من الحصون اجتهد في طلب علم الحرف فما مضت سنون كثيرة إلا ومات حمود وولده . هذا كلامه والأمر لله وحده . ومدة تصرف المسلمين في ممالك حمود بن عزان من أول سنة اثنتين وستين إلى أول سنة ثلاث وستين على ما يظهر من تواريخ خطوطهم فوقت ذلك سنة تامة إلا أن يكون فوقها بعض المدة اليسيرة والله أعلم .

ذكر موت محمد بن ناصر الجبري

وكان قبل خلع حمود الحصون للمسلمين بكثير من السنين وإنما أخرنا هذا لأن الكلام خرج بنا إلى ذكر حمود فاستقصينا خبره ، ذكر ناصر ابن أبي نهبان قال وذلك أنه لما ملك المحمود حمود الرستاق وخاف محمد ابن ناصر الجبري على ماتولاه أن يتولاه حمود ويغلب عليه قال وظن أن التيسير لحمود كان بسبب مني له قال وأنا ساكن في نزوى على احسان حمود إلى قال وسرت من بلداننا إلى نزوى قال فرأيت الناس من طرف الجبري قد أحاطوا بباب البيت يريدون قتلى فذهبت عنهم من الجانب الآخر إلى عقير نزوى قال وكانوا هم وأهل حوائر الوادي أشد الناس حبا للشيخ وأولاده وقالوا : قد كظنا وكظك^(١) فإن كان فيك نفع المسلمين فلا يجوز لك ترك هذا الظلم . قال وكان الواقع على أنا ومن معي يوم سبع وعشرين من ذى الحجة في سنة ١٢٤٩ تسع وأربعين ومائتين وألف قال فقلت لهم قريبا يكون إن شاء الله ، ظنا أنه يحتاج للمدة كما قد احتاج السلطان والجبار فهما لأجل ما ذكرناه وأما هذا فأمره قريب قال فما انقضى من اليوم الذي وقع فيه الأمر إلا شهران يعجز سبعة أيام إلا ومات وذلك في يوم ثاني من شهر صفر سنة خمسين ومائتين وألف قال فإن قلت كيف لم تعمل هذا العمل للحرب فالجواب لم أعمله لما ذكرته من عمل تبطيل الأعمال عن السلطان والجبار قال والتبطيل يحتاج إلى مدة وفراغ قال وما قصدنا بإظهار هذا فخرا فإن كثيرا من أهل هذا العلم يعملون العمل فلا ينقضى يوم ولا ساعة من النهار إلا والأمر قد مضى قال وكلامنا هذا يدل أنا أقل الناس علما فيه .

(١) الضمير عائد إلى الجبار أي كظنا الجبار وكظك .

قال : ومن ملك شيئاً من الرياضات فهو أقوى من هذا كله ، قال ومن علم منها علماً فلينفع المسلمين به على ما جاز ، قال وإذا لم ينتفع به ولم ينفع به من هو أهله لم يكن له فيه نفع قال ونفع المؤمنين مع القدرة من النصيحة لهم هذا كلامه والله أعلم .

وقد ذكرت فيما تقدم أن السلطان أحسن إلى الشيخ ناصر وأن أموره قد تراجعت في آخر زمانه وقد تمكن من صحار بعد قبض حمود بن عزان وجعل فيها ولده تركي بن سعيد وجعل في مسكد ولده ثويني بن سعيد وفي زنجبار ولده ماجد بن سعيد وبقي هو يتردد في ممالكة من زنجبار إلى مسكد ومن مسكد إلى زنجبار وبقيت الرستاق في يد قيس بن عزان أخى حمود وهو أبو الإمام عزان ، وأما السويق فقد كانت في يد محمد ابن الإمام ثم صارت في يد ولده هلال بن محمد وكانت الباطنة قد زهرت زهرة حسنة وكثر فيها الأخيار والمتعلمون وفيهم الشيخ جميل بن خميس مؤلف قاموس الشريعة وكان يسكن القرط وكان شيخهم حمد بن خميس من خيارهم وكان حبهم وميلهم إلى ملوك الرستاق لأنهم قد تسموا بالدين وعرفوا بالفضل وكانوا كثيراً يزورون قيس بن عزان حتى قيل انه يجتمع في اليوم الواحد عنده في غرفة الصلاة مقدار أربعين مطوعاً وهو اسم لمن تسمى بالدين وكف عن المآثم وكانوا يقرأون عنده آثار المسلمين فما زال كذلك حتى انقضت أيامه وسيأتي خبر قتله إن شاء الله تعالى في أيام ثويني .

وحدثني الثقة أن أربعين رجلاً من خيار أهل الباطنة من أهل البطحاء ذكروا الشراء فرغبوا فيه وتعاهدوا عليه فقام عليهم أقاربهم ليمنعوهم منه لظنهم أنهم لا يقوون عليه فأبوا إلا الشراء وتعاهدوا عليه وأخذوا
(١٥ - تحفة الأعيان ج ثاني)

لأنفسهم أكفانا وخرجوا ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وقصدوا
إلى اخوانهم من أهل القرط فحين اجتمعوا على ذلك وأخذوا في الخروج
إذا هم بطير أبيض يسير أعلا من رؤوسهم يتبعهم حيث ساروا فعلم بهم
هلال بن محمد بن الإمام صاحب السويق فخرج إليهم بعسكره ليقطع بينهم
وبين اخوانهم فلما رأهم على تلك الهيئة هابهم هو ومن معه وكان بطلا شجاعا
فقال لقومه امهلوني حتى اسبرهم فهوى إليهم بفرسه فاستداروا صفا واحدا
كالحلقة المفرغة ليحامي بعضهم ظهر بعض فلما وصلت الخيل قربهم برك الذي
حاذها منهم على ركبتيه يريد أن يعقر الفرس فخرقها عنه هلال وأتى من
الجانب الثاني ففعل من حاذاه كذلك ثم من الجانب الثالث ففعلوا كذلك
ثم رجع إلى قومه ومضى بهم إلى حصنه ومضت الشراة والطير على
رؤوسهم لم يفارقهم حتى نزلوا عند اخوانهم بالقرط فأقاموا هنالك يأرون
وينهون ولم يخبرنا الثقة انهم عقدوا الامامة على أحد منهم وانما فهمنا منه
أن أمرهم شورى بينهم وهو اجتماع محمود ، وفي الأثر أن لجماعة المسلمين
جميع ما للإمام من إنفاذ الأحكام وإقامة الحدود ، وقيل لهم جميع ذلك إلا
الحدود فلا يقيمها إلا الامام وكان السلطان سعيد بن سلطان بمسكد فبلغته
أخبارهم وخاف أن يعظم أمرهم فارسل إليهم الهدايا وأعظمها لهم من غير
أن يتعرض لهم بحرب ظاهر وانما أرسلها على هيئة المعونة وهي الحرب
الباطن وكان ذلك من مكائد الملوك فلما وصلتهم الهدايا قال بعضهم لا نقبلها
وخافوا الفتنة وعرفوا أنها المكيدة وقال آخرون بل نأخذها لتتقوى بها
على أمورنا ، ثم اتفقوا على الأخذ ، فلما أخذوا الهدايا فارقهم الطير الأبيض
ووقع فيهم الفشل واختلفت كلماتهم وتفرق جمعهم ورجع كل إلى منزله

من غير أن يقتلوا أو يقتلوا ، والله أعلم بما كان عليه أول أمرهم أكان عقداً لا يجوز فسخه أم كان أمراً واسعاً اختاروه لأنفسهم ويكون لهم فيه الرجوع والظن بهم هذا الوجه الثاني والثقة لم ينقل لنا أنهم توبوا أحداً منهم وعابوه والله أعلم بحقيقة الأمر ، وينبغي للعاقل أن لا يدخل في أمر يعجز عن إتمامه والفضائل كثيرة والشراء درجة عظيمة لا يدركها إلا الخواص من الخواص وليس كل رجل كأصحاب المرداس والله يؤتي فضله من يشاء ، وكان للسلطان سعيد عامل من آل بوسعيد يقال له سيف بن محمد البوسعيدى وكان عنده بمنزلة جليمة قاد له الجيوش وتولى له الأعمال ثم رزقه الله تعالى حسن التوفيق فأب إلى الله وتاب توبة نصوحاً وباع أمواله وتخلص مما جناه تخلصاً تاماً أدى الواجب وزاد عليه الاحتياط وانقطع إلى الله فى الفياقى وزياره العلماء والأفاضل واشتهر باسم الزاهد فظهرت له الكرامات وانفتحت له أبواب الخيرات وشهد له بالفضل كل ناطق يعرفه ووجبت له الولاية على الخاص والعام رضى الله عنه وأرضاه وأخباره كثيرة تحتاج إلى بسط طويل وأذكر لك بعضها لقرابتها وهى قطرة من بحر : يقال أنه كان يتعبد فى جبل من جبال سمائل فيبينما هو كذلك إذا هو برجل غريب لا يعرفه قدم عليه فأخذه فى العبادة حوله حتى استحقق الشيخ نفسه واستقل عمله وقال فى نفسه هكذا الرجال فأقام ثلاثة أيام على ذلك الحال ثم أقبل الغريب عليه بعد الثلاث وقال له يا هذا على أى مذهب أنت فقال الشيخ على مذهب أهل الاستقامة فقال الغريب لو عبدت الله على مذهب أهل السنة لكان خيراً لك نم تناول هذا الغريب ورقاً من شجرة حين كانت قريبهما وهى شجرة التفلى فأكل منها وقال الشيخ لو عبدت الله على مذهب أهل السنة

لصار لك المر حلوا كما ترى فوق في نفس الشيخ انه الشيطان فقال أى
عدو الله تريد أن تضلنى فتضائل الغريب بين يديه ثم لم يره فظهر أنه
الشيطان فعصمه الله منه ، وقيل انه كان يوما يتعبد بمسجد معتزل في وادى
المعاول ومعه عابد آخر أعمى فارسل إليه هلال بن احمد البوسعيدى بهدية عند
جمال وكان هلال من أهل مسكد وكان يكثر الصدقات على الأفاضل وهو
أخو حمود بن احمد صاحب رباط مكة فلما وصل الرسول قام الزاهد يعالج
له طعاما فصنع له عرسية فغرفها له في ليفة خشى ثم قال له ادع الرجل الذى
في المسجد لياكل وهو العابد الاعمى فأتاه فدعاه فقال قد تعشيت فنظر فاذا
هناك نوبات يسيرة يشك أتبلغ سبعا أم لا فرجع الى الشيخ فأخبره فقال
ذاك ليس مثلى أنا أى لم تغلبه شهوته مثل ما غلبتني فباتوا فلما كان السحر سمع
الرسول وهو نائم الشيخ والعابد يصيحان النار النار فلما أصبحوا قال الشيخ
للرسول أتقرآن شيئا من القرآن؟ قال نعم، قال فاقرا، فقرأ عليه « بسم الله
الرحمن الرحيم . يا أيها المدثر قم فأندر - الى قوله تعالى - فاذا تقر فى الناقر
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » فلقاها الشيخ يرددها حتى
غشى عليه وأخباره كثيرة وفضائله شهيرة وقد أدركت بعض من أدركه من
الثقة فأخبرونى عنه بالمعجب والله يؤتى فضله من يشاء وتوفى الشيخ الزاهد
بالشريعة من أرض سمد الشان وقبره فيها رحمة الله عليه ، ثم مات السلطان
سعيد بن سلطان فى البحر فى مسيره الى زنجبار فى مركب كان له فساروا
به وهو ميت حتى أنزلوه زنجبار فدفنوه فيها وذلك فى سنة ١٢٧٣ وكان قد
عاش فى الملك خمسين سنة وقيل أكثر وخلف أولادا وبموته اقتسم
الملك بين أولاده فصار ملك السواحل لماجد بن سعيد ثم ملك من بعده

برغش بن سعيد ثم من بعده خليفة بن سعيد ثم علي بن سعيد ثم حمد بن
ثويني بن سعيد ثم حمود بن محمد بن سعيد ثم علي بن حمود بن محمد ولا حاجة
لنا بذكر أخبار زنجبار والسواحل فان غرضنا تاريخ عمان ولبرغش
ابن سعيد ما أثر حسنة فانه خلط عملا صالحا وآخر سيئا جمع الأخيار وقراء
الآثار ولازم العبادة وطبع جانبا من كتب المذهب وجعل للحجاج مركبا
يحملهم في كل عام من السواحل وعمان من غير نول^(١) وهم فيه مكفولون
ذاهبين وراجعين وحج البيت وزار القبر وأجزل العطاء وأكرم العلماء ورحم
الفقراء ونصب القضاة ، وبسط أخباره تحتاج الى مجلد وليس ذلك من
غرضنا الآن وأما مسكد وأكثر الحصون من عمان فقد صار ملكها الى
ولده ثويني بن سعيد ثم من بعده الى سالم بن ثويني ثم من بعده الامام عزان
رضي الله عنه ثم من بعده الى تركي بن سعيد بن سلطان ثم من بعده الى ولده
فيصل بن تركي وهو صاحبها اليوم ، وسنذكر لكل واحد بابا ان شاء الله
تعالى وكان جانب عظيم من أرض فارس في ملك السلطان سعيد بن سلطان
وكان الوالي فيه سيف بن نهبان المعولى وكان له حزم وسياسة فما زال
يستفتح قلاع فارس ويستجلب رعاياها ، حتى دخل كثير منهم في
طاعته وعظم أمره هنالك وقويت شوكته وبلغ فيها مبلغا لم يبلغه غيره ،
ثم عزله السلطان ثويني وولى عليها سعيد بن أحمد البوسعيدى ، فلم يحكم
أمرها ، فثارت عليه العجم فأخذوا ما استفتحته سيف بن نهبان من بر
فارس وبقى لملوك عمان ما حول البحر ، ثم ذهب أكثره وبقى الاقل منه ،
والله الباقي .

(١) أى أجرة الركوب وهذا اللفظ اصطلاح طارى .

باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان

ثويني بن سعيد بن سلطان

وكان قد ملك عمان بعد أبيه وانفرد بها دون إخوته وخالفه أهل نخل وقتلوا خادمه سويلم بن سالمين وكان والياً عليهم من قبله وعصبتهم الغافرية وجاءوا بجابر بن حمير اليعربي وبنوا له على ثوارة نخل قلعة تقابل حصن السلطان فقام عليهم السلطان وحاصره جابر بن حمير ومن معه فدخل عليه ناصر بن علي شيخ آل وهيبه يريد أن يسمى بينه وبين السلطان بصلاح على أن يخرج ويجعل له جملاً فأبى جابر بن حمير فرشى ناصر السيابيين وخرجهم عن عصابة جابر وساروا إلى بلادهم ثم دخل عليه من أخرى ليكلمه فقال له اصنع ماشئت وذلك حين رأى ضياع الغافرية فجعل له فيما قيل ستة آلاف قرش نخرج من نخل ومضى إلى سيجا ثم بعد ذلك سار إليه السلطان بجيوشه بعد مدة وحاصر سيجا ودخلها وخرج منها جابر ومضى إلى جعلان وسكن عند بني بحسن حتى مات وفي أيامه وهو السلطان ثويني اقتتل قيس بن عزان وهلال بن محمد صاحب السويق وذلك أن هلالاً كان ميله عند السلطان لأنه ابن عمه وكان يمدده وكان قد وقع بينه وبين أهل الباطنة بعض المشاحنة وهم آل سعد وكان قد كثرت الأفاضل فيهم وكان ميلهم إلى قيس بن عزان لما يرون فيه من آثار الصلاح وكان طبعه موافقاً لطباعهم وسيرته موافقة لسيرتهم فهموا أن يقوموا به للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ملكه بالرستاق وأرادوا أن يضموا إليه ملك الباطنة فجاءوا به

إليها وطلبوا من هلال المواجهة له فأنعم لهم بذلك وخرج إليهم في نفر قليل من أهل الخليل وكانوا قد تواعدوا على مقيل في مال لبیت المال يختص به هلال فنزل هلال تحت بيدامة هنالك : والبيدامة شجرة عظيمة لها ورق عريض يقرب من الاستدارة وليس بمستدير وجاء قيس ومعه خيار آل سعد وكانوا قد أرادوا أن يقيموا الحجّة على هلال ليأخذوه بيئته وبصيرة فإن امتنع عن الحق يقتلوه وكان قيس رأس الأمر وكان قد هبأ خادماً له يقال له رصاص وقال له إن قلت لك هات بشربة فاقتل هلالاً وكان هلال قد أحس بذلك في نفسه فأخذ خنجره في يده يعث به يقطع بعض الخوص الذي كانوا جالسين عليه وهو خوص قد اجتمع من عمل القيص يكون كثيراً في المجالس فكلمه قيس وقال له : إن ثويني جبار ولا يجوز لك أن تعينه على المسلمين وزيد منك أن تكف نفسك عن معونته ، فقال أنا وثويني لا نتفارق فقال له قيس كان على هدّى أو ضلال لا تفارقه ؟ قال لا أجد منه بداً قال لا يجوز لك ذلك قال أنا وثويني كرجل واحد ولا ينفك بعضنا عن بعض وكان قد فطن لما يريدون ولكن منعه التكبر عن الحق وكانت في نفسه شجاعة يرى أنهم لا يقدرّون عليه بشيء فلما أيسوا منه قال قيس للخادم شربة فوثب الخادم ليأتيه بماء ولا لوم عليه فإنه هلال فلما رأى قيس ذلك سل كتارته من غمدها وضرب هلالاً في جبينه ضربة يرى أنها كانت تكشف محلاة رأسه فوقعت بادرة الكتارة في البيدامة وكانت من هناك نائمة قليلاً فمنعت الكتارة عن استئصال رأس هلال فمن حين ذلك ضرب هلال بخنجره في غلصوم قيس فقتله ومات قيس من حينه ووثب هلال إلى فرسه وكان الدم قد غشى عينيه فرماه الحاضرون من أصحاب قيس بالرمح

فقضى عليه ومات الرجلان كلاهما والأمر لله ثم وثب آل سعد على حصن
السويق فحربهم من فيه وكان فيه أخت هلال جوخة بنت محمد بن الإمام
فحربت بمن معها ثمانية عشر يوماً ثم وثب آل سعد على الحصن وكانت تصب
عليهم العسل والحلّ المحرّرين فكثرت فيهم القتل والجراح ولم يردم ذلك حتى
اقتحموا الحصن وكان رجل منهم قد أمسك بيديه في مدفع فنقع المدفع
ورفس بقوة النقعة إلى داخل فدخل الرجل معه وقد صمت أذنه من النقعة
لأنها كانت مع أذنه وخلص الحصن وخرجت المرأة بمن معها في أمان
وقبض آل سعد الحصن وجاءوا بأولاد حمود بن عزان وهم صغار فجعلوهم
فيه ليتبعهم الناس وبقي في الرستاق عزان بن قيس وهو الذي نصب بعد
إماماً وتولى المطاوعة أمر السويق ثم جمع السلطان ثويني الجموع وسار إلى
حرب آل سعد فتجمعوا له بموضع يقال له الملة فاقتلوا يسيراً ثم دخل
الناس بينهم بالصالح فاصطاحوا ورجع حصن السويق إلى السلطان ويقال
إن جوخة بنت محمد كانت قد طلبت من ابن عمها السلطان النصر على
أهل الباطنة فتمادى بها طمعاً في الحصن لأنه لا يرى أخذه من يدها وهي
مستنصرة به فإذا أخذ آل سعد أمكنه حربهم عليه فتمت له الحيلة بذلك ثم
جمع السلطان ثويني جموعاً وسار إلى الرستاق فحاصرها مدة من الزمان
وكان فيها عزان بن قيس وبنو عمه فلم تخلص له وجاء الوهابي صاحب
البريمي ليصلح الحال في ظاهر الأمر فحين علم السلطان بمجيئه رجع عن
حرب الرستاق ومضى إلى بلاده ثم خرجت على السلطان خارجة من
الوهابية يقدمهم السديري وكانوا من أهل نجد وكانوا قد تولوا أرض
الجو وجعلوا البريمي بها ولايتهم وكان خروجهم بسبب ناصر بن علي شيخ

آل وهيبة وسبب ذلك أن السلطان قدم عليه أخاه خليفين بن علي فأخمر ناصر في نفسه العداوة وأرسل للسديري فجاء به إلى جعلان عند بو علي وكانوا على مذهبه فقام فيهم وأدوا له الطاعة عن حب ورغبة ثم ساروا به فأخذوا حصن صور وكان شيخنا الصالح صالح بن علي الحارثي في السواحد فوافق مجيئه منها خروج الوهابي المذكور فطالب من السلطان ثويني الخروج إلى قتاله وكان السلطان قد استحقق شأن الوهابي فلم يكن قد قصد الخروج إليه لذلك فقال له إن وراءه دولة وإنه طالب ملك وله عصابة من الغافرية وأخشى أن يكبر أمره فإزال به حتى أجابه إلى حربته وواعده في يوم معلوم وقت الظهر ليصل بمن معه في سفالة أبرى في شريعة الزويد قال الشيخ فلم يتخلف وصوله عن ذلك الوقت بل وصل فيه بعينه ثم سارا إلى بديّة وأناخا في الواصل وأرسل إلى ناصر بن علي رسلا ليصل إليه فلم يصل بالحال فلما كثرت عليه الرسل جاء فحين رآه السلطان مقبلا أخذ في لعنه وهو لا يسمعه حتى إذا كان غير بعيد ألقى ناصر عصاه إلى السلطان وقال هذا ظهري للضرب ورجلاي للقيد ورقبتى للذبح مكرأ وخديعة فقال السلطان أنت مسموح ما حملك علي ما صنعت! قال الجلوس عند مدفع للصوص ومراده بذلك أنه قدم على السلطان يوماً ببركافلم يؤذن له بالدخول وجلس قدام الباب عند مدفع تصلب عليه اللصوص ينتظر الإذن فلم يؤذن له فكان ذلك السبب الذي حمّله على مظاهرة الوهابي في الباطن ، فقال له السلطان شنعت فارقع فقال نعم فسار ناصر إلى صور وقال للسديري رأيت الهناوية قد اجتمعوا عليك ومعهم سلطانهم وقد جاءك ما لا قبل لك به ولا أقدر أنا على دفعه وأخشى أن تقتل وأنا قد جئت بك فارجع إلى مأمّنك

فأخرجه من حصن صور ورجع من حيث جاء وكان تركي ابن سعيد قد ضاق عليه الحال بصحار لقلّة مدخولها فدفمها إلى أخيه ثويني وانضم إليه في مسكد وصاروا يداً واحدة فحين قام السلطان ثويني على السديري من طريق البر أمر أخاه تركي أن يلاقيه في صور بالمراكب من طريق البحر فسار السلطان ثويني إلى صور وفي طريق مسيرهم بلغهم خروج الوهابي من صور بسبب ناصر بن علي فأراد بعض الأكابر أن يلاقوه قيقا تلوه فأنى السلطان واختار السلامة لقومه مع حصول المراد فلما وصلوا صور وافقوا تركي في المراكب ولبث السلطان بها قليلا من الزمان ثم رخص قومه ، وركب مغربا ولم يدخل مسكد بل قصد صحار وفيها ولده سالم ابن ثويني كان قد جعله فيها لمقاومة الوهابية القاعين بالبريمي ، ولسالم في أيه غوائل كان أبوه عنها غافلا ، أراد أن يقتله لينفرد بالملك ، وكان السلطان قد شركة في ملكه حتى لا يرد أمره ، وكان أحب أولاده إليه والمقدر كائن .

إن من ترجو به دفع البلا سوف يأتيك البلا من قبله

* * *

كم واثق بالناس حتى ما أتت نوب الزمان غدوا عليه نواثبا

فبينما السلطان نائما وقت الظهر في غرفة صحار إذ دخل عليه ولده سالم فضر به بتفق في فؤاده فيما قيل فمات من ساعته ثم قيد عمه تركي وجاء إلى مسكد وولى السلطنة والأمر لله وحده وذلك في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف باليوم السابع والعشرين من شهر رمضان قبل الظهر بقليل وبقي مطروحا على فراشه بقية يومه ودفن بعد المغرب بساعة بغير تكفين.

ولا تفصيل ليلة الثامنة والعشرين منه وفي هذا الشهر وقعت سيول عظيمة
بعمان وكان السيل جارفاً ويقال لها جرفة رمضان وأثرت في عمان خصباً
كثيراً وكان أخو السديري قد سمع بخروج السلطان والمناوية على أخيه
الذي بصور فركب عن معه من أهل الخيل والإبل ووصل إلى منح فسمع
به المناوية من أهل الشرقية فاجتمعوا للدفاعه وأقاموا بالمضيبي فكان جمعاً
عظيماً فسمع بذلك الوهابي فرجع من منح وجاء على طريق الجبل في طريق
الشص وماتت له هنالك خيل من صعوبة الطريق ثم نزل من الجبل
على وادي بني خروص ثم إلى الرستاق ثم إلى البريمي وهي ولايته وأقام
بها والله أعلم به .

باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان

سالم بن تويني

وذلك أنه لما قتل أباه بصحار وجاء هو إلى مسكد ووصله رؤوس القبائل واستحضر من شاء منهم ليقوى بهم أمره أظهر للمسلمين أنه إنما قتل أباه ليظهر العدل في الأرض واستدعى ببعض أفاضل المسلمين وبعض مشايخ أهل الدين وقال وقال ووعد وأمل ، وذلك أنه رأى ما فعله الشيعة الشنعاء وأراد أن يرفعها ولو بمقال زور فيبيناهم كذلك إذ جاء النصراني وكان قد تدخل عند الملوك وأظهر لهم التودد ، فلما قتل سالم أباه أظهر السخط لذلك وأطلق تركي من قيده وهو مقيد في صحار ثم جاء النصراني إلى مسكد وقال لسالم اعتزل لا تصلح للملك وقد قتلت أباك وأظهر له الغضب فشاور السلطان سالم من حضره من أكابر المسلمين فأجابوه بأن لا يصغى إلى قوله وبظهر له الشدة ، فلما رد إليه الجواب ضرب النصراني بكفته على سطح المركب وكان يفعل ذلك إذا غضب ثم قلع مركبه ومضى مسرعاً فلم تكن له معاودة في هذا الخطاب ، ثم سار تركي إلى ينقل من الظاهرة وناصره أميرها من الفصون وقام معه وحرب صحار وكادت تخلص له بل يقال أنها خلصت فيينا الأمير العلوي يكتب الخطوط للقبائل بمخلص صحار إذ تقع مدفع من قدام الحصن لا يدري من كواه فأصاب الأمير فمات وانهمز عسكريه وبقى تركي يتبعهم ليرجعوا إليه فأبوا وكانوا طوع أمرائهم دون السلاطين ولا ينتظم لهم أمر إلا بأمر من الفصون ثم مضى تركي على وجهه في

البلاد يلتمس النصرة على ابن أخيه من كل من وجد وكانت له همة وجله
وجراءة ثم التمس المسلمون من السلطان سالم ما وعدهم به من إظهار العدل فبقى
عنيهم ويعدهم وهو مع ذلك يخادعهم ثم أصبح تركي بن سعيد في الكوت
الشرقي ركب في خشبة وأخذ معه بعض الشحوح حتى جاءوا إلى الكوت
فدخله وفيه البلوش فلما عرفوه لم يقدرُوا على منعه فتحصل فيه وكان ينزل
اليهم بليل فيقتل ويرجع فكان يزورهم زورة الذئب وممن قتله تركي في هذه
الحالة عبد الله بن مشاري بن سعد بن مطلق ولد الوهابي الذي كان عذابا
على أهل عمان ثم أن تركي لم يجد في الكوت ما يقوم بمؤنة من معه من
طعام وشراب وسعى بينهم بعض الرؤساء أن يخرج من الكوت فخرج
سالمًا ومضى إلى الجانب الغربي ثم جاء على طريق البرحتى وصل الشرقية
وطلب من أهلها القيام على ابن أخيه وكانوا قد كرهوه لقتله لأبيه فقام معه
كثير منهم بل أكثرهم وهم بنو بو حسن والحجريون وبعض الحرث
وكبير الخارجين من الحرث سعيد بن علي بن مسعود البرواني وكان الشيخ
صالح بن علي الحارثي وهو رئيس الهناوية على الإطلاق لم يرض خروجه
هذا لما تقدم من وعد السلطان سالم أنه يقيم العدل وكان الشيخ صالح قد
خرج من عند السلطان فوافق الجيش بسمد قاصدا لحرب السلطان والمقدم
فيهم رئيس بني بو حسن حمد بن مسلم وكان حمد هذا لا يخالف الشيخ
صالح فلما رأى الشيخ ذلك دخل في جملة الجيش وسار معهم وهو يقول لحمد
ابن مسلم لا تعجل بالقوم وأرسل إلى السلطان أن يأخذ حذره فأكثرُوا
المنافات حتى غضب سعيد بن علي البرواني فنهرو الشيخ فلما دنوا من مطرح

أراد أن يؤخرهم فقال حمد بن مسلم ليس عندنا للقوم بهطة يعنى نفقة فقال
الشيخ أنا أعطيك لهم فبقي يعد حمدا خفية ثم استأذنهم أن يشرف على
السلطان فأذنوا له ودخل عليه فرآه قد أهمل الحزم فأخذ يوبخه ويلومه
وأغلظ عليه فقال السلطان قد أرسلنا إلى القبائل فلم تصل ثم عملوا الحيلة أن
يصلهم السلطان بنفسه إلى مطرح في الغد فجاء السلطان على الوعد وسار
إليه بعض أكابر الهناوية ومنامهم بجميع ما طلبوا وذلك أنهم طلبوا أن يكون
لتركي من وادي القاسم مغربا فقال لكم ذلك ويصلكم الشيخ صالح في غد بتمام
الجواب فقالوا إن لم يصلنا إلى طلوع الشمس فلا ذمة بيننا قال نعم ، ثم
رجع السلطان إلى مسكد وجاء الشيخ بالغد بعد طلوع الشمس فينما هو
يسير في البحر فرأى القوم قد ركضوا على مطرح ودخلوها من الجانب
الغربي وخلصوها في ضحوة النهار ومضوا إلى الراوية فحاصروها وكان
قد دخلهم بعض اختلاف وفشل وكانت مسكد قد امتلأت بالقبائل
الغافرية ، وكان الشيخ قد رجع إليها بعد أن رأى دخول الهناوية مطرح
وكان قد نصح للسلطان باطنا وظاهرا لما كان يعدم به من القيام بالعدل
ثم جاء النصراني فحمل تركي في المركب وذهب به إلى الهند وقيل ان
تركي اختار ذلك بنفسه : رأى أن العرب لا تنفعه لعدم اجتماعهم عليه وبقي
فيها حتى جاء الحجى الذى حارب فيه الامام عزان رضى الله عنه وسيأتى
خبر ذلك .

ثم ان السلطان سالهم بالغدر بالشيخ صالح بن على ببركا فسييس

له أن يمك في البرزة إذا دخل للوجاه وكانت البرزة في الحصن فلما برز
السلطان ودخل الشيخ للوجاه لم يلبث أن علم بدو الشيخ بالمكيدة المصنوعة
لشيخهم فانطلق واحد منهم يسعى مسرعاً إلى الحصن ودخل إلى البرزة
وقال للشيخ ادرك قومك فقد تضاربوا فخرج الشيخ يمدو ولم يتمكن
السلطان من مكيدته حتى خرج الشيخ فأخبره أصحابه بالمكيدة ووجدهم
قد تهيأوا فركبوا من حينهم مغربين فانطلقت خيل السلطان في أثرهم وعليها
الوهابية فأدركوا بعض البدو فوقع بينهم بعض التناوش وقتل رجلان من
الوهابية أصحاب السلطان وجرح رجل من البدو أصحاب الشيخ وكانت
هذه الحالة من أول أسباب النزول للسلطان سالم بل أول نزوله قتل ابيه
فإنه لم يلبث في الملك إلا مدة يسيرة ، فقد قيل انه ملك سنتين وأشهرًا
فقط ، ثم سار الشيخ إلى حمد بن سالم بن سلطان وهو ابن عم أبي
السلطان سالم وكان في المصنعة فتواعدوا على أمر عجز حمد عن الوفاء به
وذاك هو الخروج على السلطان سالم ومكث الشيخ معه يومين ثم ركب إلى
الرستاق ثم توجه إلى وادي بني غافر وجاء على طريق نجد المخاريم ثم منها
على طريق عمان حتى وصل إلى الشرقية وهي وطنه فبقي الخطاب بينه وبين
الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي عالم عمان في ذلك الوقت وكان للشيخ
صالح قد تلمذ عنده وتعلم منه وأخذ عنه الدين وكذلك أخذ عنه جملة ممن
أدر كنا من المشائخ والإخوان وكان عزان بن قيس سلطاناً على الرستاق
وكان حسن السيرة فيها ، وكان الشيخ محمد بن سليم الغاربي في الباطنة وهو

أعلم من فيها ذلك اليوم وأفضل وكان مسموعاً مطاعاً فيهم لعلمه وفضله
وأما الرياسة فلغيره فتكاتبوا وتخطبوا وكانوا يحاولون ظهور العدل في
كل حين فلم تمكنهم الفرصة وكان الشيخ سعيد بن خفقدان قد هيا ذلك
الأسباب وادخر الدراهم ولم تنزل الرسل والمكاتبة بينهم حتى من الله
عليهم بظهور العدل واجتماع الشمل ، فقاموا جميعاً على السلطان سالم
فأخرجوه من مسكد وعقدوا الإمامة على عزان بن قيس على حسب
ما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى .

باب إمامة عزان بن قيس بن عزان

ابن قيس ابن الإمام

وهو الإمام المجتمع عليه من هذه الدولة رضى الله عنه ، وذلك أن المسلمين تكاتبوا وطلبوا الاجتماع والقيام على السلطان سالم بن ثويني على حسب ما قدمنا ذكره فكتب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي عالم ذلك العصر الكتب إلى رؤساء الشرق وأكبرهم منزلة وأكثرهم نصراً شيخنا الوالي صالح بن علي .

وحدثني الثقة أنه لما وصلت الكتب إلى الشيخ المذكور سار بها بنفسه رسولا إلى حمد بن مسلم رئيس بني بحسن وكان السلطان سالم قد تجند بأعداء الدين الوهابية ومنهم بنو بو علي قال الثقة فحين وصلت جعلان وقع الطاعون في بني بو علي في ذلك اليوم بنفسه ولم يصب أحداً من أهل عمان غيرهم فشغلهم ذلك عن نصره سلطانهم وكتب الشيخ سعيد بن خلفان إلى عزان أن يسير إلى بركا وضربوا لذلك مواعيد وجاء من مطاوعة الحجرين ومن معهم نيف وعشرون رجلاً فمروا على الشيخ صالح ثم تقدموه بيومين إلى سمائل لحضرة الشيخ الخليلي سعيد ابن خلفان وكان قد اشتهر خبرهم وشاع ذكرهم وعرف مطلبهم فلما سمع بهم كبير حبس استهزأ بهم وقال هؤلاء الخارجون لا يستطيعون أن يسهوا حماراً لو أمسك لهم فكيف يأخذون مسكداً ولم يعلم أن النصر بيد الله وقد قال تعالى «إنا كفيناك المستهزئين» ثم لحق الشيخ بمن معه بعد يومين وجاءوا إلى سمائل من طريق وادي بني رواحة حتى نزلوا بالعلاية عند الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ثم قام عزان من الرستاق بمن حضر

معه من قومه وكانوا قدر سبعين راكباً ركبوا منها وقت العصر ولحق بعد ذلك من لحق وهجموا بركا من ليلتهم فدخلوها وقت السحر من ليلة ثانی من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ففتحها من يومه وأقام بها حتى دخل أهل الشرقية مطرحاً وذلك أن الشيخ صالح ومن معه والشيخ سيف بن أحمد الرواحي ومن معه قد خرجوا ومعهم عالمهم الأكبر الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي من ولاية سمائل إلى جانب مطرح وكان بنو جابر قد منعوهم الطريق ثم جاءهم الشيخ علي بن جبر الجبري وسار بهم وكان لهم خفيراً من العافرية حتى خلصهم من حرم بني جابر ثم ساروا ونزلوا بفنجاه وهناك أرسل إليهم السلطان هلال بن أحمد البوسعيدي وبعض أصحابه ليمينهم ويعدم بما أرادوا ويرجعوا عنه ولم يكن المشايخ قاموا لطلب مال ولا لدولة سلطان وإنما قاموا لإظهار الحق وإقامة العدل وكان هلال بن أحمد سيداً فاضلاً وصار في دولة المسلمين عضواً من أعضائها وكان من أهل الخير والمعروف فكلمهم فيما جاء به من قبل السلطان فلم يقبلوا منه مالا ولا وعداً ورجع عنهم من هنالك إلى السلطان فأخبره بتوجههم إليه وبما أرادوا ثم ركبوا من فنجاه مشرقين وفارقهم الشيخ سعيد من الطريق لير على بوشر وكان له فيها منازل وأموال فقال^(١) فيها ثم لاقاهم بمن معه بموضع يقال له السليعة من أطراف الوطيه ثم ساروا جميعاً حتى نزلوا بسويح الحرمل أول ليلة اثني عشر من جمادى الآخرة وهو الشهر المتقدم ذكره من السنة المتقدمة وكان نهوضهم من سمائل ليلة عاشر من الشهر المذكور وأحسب أني سمعت شيخنا يذكر أن مسيرهم من القابل كان ليلة سادس أو قال يوم سادس من الشهر المذكور فلما أناخوا بالسويح قام أهل الحل والعقد للشورة

(١) أي استراح وقت القائلة .

يتشاورون من أى موضع يأتون مطرح فبينما هم كذلك فى تلك المشورة إذ أقبل رجل من عسكر السلطان من طائفة يقال لها المشايخ وكان لهم شغف عند القائميين وميل إلى محبتهم لزعمهم أنهم صف واحد وعصبة واحدة فقال الرجل أين الشيخ يريد الشيخ صالح بن على الحارثى فدلوه عليه فأخذه بجانب عن الناس وقال الشيخ له ما عندك قال كم تعطونى إن دلتكم على الطريق الذى لا يصيبكم منه بأس فقال الشيخ لك ماتريد؟ فقال أريد أربعائة قرش فقال الشيخ لك ذلك فقال قوموا فى أرى ، فقاموا فى أثره وأرسلوا معه طائفة من الناس وجاء الجمهور على الباب الكبير فجاء المشائخى بمن معه من المشايخ وهى منافذ للسيل لم يكن عليها باب وإنما وضع عليها شرباك من الخيزران فدفعوه بأيديهم ثم دخلوا ومضوا إلى الباب ففتحوه لأصحابهم وكان الوالى على مطرح يومئذ سيف ابن سليمان البوسعيدى فوثب القوم إلى بيت الوالى فهرب منه إلى مسكد عند سلطانه وكانوا قد تقدموا على الجند أن لا يأخذوا من أموال الناس شيئاً يخالف الأمر بدوى وهم أن يسلب بانيان فسلط الله البانيان عليه وسلبه سلاحه حتى مر الشيخ صالح عليه وسلاحه عند البانيان فزجره وأمر البانيان برد سلاحه فهل سمعتم بانيان يسلب بدوياً إلا أنها كرامة خصوا بها حين خالف أمرهم . وكان دخولهم وقت السحر من ليلة اثنى عشر من الشهر المتقدم فدانت لهم وبقى الكوت فيه البلوش ، فلما أصبح الصباح أرسل الشيخ إلى أهل الأعمال أن يصبحوا فى أعمالهم ففتحت الدكاكين للتجارة وقامت الصناع فى صنائعها وقام السوق كما هو ولم يعتد أحد من الجيش مع كثرتهم على أحد من الرعية مع ضعفهم ، وقال البلوش فى الكوت إلى وقت العشى فناهمهم بعض المسلمين أن ينزلوا ويعطوهم الأمان فبينما هم يتخاطبون إذ سمع بعض الجيش خطابهم

فضربت البراغيم وزحف القوم على الكوت فطلبوا الأمان فأمّنوا
وخرجوا آمنين بما معهم في أول ليلة ثلاثة عشر ، وفي تلك الساعة التي
نزل بها أهل الكوت وصل عزان بن قيس بمن معه من بركا فنزل
في البيت الذي كان فيه الوالى .

ومن غريب الاتفاق أن الوالى الذى كان فيها وهو سيف بن سليمان
لم يرجع إليها إلا في الليلة التي تم فيها أجله فقتل عند تسور الخارجين على
الإمام على سور مطرح وكان الوالى قائد الخارجين على حسب ما سيأتى
بيانه ثم باتوا بمطرح وقالوا ، وفي أول ليلة أربعة عشر قصدوا مسكد
فتجمعوا أولاً بالمطرح وقعدوا للشورة كيف يدخلون مسكد ، فقال
قائل انظروا أهل الباطية حتى يصلوا فتكون حجبتكم أقوى وجيشكم
أكثر ، وقال آخر للشيخ صالح لو شاورتنا ما خرجت من بلدك وحين
خرجت ووصلت ها هنا فلا تتأخر ساعة ، فقام عزان والشيخ
ومن معهما من ساعتهم واقفين فقالوا هذا هو الرأى لا غيره ثم تقدم
عزان على العساكر وخطبهم واقفاً أن لا يغيروا ولا يبدلوا ولا يأخذوا
من مال الرعايا شيئاً وكانوا قد أذنوا لهم فى أخذ ما يجدونه فى بيت
السلطان لأنه فى حكم بيت المال وقد جعلوه لهم مكافأة وترغيباً ، ثم مضوا
على قصدهم ذلك وركبت طائفة منهم فى الهوارى فى البحر والتقوا جميعاً
بريام وصلوا هناك ركعتين فى جماعة قربة إلى الله تعالى وطلبوا لقضاء
الحاجة وهو الفتح المبين وكانوا قد أرسلوا إلى قابض العقبة من يخدمهم
بالدراهم فركبوا العقبة حتى وصلوا الباب والتفق ينقع فيهم ولكن
بلا رصاص وإنما أزالته الدراهم ثم زحموا الباب فانفتح ولعله لم يغلق
من داخل وإنما أزال غلقه الدراهم ثم انحدروا ثم جاءوا على جهة الميايين
وانقسموا هنالك طائفتين فجاء الأكثر منهم إلى باب الصغبر وجاء الأقل

شرقي الخور فقلوا السلام على السور فاندقت الجنود إلى مدافعة الجمهور
وتفرغ الشريون فتسوروا بعد أن قتل منهم ثلاثة أنفس ، وأما الجمهور
الذين على الباب الصغير فإنها قصرت سلامهم ورجعوا متحيزين
ولما تسور اخوانهم الشريون كبروا في أعلا السور فهربت جنود
السلطان من أعلا السور ومن حول الأبواب فتوجه الداخلون إلى الباب
وفنحوه وأرسلوا إلى إخوانهم فدخلوا وهجموا جميعاً على بيت السلطان
وتحيز السلطان إلى الكوت الغربي وكان إبراهيم بن قيس قد خرج من
الرساق مغاضباً لأخيه عزان فأوى إلى السلطان سالم فأكرم نزله فجاءت
هذه الدخلة وإبراهيم عند السلطان فتحصن معه في الكوت وكان إبراهيم
أشد الناس حرباً عند السلطان وكان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي
قد تأخر عنهم في مطرح وإنما لحق بهم من بعد في تلك الليلة وكان الفتح
المذكور في ليلة واحدة وهي ليلة أربعة عشر من الشهر المتقدم فأصبحت
البلاد خالصة إلا الكيتان فإنها حربت عند السلطان سبعة أيام فحاصرهم
المسلمون وتجندهم بالنصارى فضربوا معه ضربة مدفع واحدة ثم جاءهم
النهي من دولتهم ومنعواهم أن يدخلوا بين العرب ، فبينما الشيخ صالح
قاعد في المنزل الذي نزله بعد صلاة الفجر إذ جاء بانيان يبشره بأن دولة
النصارى منعت طارقتها من الحرب وكان مدفع كبير أسود قد سحبه
ثويني للرساق وكان قد ترك عند باب الجزيرة فأخذوا حبالاً وسار إليه
بعضهم فربطها فيه وأحكم ربطها ثم مدوا الحبال إلى الباب الكبير ثم
جذبوه إليهم جذبة صرخوا معها صرخة تزلزلت لأجلها الكيتان فكان
سالم بن ثويني يحدث الشيخ بعد أن جاء إليهم في دولة عمه تركي يقول
إنكم لما صرختم تلك الصرخة لم يبق عندي أحد على باب الكوت وإنما
بقيت هنالك بنفسى فتركوا المدفع تلك الليلة عند الباب الكبير

فلما أصبحوا جاءوا ليخرجوا به من الباب فلم يسعه فقتلوه له الباب وأخرجوه فسحبوه في الوادي ثم شرقوا به إلى الميايين فنصبوه هنالك مواجهاً للكوت الغربي فكان يضرب الكوت من هنالك وكانت الرصاصة تثقب الجدارين وتسقط في البحر فلما رأى سالم ذلك دان وسارت الأكارب بينهم على أن ينزل ويكون هو السلطان وعزان سيف دولته ، فنزل في أحد وعشرين من الشهر المتقدم ونزل في بيت هلال ابن أحمد ثم أتاه من أتاه في هيئة الناصح له يخوفه من المقام عند المسلمين ويقول له انج بنفسك فإني أخاف أن تقتل ولم يكونوا قصدوا قتله وإنما هي المكيدة ، فطلب منهم مركباً ينجو فيه بنفسه ويتبرى من الأمر باختياره فأذنوا له في ذلك فركب ومضى إلى القسم فكان يحدث الشيخ بعد رجوعه إليهم بعد انقضاء دولة الإمام يقول هيئة عزان في القسم كهيبته في عمان يخافونه فيها كأنه ملكها ، ولا جرم فإن الله قد نصر نبيه بالرعب مسيرة شهر ولاهل الحق من هذه النصر نصيبهم وعند ذلك دانت الأمور للمسلمين ووضعت الحرب أوزارها من مسكد ومطرح فاجتمعوا وتشاوروا وكان قد لحق بهم أهل الباطنة يقودهم الشيخ محمد ابن سليم الغاربي فتشاوروا في تقديم واحد منهم فوَقعت خيرتهم على عزان بن قيس بن عزان بن قيس ابن الإمام فبايعوه إماماً في بيت الشجر في مسكد وهو أول إمام عقد عليه في هذا البلد وكانت الأئمة قبل ذلك إنما يعتقد عليهم بنزوى ، وعقد على بعض أئمة المتأخرين بالرستاق وعلى بعضهم بنخل وعقد على بعض بمنح وبعض بينقل والله أعلم بموضع الجلندي وأظن عقده كان بصحار .

ذكر بيعة الإمام عزان بن قيس

حين وقعت خيرة المسلمين عليه بعد التشاور والتناظر وكان رؤساء الحاضرين يومئذ الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي والشيخ صالح ابن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليم الغاربي ومن معهم من إخوانهم ووجوه القبائل وخاصة المسلمين وعامتهم ، فبايعوه يوم الجمعة بعد العصر في يوم اثنين وعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وبايعه الخاص والعام وضربت المدافع إعلاماً .

وصفة البيعة الموجودة في جوابات شيخنا الخليلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبناك إماماً علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لا تعقد راية ولا تنفذ حكماً ولا تقضى أمراً إلا برأى المسلمين ومشورتهم ، وقد بايعناك على إنفاذ أحكام الله تعالى وإقامة حدوده وقبض الجبايات وإقامة الجمعيات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وأن لا تأخذك في الله لومة لأم ، وأن تجعل القوى ضعيفاً حتى تأخذ منه حق الله والعزير ذليلاً حتى تنفذ فيه حكم الله ، وأن تمضي على سبيل الحق أو تفني روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين انتهى لفظ البيعة .

وهذه الشروط التي ذكروها في هذه البيعة إنما هي شروط يشترطها المسلمون على الإمام الضعيف كي لا يدخل في أمر لا يسمعه الدخول فيه وإنما

اختاروا عزان للإمامة مع أنه في الجماعة من هو أكثر منه علماً ولا يبلغ علمه معشار ما عند بعضهم لكونه من بيت السلطنة وتفردوا فيه صدق اليقين وقوة الإيمان وعزيمة الصبر وشدة الوفاء وحسن الاتباع وغاية الورع فصدق الله فيه ظنهم وقام بما حملوه من الواجبات ووفى بما عليه وزيادة حتى ذهبت في سبيل الله روحه والمسلمون عنه راضون . فرحم الله تلك الأوصال ونور الله ذلك المضجع ، وقد أثنى عليه علماء عصره ثناء تاماً ، فمن ذلك ما استجده في كتاب المسلمين لإخوانهم أهل المغرب ، وقال الشيخ جمعة بن خصيف ابن سعيد الهنأى في سيرته : وفي يوم اثنين وعشرين من هذا الشهر بعد العصر من يوم الجمعة عيد المسلمين كان لهم عيد آخر بعقد الإمامة للأمين السيد الأجد عزان بن قيس الأرشد عن إجماع على ذلك ممن هم حجة الله في بلاده على من بها من عباده عن علماء العصر وفقهاء مصر الشيخان العالمان نيرا فلك العلم والعبادة والورع والزهادة سعيد بن خلهان بن أحمد ومحمد بن ساييم الأوحده ومن معهم ممن هو الحجة من المسلمين ، فهو إمامهم الأمين والقائم بأمر رب العالمين الذي وجبت ولايته وحرمت عداوته ولزمت نصرته وحسنت سيرته ونفذت كلمته وعند ذلك أخذ في دعوة الناس إلى طاعة الله ، وأخذ من تغلب على معاقل المسلمين من الفسقة والمجرمين بالنزول منها والتخلي عنها فاستخلصها طوعاً أو كرهاً ثم شرع في رد المظالم والأخذ على يد كل ظالم ، فنصب معالم الإسلام وحمل الناس على موافقة الشرع في الحلال والحرام انتهى المراد من كلام الشيخ جمعة .

وكتب المسلمون إلى إخوانهم من أهل المغرب كتاباً يبشرونهم بهذه

النعمة التي من الله بها عليهم ونص الكتاب - وهو بقلم المحقق الخليلي - قال فيه (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أيد الأحكام الشرعية بسيف الأئمة ، وجعل طاعتهم واجبة على جميع الأمة ، وجعل الحججة لهم وعليهم في ذلك علماء الدين الذين بهم كشف الغمة ، وكشف بعدلهم وأنوارهدام حنادس الجور المدلهممة ، فهم الدعاة إلى الله تعالى والهداة إليه ، وبهم أكمل دينه وأتمه ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله لجميع العالمين رحمة وعلى آله وصحبه الذين لا تنكر فضائلهم الجملة وسلم ، ونهى إبلاغ السلام الوافر وتجديد الثناء العاخر ونشر هذا الخير العاطر إلى كافة من بأرجاء المغرب وأقطار الأرض من المسلمين أهل الاستقامة في الدين من أهل العلم والفضل والحلم والفصل والعقد والحل ، وأرباب العقل والنقل من مشايخ الكلام وجهاذة الأعلام وأهل الاجتهاد في الإسلام من هم خيرة الأنام والدعاة إلى دين الملك العلام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فالباعث لتحرير الكتاب يأهل المغرب إعلامكم بأن إخوانكم أهل عمان قد قاموا لله تعالى في هذا الزمان جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته لما كثر الظلم وانتشر الإثم وانتهكت المحرمات وعطلت الحدود وسفكت الدماء وتمطلت الأحكام وخربت المساجد وترأس الفسقة وتعاظم الجهلة ، فانتدب لذلك أهل العلم وبقية السلف وأولوا الغيرة على دين الله وذوو الحمية فيه ، فباعوا أنفسهم لله تعالى وخرجوا على سلاطين الجور فأمكنهم الله من رقابهم وأذل بهم شوكة الجبابرة فأخرجوهم من الممالك صاغرين وكانوا لهم بحمد الله قاهرين ، فقدموا لهم إماماً ذا ثقة ودين وعقل وشهامة وبطش شديد في المعتدين ، وهو الإمام الأوحى والمقدم

المؤيد والهام المسدد ذو السطوات الهائلة والعزمات القوية لنصر الله تعالى إمام المسلمين عزان بن قيس بن عزان بن قيس ابن الإمام ، فهو الآن القائم بعمان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر السنن ويعيث البدع ويعيث الملهوف ويرشد الضال ويفيض الخير ويقبض على يد كل جبار عنيد وفاسق مريد ، فينفذ فيهم حكم الله الشديد ولا يتجاوز بهم إلى ما لم يأذن الله به من الوعيد . ولما كانت هذه من أكمل النعم الدينية والمعارف الإلهية لظهور ما كان درس من الأحكام الشرعية وجب أن نعرفكم بها لأنكم شركاء في كل ما كان من الأمور الدينية المحمدية . هذا ما لزم بيانه والسلام عليكم من كافة إخوانكم أهل عمان ، من إمام المسلمين عزان بن قيس ، ومحمد بن سليم الغاربي ، وصالح بن الحارثي ، وسالم بن عديم الرواحي ، وحمد بن سليمان اليعمدي ، وكاتب الأحرف بأمرهم أخيكم سعيد بن خلفان الخليلي بيده ، تاريخ يوم اثنى عشر من ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف) انتهى الكتاب بتاريخه فيكون هذا الكتاب بعد البيعة بأربعة أشهر وبعض أيام ولم تقف على جواب أهل المغرب لهذا الكتاب غير أني وقفت على قصيدة كتبها عالم المغرب وقطب العلماء محمد بن يوسف أطفيش متعنا الله بحياته وهي قصيدة لامية كتبها للإمام يذكر فيها أنه سيصل لنصرة الإمام ، وقد غابت عن القصيدة غير أني أحفظ منها قوله :

على ماء بحر الروم آتيك مسرعاً إذا شاء ربي أو يبرّ كرتبال
فانقضى أمر الدولة قبل وصول العالم المغربي ولكل امرئ ما نوى

ذكر سرية إبراهيم بن قيس أخى الإمام

إلى قتل راشد بن عمير البريكي وزير سالم بن ثويني

قتل بشناص من الغريبة وذلك أن هذا الوزير لم يزل يطلب الغوائل للدولة ويسعى فى هدمها ما أمكنه طلباً لمنزلة الدنياوية فلما ثبت ذلك عند الإمام وتحققه أرسل إليه أخاه إبراهيم فى نفر قليلين فنزلوا بلوى وركبوا منها وأخذوا عندهم واليها محمد بن سعيد الهنأى وساروا إلى ذلك الوزير وكان قد خاف على نفسه وجعل حوله طبنجة فلما وصلوا دخل إليه الهنأى وناداه فأجابه وقال تتخابر أى تتصافح باليدين فقال الوزير نعم فمد الهنأى إليه اليد الشمال وكان قد قبض باليمين خنجره وكذلك مد البريكي اليسرى وكان قد قبض باليمين طبنجته فكمنها من صدر الهنأى فخر بها الله عن لبتة وأخذت من جنبه قليلاً وضرب الهنأى البريكي بنصله وألقاه ميتاً ثم خرج إلى أصحابه وركبوا حتى وصلوا إلى الوسى ورجع إبراهيم إلى أخيه وأقام الهنأى بلوى جريحاً ثم عافاه الله.

ذكر مواجهة القبائل للإمام

وذلك أنه لما نصب الإمام رضى الله عنه دانت له القبائل وواجهه أكابرها ووجوهها وبايعوه البيعة العامة وكان أكثر الناس قد حضروا البيعة إلا من شاء الله فوفدت عليه الوفود فاهتزت عمان فرحا بطلمته السعيدة وأرسل إلى المعافل ففتحت له وولى عليها الولاية ونصب القضاة

وحدث الناس على طلب العلم ، وخلصت له جميع حصون الباطنة في أسرع حال ، وواجهه حمد بن سالم بن سلطان ابن الإمام وهو صاحب المصنعة وكان قد جمع بها مالا جزيلا وأكثره من تركة آباءه الملوك ، ولعل بعضه كان مما جمعه بنفسه ، فطلبوا منه مطالباً لم يذكره الناقل لجهله به ، فأبى ووقع بينهم بعض الاختلاف ، فأخذوه وأسروه وقيدوه ومضوا إلى بلاده المصنعة فأخذوها وأخذوا ما جمع بعد حكمهم عليه إنه بيت مال وسيأتي إن شاء الله صورة الحكم في هذا وغيره وأخذ الإمام من بيت حمد بن سالم بعض آنية الصفر فأرسل بها إلى بلده الرستاق ولم يكن ذلك عن مشورة من المسلمين فدخل في نفس المسلمين من ذلك شيء لأن الشرط المتقدم في البيعة يقتضى منعه من ذلك . قال شيخنا . فدخلت على الشيخ سعيد في بيته في مسكد ليلة بعد المغرب فرأيته متعباً على الإمام بما صنع ويقول قد حملنا ولايته على رقاب العباد وهذا صنيعه فنخشي أن يسألنا الله عن ذلك قال شيخنا : فقلت أرفق قال وكان بين بيته وبيت الإمام جدار يقتحم بين السطوح قال فأرسلت أمة تستحضر الإمام فافتحمت الجدار إلى سطح الإمام ثم جاء الإمام إليهم من هنالك قال شيخنا : فذكرت له ما ذكره الشيخ سعيد وما وقع في نفوس المسلمين من حمل الأواني من غير مشورة قال فدمعت عين الإمام وقال : هذا كله في نفوسكم على ولا تذكرونه لي لو لم يكن لي ديانة وجوب اتباعكم لكانت مروءتي توجب علي ذلك ما نزلت هذه المنزلة ولا نلت هذه الدرجة إلا بسببكم ، ما أخذت الأواني تملكها وإنما أخذتها لتكون بيت مال بالرستاق نستعين بها على ما يجوز لنا من ذلك وظننت أن حملها

لى جائز ، قال قتهال وجه الشىخ سرورآ بما سمع من انقياد الامام وحسن نيته ، و أتمواله ما صنع وعذروه بالتأويل .

وكانت العافرية من سوء رأيهم يرون أن الدولة قد صارت للهناوية فأضمرُوا العداوة للامام ومن معه إلا من عصمه الله منهم ، فإن أفاضل العافرية والهناوية كلهم قد دخلوا تحت طاعة الإمام ورضوا أمره ، وإنما بقيت رؤساء القبائل وأتباعهم من كل جاهل مارق ومنافق وفاسق فدخلتهم الحمية الجاهلية وتعصبوا المصبية الضالة ، وصار أكثرهم يداً واحدة فى الضلال والبغى واشتهر بذلك أهل وادى سمائل من سيايين وبنى جابر والرحبيين والندايين ، وحرصهم على ذلك إخوانهم من بنى ريام والدروع والجنبه وتشهر بها السيايون ، فأوقع بهم الامام الوقعة المشهورة .

ذكر وقعة نفعاً

وسببها المصبية الجاهلية ، وذلك أن السيايين قد سفكوا بعض الدماء بالباطل فدعاهم الامام للانصاف فأبوا فقالوا حاكنا البيض الهندية والسمر الخطية فجمع لهم الإمام الجموع وركب الشىخ صالح ومن معه من الشرقية ليقطعوا عنهم مدد الجنبه والدروع فأقاموا فى وادى عندام بموضع يقال له غرامة قرب العلية ومعه أكبر آل وهيبة فبقوا هنالك مرابطين وأما الإمام فإنه سار بجموعه وأكثرهم أهل الباطنة وأما أهل الشرقية فإن عامتهم قد تغلقت عليهم الطرق لأنها فى أيدى العافرية ثم سار الإمام بجموعه حتى نزل فنجا وكان السيايون قد جمعوا له جموعاً عديدة

فزحفوا إليه وزحف عليهم والتقوا بموضع يقال له السعادي بين فنجا ونفعا
فاقتلوا قتالا شديداً فولى السيبايون ومن معهم الأدبار ونصر الله الامام
ومن معه فرجعت الغافية إلى نفعا وتحصنوا بها وكان هذا في يوم اثنين
وعشرين من شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف وهي سنة الفتح
ثم زحف عليهم الإمام بن معه ودخل نفعا يوم أربع وعشرين فركن أهلها
إلى الفرار بعد قتل وقتال وقتل منهم جمع كثير فـكـنـه الله من بلادهم
وأنزلهم من صياصيمهم وهدمها لثلاث تكون مأوى لبعيهم وكتبوا بذلك إلى
الشيخ الخليلي وكان بمسكد كتاباً حاصله : إن الواقع بفنجا عرفناك به
وانتقلنا إلى بلد بدبدو وأراد المحبون مواجهة رجال السيبايين ومن شايعهم من
الباغين فثبتوا يمدون بالمواجهة ويخلفون فضى ذلك اليوم وفي اليوم الثاني
انقطع جوابهم على الامتناع اغتراراً بن شايعهم من الهمج والرعاغ وظنوا
أن مواضعهم لاترام ومن لجأ إليهم لايضام ، فلما كان وقت الزوال ملنا
عليهم بجنود الله التي لاتروعها الأهوال ولم يحمهم سهل الأرض
ولا الجبال ما جمعوا من كثرة الرجال فثبت المسلمون أقدامهم وضر بنا
خلفهم وامامهم ، ولم يزلوا ينتقلون من جبل إلى جبل هاربين وكرار
المسلمين لهم طالبين حتى أحلنا الله بساحة دارهم ولم يبق أحد منهم
ولا من أنصارهم وهانحن بها قائمون وفي عقوتها نازلون ، وإذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وقد
أكلت الحرب رجالهم مائة وخمسين رجلاً قد تقضت آجالهم . والسلام
انتهى . لفظ الكتاب على ما رواه لنا من الثقة قال وبعثوا به رسولا إلى
الشيخ وكان شيخنا قد ركب من وادي عند ام وجاء عقبه السوية قاصداً

مناصرة الإمام فلما كان أوائلهم بالمرافة وصلهم خبر الفتح فرجع بعضهم
يبدش الشيخ بذلك ثم سار شيخنا حتى نزل هيل وكانوا مع البغاة فأسر
أكابرهم ومضى بهم إلى الإمام فقيدهم الإمام عقوبة لتمردهم وكسراً لشوكتهم
وأقام الإمام بنفعا يهدم بروجهم المشيدة وقلاعهم المنيعة وهدم بروج من
ناصرهم وأعانهم على بغيهم من بني جابر وغيرهم وقيد الرؤساء وهرب كبيرهم
حتى لحق بسالم بن ثويني ولحق به أيضاً كبير بني ريام وساروا جميعاً إلى
رياض يستنصرون بأهل نجد فرجعوا بالخيبة ويقال إنه لما كان الإمام بنفعا
قبل هدم بروجها نزل من جبالها رجلان يعتزبان عزرة بن نذرة يطلبان
الإمام للمبارزة فهجموا على مجمع الشورى ورؤوس الجيش وكانوا بارزين
فقام على بن سالم بن حسن العامري وتلقى لأحدهما فمكته الله منه وقتله وقام
سيف بن شيخان العدوي للآخر فكان غاية ما عند سيف أن يتقى عن
نفسه ضرب السيف بترسه والزاري يقطع الترس قطع البطيخ وكان سيف
من شجعان العرب فلما أدركه الزاري ضحك وهي ضحكة حصلة فضربه
بعض من حضر بتفق فأبقت منه بقية وهوى على رجل يقال له سليمان بن
سعيد ف وقعت ضربه في ثومة سيف سليمان فقطعتها فاحتولوه فقتلوه وكان
قبل الدخلة التقى رجلان من سبور الإمام برجلين من أنصار نفعا يسبران
أيضاً وكان التقاؤم عند نخلة هنالك قال بعض سبور الإمام كان صاحبي
من أهل الشرقية يقال له سرحان قال فتوجه واحد إلى سرحان وتوجه
الآخر إلى قال وكانت رجلى على سقف هنالك فحمل على بسيفه فحين هممت
بالحركة انخسح السقف فانحنيت على جانب ف وقعت الضربة في جذع النخلة
فاهتزت من أعلاها إلى أصلها قال وعزيت سرحان وكان قد قتل صاحبه

فقلت له أكلني الكلب قال فهوى إليه ولمضه بسيفه قبل أن أتراجع فكان هذا السابر يحدث عن هذه القصة متمجبا من شجاعة سرحان والنزاري وكان هذا المتحدث من أبطال الرجال ولكن لا غاية للشجاعة والأقران تعترف للأقران ثم إن الإمام أرسل المقائيد إلى مسكد فسجنوا في الكيتمان والصير وكانت هذه وقعة أول وقعة ذلت بها رقاب الأعداء وظهر بها منار الدين وسكنت بها الحركات وتقاصرت بها النفوس عن أمانها وما النصر إلا من عند الله والله أعلم.

ذكر سرية فيصل بن حمود إلى نحو المشرق

وذلك أن الإمام جهز ابن عمه فيصل بن حمود بن عزان في جماعة يسيرة فسار بها نحو المشرق ومر على وادي مجلاص ثم شرق إلى صور ثم إلى جعلان مستكشفا لأخبار الدار ومستطلعا على أحوالها فأنزل منزلا إلا وواجه من هنالك طائما وأجابه مستمعا فلما وصل جعلان نزل في بلاد بني بوحسن وواجهه أمير بني بوعلی ونقله للضيافة ثم أرسل إلى جماعة من الحرث فوصلوا إليه فركبوا جميعا إلى بدية ثم إلى بلدان الحرث ثم إلى مسكد ورجع بالظفر والفتح المبين.

ذكر الحكم على أموال الملوك

من آل بوسعيد

وذلك أن الملوك من قبل الامام قد أخذوا الجبايات من غير حلها ووضعوها في غير أهلها فتناظر المسلمون في أمرها وتشاوروا في حكمها

فراى الشيخ الخليلى أن سبيل هذه الأموال سبيل أموال بنى نهبان التى حكم فيها الامام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى رحمه الله تعالى ولم يفهم الشيخ الغاربي ماخذ هذا الحكم ووقع بينهم فى ذلك جدال طويل وبسط واسع وأظهر لهم الشيخ الخليلى فى ذلك حججا كثيرة وألف فيه رسالة واسعة فسكت الشيخ الغاربي وتشجع بقية العلماء وأمروا الامام بالحكم فيها بالاستغراق فى يوم ثامن من شهر ذى الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وهى سنة الفتح فى حكم الامام بذلك وكتبوا فى ذلك كتابا ذكروا فيه صورة الحكم ونص الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما حكم به سيدنا امام المسلمين الولد عزان بن قيس بن عزان فى الأموال التى خلفها الامام أحمد بن سعيد وولده الامام سعيد بن الامام وأولاده قيس وسلطان ومحمد بنو الامام أحمد بن سعيد والأموال التى خلفها هلال بن محمد بن الإمام وسعود بن على بن سيف وأموال السيد سعيد بن سلطان وابنه ثوينى بن سعيد وسالم بن ثوينى وعماله سيف بن سليمان بن حمد وسعيد ابن محمد بن سعيد وأموال بنت سيف بن محمد أم سيد سعيد بن سلطان وأموال عزا بنت سيف زوجة السيد سعيد وأموال محمد بن ناصر الجبرى قد حكم بهذه الأموال المذكورة كلها لبيت مال المسلمين لاستغراقها فى الجبايات والمظالم المجهولة أربابها فكان مرجعها لبيت المال وقد حكم الامام بذلك وأشهدنا عليه بتاريخ يوم ثامن من شهر ذى الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، وكتبه بأمره الفقير سعيد بن خلفان بن احمد خليلي بيده . وأنا بذلك شهدت على سيدنا الامام وكتبته بيدي وأنا صالح ابن على الحارثي هذا منى صحيح وبأمرى وقد حكمت به وأشهدت عليه

وأنا العبد الفقير امام المسلمين عزان بن قيس وكتبته بيدي ، فمضى الحكم
وأخذ الامام تلك الأموال وأضافها إلى بيت المال وباع منها جملة أصول
وأنفذهما في عز الدولة وذلك كله بمشورة المسلمين وبرأى الشيخ الخليلي .
وأما الشيخ الغاربي فإنه توقف في المسئلة وظن أن الحكم
بهذا إنما يكون في أموال من مات منهم ، دون الاحياء ، فكان
بعض شيوخنا يذكر لنا عنه انه كان يقول ان الحى إذا اراد ان يتخلص
وقد أخذ ماله لبيت المال فمن أين ترويه يتخلص فحكم الحى خلاف حكم
الميت ولم ينقل لنا جواب عن اعتراضه هذا والجواب الواضح أن يقال : ان
الحكم بالاستغراق لا يكون إلا حيث تمذر على الحى التخلص من اختلاط
المظالم والجهل بأربابها والجهل بحقوقهم فإن الخلاص مع الجهل بذلك أو بشيء
منه متمذر قطعاً إذ لا يمكنه أن يوصل الحق إلى أهله فغاية تخلصه إذا شاء
التخلص أن يجعله في باب من أبواب منافذ الأموال المجهول ربها وذلك
هو بيت المال والفقراء وقيل يكون حشرباً لا ينتفع به وقيل يكون أمانة
في بيت المال وإذا حكم الامام فيه بقول من هذه الأقوال وجب قبول
حكمه لوجوب طاعته وصار ذلك القول بمنزلة المجمع عليه نخرج عن موضع
النزاع إلى موضع الاجماع لإجماعهم على وجوب طاعة الامام والله أعلم .

ذكر فتح الجوّ

وكان معقلها البريمى وتسمى في القديم توام وكان بها السديرى عاملاً
لصاحب نجد وكانوا قد أخذوها معقلاً لقربها من ناحيتهم وذلك بعد أن

تغلبوا على البلاد بمساعدة الغافرية وبعض الهناوية في أيام سعيد بن سلطان
وسبب ذلك العقوبة التي عجلت على أهل عمان بمخالفتهم شيخهم أبا نهبان
وقيامهم عليه حين قام على نزوى لإظهار العدل كما تقدم فقاموا عليه فسلط
الله عليهم عدواً من أنفسهم فجر عليهم أهل نجد فكان منهم ما تقدم ذكر
بعضه وبقي معقلهم بالبريمي إلى أيام هذا الامام ، والجو والظاهرة كل في
طاعتهم إلا من شاء الله فمن الناس من أطاعهم راغباً ومنهم من أطاعهم كارهاً
والغلب طوع فبقوا هنالك حكماً على الناس بالجبرية يحكمون بما تهوى
أنفسهم ولهم في الناس عادات ظلم فقدم رئيس النعيم محمد بن علي وكان تحت
طاعتهم فجاؤا حتى وصل الشيخ الغاربي بأرض الباطنة فذكر له ما جاء به
وأنه يريد من الامام أن يقوم على البريمي ، فقال له الشيخ الغاربي : أنت
لا تستطيع خلافتهم لأنهم حكام عليكم ونصحه بخافة الضرر عليه في
ديناه ، فقال لا أهمهم إذا كان عندى الامام وجماعة المسلمين ، فركب معه
الشيخ الغاربي إلى الامام ببركا ، فأخبره بما جاء له محمد بن علي ، فتنشاور
للمسلمون واتفقوا على القيام فركب الامام بمن معه وكتب لأمرأء الجنود
أن يلاقوه بمن معهم في صحار ، فاجتمعت الناس من كل أوب واجتمع
الجيش بصحار والامام معهم فركب بالجيش من هناك وبات فليج القبائل
ثم قال بالعوهى وكان الامباء بها كثيراً وكان لحسنه وكثرته فيها يضرب
به المثل فيقال أمباء العوهى وكان ذلك الوقت وقت نضاجه فذكروا أن
تمر الامباء كان يتساقط على فرش القوم ولا يتناول أحد منه شيئاً فلما
هموا بالرحيل نفضوا فرشهم وبقي الامباء مكانه وذكروا أن خادماً للامام
وقيل بل مزينه وهو المحسن أخذ امباء واحدة فأكلها فأل من الامام

على الزجر والتوبيخ ، ولم يباغ به حد العقوبة لأن الثمرة كانت ساقطة
بنفسها وكان الورع تركها كما ترك ذلك باقى الجيش وذلك الحال من توفيق
الله للإمام وحسن رعايته ثم راح من العوهى وبات بالسهيلات ثم نشر منها
وجاء على وادى الجزى فوجد الأعداء قد سموا الموارد فتزحوا ماءها الذى
فيها وكانت غزاراً ثم سار بمن معه حتى جاء على منازل بنى كعب قد انوا
له وواجهوه ، ثم سار وساروا معه حتى نزل البريمى نخرج أهل الخيل من
أهل نجد ولاة الحصن وركب أهل الخيل من أصحاب الإمام وكان فى
الأعداء فارس يقال له مدغم وكان قد اشتهر بالشجاعة والبسالة والإقدام
فى الحروب فتقدم للبراز فتقدم له من أصحاب الامام شامس بن حسن
العامرى وكان حوله ابن أخيه على بن سالم فرأى شامس أن العدو سيأخذه
فأرسل إليه الحربة وأطلقها من يده فلما رأى مدغم ذلك التقاها برأس
الفرس ف وقعت فيه فسقط الفرس ووقع الفارس على الأرض فضربه على
ابن سالم بتفق فقتل عليه فانهزم الباقون إلى الحصن وتمنعوا به وكان
حصناً ربيعاً أحيط بخندق فحاصره الامام وضربوه بالمدافع وبذل محمد بن
على بن معه من قومه بذلاً حسناً شكره المسلمون على ذلك فخاف أهل
الحصن يوماً أن يضرب الباب بمدفع نخرجوا ليجعلوا على الباب سببة
تقابل المدفع فجاءهم بعض القوم من جانب آخر فنادعهم فدخلوا الحصن
ولم يخرجوا بعدها لحرب فأرهبهم الحصار وكانت عندهم الخيل والابل
فطلبوا الأمان ليخرجوا من الحصن فأمنهم الامام ونزلوا على يد الشيخ
الغارنى وخرجوا بما معهم من خيل وابل ومتاع ودخلها الامام بالفتح المبين
وكانت مدة الحصار خمسة أيام فأقام الامام فيها لرفع المظالم والأمر والنهى

وكان ذلك فنجاً جليلاً انتقاد به كل صعب وماتت به الأعداء كمدأ ورجع
منها إلى أرض السر وهي الظاهرة فملك ضنك والنبي وانتقاد أهل الظاهرة
وواجهه صاحب حصن العيينين وهو برغش بن حميد من أولاد محمد بن
ناصر الغافري المتقدم ذكره في حروب اليعاربة فأخذ لنفسه أماناً وأعطى
كلاماً فقبل منه الامام ذلك وولى على الظاهرة بريك بن سالمين الغافري
وجعل عليه عيوناً ثم شك في ولايته ، وكتب فيه سؤالاً للشيخ الحلبي
ونصه :

وماتقول شيخنا إنا جمعنا الشيخ بريك بن سالمين واليا في أطراف
الظاهرة وبقى وسواس في النفس من قبله إذ اليوم الدنيا وغدا الآخرة
ونحن وإياك ماتكافنا هذا الشأن إلا رجاء من الله تعالى أن يمنَّ علينا بأجره
ونحن لم نرفع إلينا منه شيء وقد أظهر لنا الكتاب وأعلن لنا مما كان عليه
المآب فهل يسع تركه في فعل الولاية على هذه الصفة إذا لم تشك الرعية
منه شيئاً فيجب عزله وإنما بقي على حاله التي ذكرتها لك والضرورة إلى
مثله داعية إلا إذا منعها عدم الجواز صرح لنا يرحمك الله وقد جعلنا محمداً
ومحمداً عليه عيوناً ورقباء غير أن نظره أبعد من نظرها وأنت تعرف
أحوال الجميع .

فأجابه الشيخ بقوله : يترك على حاله ولا بأس بذلك ما لم يرفع عليه
ما يوجب عزله واستخبروا عنه العيون فانهم أعلم بما منه يكون الله أعلم
ثم فسح لقومه وركب قاصداً وطنه وهو الرستاق وأقام بها يأمر وينهى
وينشر العدل ويبسط المعروف وفيها واجهه هلال بن زاهر رئيس

بنى هناة ومحمد بن علي رئيس بنى شكيل وكانا قد اظهرا الخلاف والتمرد
فتقبض عليهما وأوثقهما بالقيود وكان بنو شكيل أنصار حصن بهلا وكان
حصن بهلا قديما في يدي اليعاربة ثم صار إلى الغافية وبالزام محمد بن علي
خلص هذا الحصن وكان الإمام قد لزمه لذلك وبخلوصه أطلقه الإمام
فكان هذا هو السبب في فتح بهلي .

وفي حال قيام الإمام علي البريمي المنخدع سالم بن ثويني اغترارا بمن
وعده بالنصر والمظاهرة على الإمام فأتى إلى نزوى وكان قد قصد القسم
والرياض ولم تكن نزوى يومئذ في يد الإمام وإنما كانت في يد حمد بن
سيف بن عامر البوسعيد فلم يجد ما أمله من النصر والمظاهرة ثم قصد آل
وهيبة يطلب منهم النصر والمظاهرة على الإمام فأرسل الإمام اليهم
ابن عمه فيصل بن حمود في جماعة من جنود الله يقدمهم النصر فدخل سالم
ابن ثويني الرعب ولم تحمه كثرة آل وهيبة ولا وسعته سيوحهم فخرج
منها خائفا يترقب فرجع القائد بالظفر والله يؤتى فضله من يشاء .

ذكر فتح منح

وكانت تحت صاحب نزوى وكان عسكرها بنو شكيل فركب إليها
شيخنا صالح بن علي بن حضر من قومه وكان في جملتهم علي بن سعيد بن محمد
الجحافي وكان علي بدويته ناصحا للدولة تسخييرا من الله وحسن عناية فقال
للشيخ إن جئت منح بمن معك جفلوا منك وتحصنوا عنك ولكني
أتقدمكم لعل أصادف منهم غرة فأنعم له الشيخ بذلك فتقدمهم في قدر
عشرين راكبا وكانوا قد ركبوا إليها من القريتين فدخل علي بن سعيد

سوق منح فصادف والى الحصن فى السوق فقبض عليه وأسره قال ماشأ نك؟
قال هذا الشيخ صالح ورأى ولا خلاص لك إلا بفتح الحصن فوصل الشيخ
وفتح الحصن بغير حرب ونزل من كان فيه وصار للإمام والله أعلم .

ذكر فتح أزكى

وكانت فى يد على بن جبر بن محمد بن ناصر الجبرى صارت إليه من عهد
محمد بن ناصر وبعد موته صارت إلى ولده جبر ثم إلى على بن جبر وكان
لاهل هذا البيت شرف ورئاسة فى قبائل الغافرية وكانوا يعتقدون لهم
منزلة السلطنة وقد تقدم أول الباب أن على بن جبر هو الذى خفر جماعة
المسلمين بسفالة سمائل عند أول قيامهم ومن هنالك انقطعت أخباره إلا
أن الشيخ الخليلى ذكره فى قصيدة نفعا أنه كان يومئذ فى جيش البغاة
المتجمعة لحرب الإمام ، فلما فتح الله على المسلمين بالناصر على أعدائهم من
أهل نفعا وغيرهم بعث الإمام سرية وولى عليها أخاه ابراهيم بن قيس
فساروا حتى نزلوا بوادى بنى رواحة الغربى وكان بينهم وبين على بن جبر
مخاطبة فى تخليص الحصن فخلصه لهم وهم بذلك الوادى ليلة سابع من جمادى
الأخرى من سنة ست وثمانين ومائتين وألف وحسن حال على بن جبر بعد
ذلك والهداية بيد الله ثم سار ابراهيم إلى أزكى ونزل حصنها بجنود الله
ودعا أهل النزار إلى السمع والطاعة فاجابوه حينها بوه وسمعوا حين فزعوا
وكانوا قد تجبروا على جيرانهم من أهل اليمن وتعدوا فيهم الحدود حتى هموا
بالجلاء من أوطانهم فسكنهم ابراهيم فى بلادهم وأذن لهم فى تقوية
البناء على أنفسهم لكونهم مستضعفين ودفع عنهم الظلم ومنع عنهم الغشم

ذكر فتح نزوى

وهي بيضة الإسلام وكرسى مملكة العرب

وكانت في يد حمد بن سيف البوسعيدى كان آباؤه فيها ولاية فتغلبوا عليها حين اختات دولة أولاد الإمام وصار بعضهم يقتل بعضاً على الدنيا فبقوا فيها حتى أخذها الإمام من يد حمد بن سيف وذلك أن إبراهيم توجه من ازكى إليها ونزل فرق ودعا أهل نزوى للدخول في طاعة الإمام فأجابوه لذلك وتلقوه بالكرامة والسمع والطاعة إلا القلعة فإنها امتنعت من الإجابة ودعا إبراهيم سيف بن سليمان النهانى رئيس بنى ريام للسمع والطاعة وكان سيف قد تغلب على سمد نزوى وجعل جامعها مرصداً لأنصاره وأحاطه بالقلع العالية والسيران السامية فأجابه حين دعاه وواجهه فأزالوا من بيت الله الأحداث الباطلة وأسلم لهم برج بستان قيس ثم حاصر المسلمون قلعة نزوى الشديدة الأركان الشاخنة البنيان فأظهرت العتو وأقاموا على حصارها وركب الإمام إليها بمن معه فوصلها يوم واحد وعشرين من جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين ومائتين وألف ، فلما نزلها الإمام سلمها سلطانها له ، ونعم ما صنع إذ عرف الحق وأدله فأداه له ، وولى عليها الإمام سالم بن عديم الرواحى .

قال الشيخ جمعه بن خصيف في سيرته : ثم نبض عرق النفاق للريامى يعنى سيف بن سليمان فنصب الشقاق ثم خذله الله وقاده إلى الوثاق فواجه الإمام يوم عيد المسلمين من الأيام بعد صلاة الجمعة يوم أربع وعشرين من هذا الشهر المبارك فعامله الإمام بما هو أهله فركبه الأدهم بعد أن ركب الكميت والأدهم ولم تحمه تلك العساكر والجنود وما ذلك إلا لطول تكبره وبغيه والسمود انتهى كلام جمعة بن خصيف ، وذكر

غيره أن سيف بن سليمان مات في سجن الإمام والله أعلم .

ذكر غزوة جعلان

وسببها أن بو علي نزعوا يد الطاعة وخرجوا من الجماعة وخالفوا الإمام ولم ينقادوا للأحكام ولم يرضوا أن يكونوا تبعاً وذلك لاعتقادهم الفساد فيهم كانوا على دين الوهابية وهم بقية من أنصار نجد وتعرفهم العامة بالازارقة لأنهم شابهوا الازارقة في تشريك أهل القبلة فلم تفرق العامة بينهم وبين الازارقة وهم إنما أخذوا من الازارقة مسألة التشريك ومن الحنابلة مسألة التشبيه وأخذوا من كل مذهب أغثه وقالوا قد أصبنا ديناً كما صنعت الصابئة وكان اعتقاد الوهابية في المسلمين أسوأ اعتقاد فمن هنالك صعب عليهم الانقياد فحصنوا بلادهم واستعدوا للحرب وكانوا من قبل ذلك أنصار سالم بن ثويني فهموا بنصرته فرماهم الله بالطاعون ولم يرتفع عنهم حتى أخذت مسكد ولم يصب غيرهم من أهل عمان فكانت هذه الخصلة من كرامات هذا الإمام وكان بنو بو علي أهل عدة وعدد وبسالة وشجاعة وإقدام هائل يعتقدون في الموت الشهادة ويرون الفرار حراماً وهم سطوات هائلة وكانت ملوك عمان من قبل الإمام لم يدوسوا أرضهم إلا ما تقدم من أمر سعيد بن سلطان وانتصاره عليهم بالنصارى فعزم الإمام بالمسير إليهم بعد فتح نزوى وكتب لأمرأء الجنود أن يلاقوه بمن معهم في بدية وسار هو بنفسه ومن معه من نزوى إلى بدية واجتمع الجيش بها ومن هنالك قصدوا جعلان ونزلوا ببلاد بني بو حسن وكان بنو بو حسن تحت طاعة الإمام فأرسل إلى بني بو علي النصائح وأظهروا في أول مرة العتو ثم انقادوا بعد ذلك لما يرى الإمام فيهم ونزلوا على حكمه ، ويقال أن سبب انقيادهم حصول الرعب في قلوبهم بسبب وقع عند المسلمين من غير احتفال له وذلك أنه في ليلة من الليالي وقع ضرب تفق في جيوش المسلمين في هيئة

النفضة والنفضة ضرب متتابع فضرب الجيش كله ، كل من سمع الضرب ضرب فتواصل الضرب بعضه ببعض ويقام صاحب الجاردي فضرب من غير أمر فكان يسمع لضرب التفق والمدافع دوى عظيم وصعقات هائلة ودوران كدوران الرحي وكان ذلك كله عن غير قصد فأورث الأعداء رعباً والبسهم ذلة واستشعروا العجز عن مقابلة ما سمعوا بأذانهم ورأوا بأعينهم فانقادوا متذللين وجاءوا مدعنين لحكم الامام علي ما يرى فيهم من الاحكام فأخذ الإمام أكبرهم وأكابر من ناصرهم من بني راسب والهشم وحملوا إلى مسكد فقيدوا بالسكيتان وأمر بقلاعهم فهدمت كسرا الشوكتهم وإطفاء لفتنتهم وكانت عندهم قلعة ماعة فحفروا من تحتها وأدخلوا في الحفر الباروت وقادوا الباروت إلى موضع يأمنونه فأحرقوه بالنار واتصل الحريق حتى ثار باروت الذي تحت القلعة فنزعها صاعداً فكانت ترى في الجو كمثل السحاب ثم تساقطت قطعاً وفي ذلك يقول المحقق الخليلي :

لا تسل عن قلاعهم كيف بالبا روت قد أصبحت تشق العنانا
فهى مثل الجبال سيرن تس يار غمام ثم انبثن دخانا
وقبض عليهم حصن العيقة وجعله مرصداً للمسلمين ، ثم اقتضى نظره بعد ذلك هدمه فهدمه ، ثم رجعوا بالنصر والظفر وولى الامام على بلادهم سيف بن عامر ينفذ فيها الاحكام ويكف الناس بعضهم عن بعض وكان انقياد بني بوعلی والتسكن منهم في اليوم الرابع عشر من شعبان من سنة ست وثمانين ومائتين وألف . قال شيخنا : فلما وصلنا ابرى راجعين من جعلان تلقانا كتاب من الشيخ الخليلي يعاتبنا على ما صنعناه في بني بوعلی وأنشد فيه قول القائل :

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد
قال : وكان مراد الشيخ أن يحكم في بني بوعلی بحكم رسول الله صلى

الله عليه وسلم في بني قريظة إلا أنه لا تغنم أموالهم ولا تسبي ذرارهم وذلك لخوفه على الدولة منهم وقد ظهر أخيراً ما تفرسه الشيخ الخليل فكان ذهاب الدولة على أيديهم كما سيأتي ذكره ، وحبس أكابر بني بو علي في السكيتان ما شاء الله من الزمان ثم أنهم خادعوا عقيد العسكر عسكر الكوت و عملوا سياسة فيما بينهم فأرسل لهم قومهم من جعلان جراب تمر وادخلوا فيه جبلا لينزلوا به من الكوت وواعدوهم على ليلة مخصوصة فأتوهم في تلك الليلة بسفينة صغيرة فنزلوا من الكوت إلى السفينة في الجبل وأصبحوا عاربين وهذا العقيد كان من أهل الحوقين من الحضور فيقال أن بني بو علي كانوا يرأسونه وهو يبلده إلى أن مات وسكنت عمان بعد هذه الغزوة وبها تمت فتوحات البلدان ولم يبق من عمان إلا حصن الحزم وهو حصن لا تبعة له واستفتحه الإمام بعد ذلك وسيأتي خبر فتحه إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ جمعه بن خصيف في سيرته : فيها هي الآن مصر عمان قد نعمت بالأمان ، روضة أنف بالعدل والإحسان ، مستظلة بظل الانصاف ، مستنيرة بأوار أهل الفضل والعفاف ، تنشر فيها الاعلام الإسلامية وتنفذ الاحكام الشرعية وتحبي السنن المحمدية وتمت البدع الباطلية وتردد المظالم ويؤخذ بها الظالم فما منافق إلا أذله الله بنفاقه ولا مشاقق إلا رجع بالوبال عليه شقاؤه فسوق الأعداء في كساد وأمرهم حرام عليه السداد وآراؤهم منكوسة وتدابيرهم منحوسة .

ذكر مسير الامام بالجنود إلى البريمي

لمدافعة أهل نجد وهم ملوك الوهابية

ويقال لهم أولاد ابن سعود والقائم فيهم يومئذ عبد الله بن فيصل .

وسبب ذلك أنه وصلت تعاريف من جهة التغور الغربية بقدم ملك نجد
لحرب المسلمين فأرسل الإمام التعاريف مع بعض الثقات إلى الشيخ الخليلي
وكتب له في ذلك وكان بيت المال قد نهكته الدول وأخذته المصاريف
لإعزاز الدولة فأجاز الشيخ الخليلي لهم الاقتراض من الرعية على بيت المال
لدفع هذا العدو المخوف كما ستراه في كتبه للإمام وكان ذلك في شوال من
سنة ست وثمانين ومائتين و ألف وهذا جواب الشيخ الخليلي للإمام في هذه
القضية . قال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم إلى جناب سيدنا وعزيزنا
الثقة الأجل الأكرم الأحشم المجاهد في سبيل الله إمام المسلمين عزان بن
قيس أعزه الله ونصره ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، كتبك الشريفة
وصلت وما بإسنان خادمك محمد بن سليمان الخروصي عرفناه وتعاريف فيصل
ومحمد بن علي والسماز نظرناهن وهن صريحات في حالتين إحداهما الإخبار
النجدية ، والثانية الإخبار العمانية بوجود الضعف والخيانة من أهل تلك
الاطراف وكلهم يستدعي وصولك بالحال ونحن قد كنا نؤخرك لأجل
التخفيف لكن نرى الأمر يزيد والداعي حثيث ، سرع وكذلك تعاريف
زايد ، والآن لا نرى لك التأخير ولا نحب لك التواهن من يوم إلى يوم
ولا تسوى^(١) مثل بني أمية إذ يدعوهم عاملهم بمصر فيكتبون له : رقع
الأمور حتى أخذت مصر .

قلت : الصواب أنه عامل خراسان وهو نصر بن سيار والملك الأموي
يومئذ مروان بن محمد ومنه أخذت خراسان وجميع الممالك وانقلبت الدولة
إلى بني العباس ، رجع إلى كلام الشيخ قال : وابتزع الملك لكن نقول تشمر
وقم على بركات الله تعالى بجنود المسلمين من الشرقية والباطية وغيرها قبل
وقوع الخلل في البريمي وإذا وصل ابن سعود قبلك نخاف أن تنكشف عن

(١) الظاهر أن الأصل : لا تسوف .

داهية لا يمكن تداركها فلا بد من القيام إن كان مرادك الدفاع عن هذه
الرعية من حد بركا إلى البريمي والظاهرة ونحن من استوى خبر ابن سعود
إلى هذا الوقت الذي غرمناه في البريمي يقارب عشرة آلاف لغير فائدة
ولا يمكن المقام على هذا ولا يحرك ابن سعود إلا أهل عمان فلا بد من قلع
هذه الشجرة الفاسدة من كل مخوف إن كانت في نصرة الله ورسوله
وإحياء هذه الدعوة وإغاثة الفقراء والمساكين والخروج على هؤلاء البغاة
من أهل الشمال وغيرهم في سبيل الله وله حكم الدفاع يلزم جميع أهل عمان
بأموالهم وأنفسهم على الأشهر والأصح من قول المسلمين وقد أجزنا لك
دعوتهم وجبرهم إليه وتأديبهم وليس حد الجفأ إذا أحاط بك الخصم
وتغلقت عليك البلدان وصارت يدهم القوية وكتبهم العلية ، وليس جهاد
ابن سعود أو جب ولا ألزم من جهاد أهل عمان الذين يكاتبون عليك العدو
ويجربون عليك الخصم مرادهم نزع ملكك واستئصال دولتك. قال الله تعالى
« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » فكيف بمن يكاتب
ويعاهد ويرسل. وبالجملة فلا يستقيم أمرك ولا يستقر ولا تسلم رعتك بدون
هذا نعم واقدا جزنا لك في هذا الخروج القرض من الرعية على بيت المال
ولو بالجبر وأمرناك به فالزمهم إياه عن أمرناورأينا ولا تعطل أمور المسلمين
ولا تسمع قول المشبطين فإن هذا هو الصحيح في النظر ويشهد بصحته الأثر
وأنا أقول أنك أبلغهم إياه عنى واحكم به عليهم منى فإنى في ذلك مجتهد لله
ومتقرب إليه وإن كان في المسلمين من ينكر جوازه أو يرى باطله فأنا
أحاكمه إلى آثار المسلمين وسيرهم وهى بحمد الله موجودة وإن كانت من
مسائل الاختلاف ولكن التوسع فى الرأى المختلف فيه فى وقت الضرورة
أعز للدولة وأنفع للأمة ولا تنظر إلى ما يلقون من مشقة الحال وذهاب
بعض المال فإن المريض لأجل طلب العافية يداوى بالبط والكي وقطع

بعض الأعضاء لسلامة العمر وإن كان ضعيف القلب يؤلمه ذلك من غير نظر في العواقب فالعاقل لا يلتفت إليه والسلام من أحبائك الفقراء إلى الله تعالى وشركائك في المسرة والمضرة هلال بن أحمد وكتابه والقائل به الداعي إليه سعيد بن خلفان الخليلي بيده .

ملحق خير : بحق أقول إن رأينا هذا ونسأل الله الإعانة عليه لكن إذا كان قيام هذا الجيش وتكليف الرعية بالقرض والقيام بالأموال والانفس فإن وصل أهل نجد فقد تحققت الضرورة وتبينت الحاجة وظهر الوجه فإن أخرجهم الله بلطفه فإن كان ليكفيك من هؤلاء الخلق أن يردوك بكلمة جميلة وطلب مسامحة وتكثير الوسائل والأقوال وترجعوا عنهم سالمين من بأسكم مثل بنى بو علي إلى شهر وعادوا مخالفين فالأولى ترك القيام في الحل فليس هو الوجه الذي أردناه ولا الطريق الذي اعتمدناه وأمرناك به ودعوناك له وأجزنا لك فيه هذه الوجوه وإن كان قصدك كشف قبايع الحياء والتقية ، وقهر كل خصم من أهل الشمال والظاهرة المعاندين إلى حد مبالغ القدرة لا تأخذك في الله لومة لائم ولا قول قائل فهو الوجه الذي أجزناه لك وأمرناك به وهو أكرم كل صديق منقطع واستبقائه عضدا لك مثل زائد ، على ما تظاهرت منه الأخيار عن أنه قاطع بخصامة ابن سعود لأجلكم فيستحق الأكرام ومثل محمد بن علي لصحبته السابقة وما بان عليه شيء كذلك لكن لا تترك له الرأي فيمن يستحق القهر والضبط بالسياسة ونزع ما في يده مما إذا صرح في المكر يكون في تركه على الدولة وهن وفي العاقبة بلاء مثل أناس لا يخفك أمرهم ، وكل من تعصب لأهل الباطل ولم يكفه واجبه فيضبط معه هذا رأينا فإن كنت عازما عليه فتوكل على الله وسر على بركات الله ، والله معك ولا يخذل من الله ناصره ولا يضيع من كان الله معه ، وإن رأيت غير ذلك فليس منافيه

أمر ولا نقول فيه بشيء إلا أن كل نازلة لها حكم ، والله يتولاكم ويرعاكم وهو الذى يتولى الصالحين بفضله وكرمه والسلام .

ملحاق خير : واصلك هذا التعريف فأعرضه على الشيخ محمد بن سليم ويعرضه على كل ذى معرفة فإن كان غير خارج عن الصواب فتمد إلينا إن رأيت الصلاح فى غيره ، وأما نحن فنراه هو الصلاح إن قال أحد بطلانه فلنقم عليه الحجة أو يصل إلينا ونحاكمه إلى آثار المسلمين وسيرهم ، وإياك والتواهن يا عزان والوهانة يصبح أهل نجد والظاهرة والذين فى قلوبهم مرض معسكرين فى البريمى ، شد على أعداء الله وأقهرهم بحكم الله وأذلهم بعزة الله فإن عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ، والحليم من فكر فى العواقب وزايد ومحمد بن على أعرف بما هناك وخطوطهم كما ترى فعرف إبراهيم وصالح يلاقوك بجيشهم البريمى ويأنوك بالسميع والمطيع كله وبأخذوا القرض ويلزموه الناس ، وإياك تسمع الوسائل والمتشفعين جزاهم الله خير أو إياك أن تأخذ من الفقراء والضعفاء ومثل أهل السيب وبركا الملدودين بالغرامة والامتحان من زمن ثوينى وسالم وترك الأقوياء والمياسير أهل الباطنة فيكون ذلك خارجاً عن العدل ومخالفاً لسيرة الأئمة الصالحين ، وإن كان الشيخ محمد لا يقدر يأمر فليسكت وإن لم يقدر يسكت فدبره يشير [إلى] صحار أو بجىء عندنا ولا يتعرض لأهل الرستاق والباطنة وغيرهم إن كان مرادهم قوام الدولة ولا يريد الضياع وإلا فسينكشف الغطاء عند الله تعالى غداً يوم القيامة ، إذا أصبح ابن سعود حاكماً بعمان مستولياً على البريمى والظاهرة والشمال وغاراته تصل السد ولا يكفيه من أهل عمان إلا كما تحكم على ثوينى يوم غرامة بجىء مائة ألف وينظر هل يبق يوماً من حكم وإمامة ودين ومعزة للإسلام

ليعرف هو وغيره كيف العاقبة في الدنيا والآخرة ، وهل استعمال مثل هذه الوجوه في الضرورة أقرب إلى مرضاة الله تعالى واتباع الحق أم تركها حياء من الناس ومداراة لهم أحسن . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام .

ملحق خير وسرور : إذا تعين عزمكم على القيام ، فالذي يحتاجه أهل الشرقية يأخذونه من القرض المسطر من هناك أو من سيد أو من نزوى وأزكى وبهلا ورتبه لهم من تلك الجهة وأنت مر على أهل الباطنة العزاز وخذ منهم ومن غيرهم على الترتيب السابق والذي يحصل من هنا لنجعله مدداً لكم فوق ذلك والسلام ، ومن قبل ما جاء بلسان الولد محمد بن سليمان شرحه لنا وجوابه كذلك خذه من لسانه بالترتيب ، ونحن تكلفنا بالبيان في هذه المهمة لأنها عظيمة الشأن فلم نتكلم بها على جواب باللسان والسلام . حرر يوم ٢٧ شوال سنة ١٢٨٦ فعمل الإمام رحمه الله تعالى بمقتضى هذا الإفتاء وأخذ القرض من الرعية وأمر عماله فاقترضوا له وكتب لأمرأه الجنود أن يلاقوه بالبريمي فسارت إليه جنود الله من كل جانب وركب هو بدن معه من جهة الباطنة وجاء ابن عمه فيصل وأخوه إبراهيم وشيخنا بمن معهم من جهة الشرقية والتقت الجموع كلها بالبريمي عند الإمام وكان رجلان من الدروع قد قطعاً الطريق وقتلا ونهباً فطلبنا للحكم فجاءت بهم الدروع إلى أمير الجيش الجائلي من جهة الشرقية في هذه السرية فدفعوهما إليه « ببسيا » فقيدهما الأمير وأرسل بهما إلى مسكد فلما رجع الإمام إليها من سفرته هذه استحضر الرجلين وسألها بلطف عما صنعاه فأقر أحدهما بالقتل والآخر بأخذ المال فأمر بقطع رأس القاتل وأمر أن تقطع يد ورجل المقر بالنهب فأقيم الحد عليهما بالفرضة قبل نصف النهار وعاش مقطوع اليد

والرجل قليلاً ثم مات وكان قبل ذلك قد قيد رجل هاشمي برجل حبسى صاحبه إلى أزكى فقتله فقبض عليه والى أزكى وأرسل به إلى الإمام بمسكد وأرسل الإمام إلى ولى المقتول وأحضر القاتل للخصومة فأقر بالقتل وعرضت الدية على الحبسى ، فقال لأقبل إلا القود فقيد وقتل وكان بقتلهم إحياء حدود الله وكان ملك نجد وهو عبد الله بن فيصل قد جفا أخاه سعود ابن فيصل وطرده فوفد المطرود على الامام فوافق هذا السفر فسار مع الإمام إلى البريمى ، ثم ترخص بعد ذلك ونفعوه وحرصوه على أخيه وأظن أنى سمعت شيخنا يقول أنهم أعطوه ألف قرش وفرساً ، فلما سار من عندهم قتل أخاه ، وذلك أنهم التقوا على ماء بنجد فاقتتلوا ، فكانت القاضية على عبد الله بن فيصل ، وذلك بعد رجوع الإمام إلى وطنه فإنه قد كان أقام بالجموع فى البريمى ينتظر قدوم ملك نجد وكان زايد بن خليفة أمير بنى ياس قد أظهر لأهل نجد الخصومة وأظهر للإمام المناصرة وطلب منه الامام المواجهة فواجهه بالبريمى فى عدد من الخيل والرجال فأكرم الامام مشواه ورجع إلى بلده شاكرًا وبلغ ملك نجد انتظار جنود الله له فخدمت همته وسكنت حر كته ويقال إنه رجع القهقرى من الأحساء والله أعلم بما هنالك ، غير أنه لم يصل عمان ورجعت جنود الله بالظفر والتأييد والله العزة ورسوله وللمؤمنين .

ذكر فتح الحزم

وهو الحصن الذى بناه الامام سلطان بن سيف بن سلطان وهو من أعاجيب الزمان وكانت فيه بقايا اليعاربة وبعضهم من نسل الامام البانى (١٨ - تحفة الأعيان ٢ ج)

ولمنعة هذا الحصن وقوته لم يقدر أحد على إخراجهم منه حتى أخرجهم هذا الامام بعد حصار شديد وكانوا قد بنوا على أهل الرستاق بغياً شامهاً ولم تتأت حماية الرعية إلا بإخراجهم من حصنهم فسارت إليهم أمراء الجنود وأحاطوا بالحصن وجعلوا عليه السيب وربطوه زماناً طويلاً وكان من سياسة شيخنا أن يرد إلى الحصن كل من خرج منه ليتعاونوا على أكل مافيه فينفذ بسرعة فكلما أراد أحد منهم أن يخرج من نساء أو ذرية أمر برده إلى الحصن ، واستشكل ذلك بعض من لم يبلغ مبلغه وقال كيف تردون إلى البغي من يريد أن يفر منه ، فكان جوابه أنهم ما خرجوا إلا لتقوية البغي أرادوا أن يستبقوا المتاع للمحاربة والحصن لا يقدر عليه إلا بذهاب متاعهم ، فلما طال عليهم الحصار واشتد عليهم الأمر بعد أن كانت لهم في المرابطين وقعات وقتل سيدهم ويقال إنه تقع به محزومه في زورة زارها المرابطين فلما طال عليهم الأمد واشتد عليهم الأمر خاطبهم الشيخ الغاربي في الخروج من الحصن على أمان بما معهم فأجابوه إلى ذلك وخرجوا على يديه وبذلك تم الفتح للامام .

وكتب الشيخ الخليلي إلى والي الامام على الرستاق عبد الله بن محمد الهاشمي في حرب الحزم كتاباً فيه بيان ما يسع في حربه أحببنا ذكره هاهنا لأنه من جملة أحكام الامام ، قال وما ذكرته من قبل الرمية التي للحزم فإن جعلت على الأغنياء فجائز وإن جعلت على الأموال جميعاً كل بقدره حتى من مال من لا يملك أمره فجائز ، فالأول جهاد والثاني دفاع اليعاربة عن الرستاق لبغيتهم المشهور أمر غير منكور وعسى الله أن ييسر المخرج فإنه لطيف بعباده . وأما الشيخ خميس بن جاعد فقد سمعت عنه

من زمان أنه عاد عاثراً لا قوة له وينبغي أن تكفوه لأنه كبير السن إذ
ضعفت قوته وقلت همته [فهو] غير ملوم وأنا أخبرني عنه الشيخ يحيى
منذ زمان أنه كذلك أسأله عنه فيقول لي بنحو هذا من حاله والله يكفى الدولة
بمن يستطيعها والله لا يضيعها ، ولو اعتذر مثل يحيى ومثلك لرأيت أن
نشد عليه والله ولى كل خير بفضله وكرمه والسلام . وكتب له أيضاً
ما نصه : وبعد فقد عرفناك سابقاً أن تكفيننا شغل الحزم : بجعل على أهل
الريستاق وكأنك لم تسمح بذلك إلى الامام لعلك رأيت ذلك أصعب عليك
من ضياع دولة المسلمين وعرفتنا سابقاً من قبل فليج العوالب فأرسلنا لك
تعريفاً لو كيله وعرفناك أن تلتمس بالقرض وغيره على دولة المسلمين من
أموال محمد بن طالب وغيرها فلم يبين لنا منك امتثال ونحن لم نقم ها هنا
عبثاً ولا لعباً وإنما أقمنا لله مقاماً نرضى به دينه ونرضى به وجهه ونتقرب به
إليه لا نرضى بفشل لأهل الحق ولا نخفى جهداً من كل وجه تقدر عليه
مما يعز الإسلام وأهله فإن كنت منا فالمراد قيامك بما ذكرناه لك كله قد
الزمنك ذلك ولم نوسع لك في التأخر عن شيء منه ، والله سبحانه جعلنا
الآن ناظرين في مصالح الإسلام لهذا الإمام فليس لكم إلا اتباعنا ما دمننا
على الحق وإياك والتواهن بشيء مما أمرناك به بعد وصول كتابي هذا
إليك فنعمده منك خلافاً للحق وأهله ونحن لورأينا سبيلاً إلى الرفق بالرعية
والمساهلة لهم لكننا أحوج إلى ذلك وأولى به ، ولسكن نرى أمراً جليلاً
وخطباً جسيماً لا يمكن التساهل فيه واحتمال القليل بل الكثير من
الأموال أولى من استئصال الدول وظهور أعداء الله تعالى على الممالك ولم
نجد الآن السبيل إلا بتكليف الرعية . والسلام .

ذكر خروج تركي بن سعيد بن سلطان

على الإمام

وذلك بعد أن دانت الأمور وسكنت الحركات وظهر العدل والإنصاف وأخذ الحق من القوى للضعيف وذلت رقاب الجبابرة والمعاندين فعند ذلك نجم بالرؤساء نفاقهم وكاتبوا تركي بن سعيد سرأ فيما بينهم وكان قد ركب إلى الهند في دولة ابن أخيه سالم بن ثويني على حسب ما قدمنا ذكره فجاء تركي في مركب للنصارى ودخل به مكلى مسكد وتوسط بين الكيتان فرأى بيارق المسلمين بيضاء تنور والبيارق^(١) هي الرايات : سميت بذلك لبريقها ولمعائها ، فلما رأى ذلك هاله وقال الله يميننا عليك حتى تكو في حمراء وكانت الرايات الحمر من شعار آل سلطان بن الإمام والرايات البيض من شعار آل عزان بن قيس ثم جاوز به المركب وأنزله في لنجة وركب في خشبة إلى الشمال فتعصبت له الغافرية أجمع وباطنهم رؤوس النفاق من الهناوية فتجمع غافرية الشمال عند تركي يريدون أخذ البريمي ، فقاتلهم زايد بن خليفة دونها فهزمهم الله وفرق جموعهم ، فسار تركي إلى محضه ، وهي من بلاد النعيم ، فأقام بها وأظهر غافرية عمان الخلاف ورئيسهم برغش بن حميد صاحب العينين وباطنهم رؤساء آل وهيبة وغيرهم ، فخرج الإمام بمن معه وكانوا غير كثير حتى جاء المضبي وواجهه الرؤساء المنافقون وأرضوه في الظاهر وفي قلوبهم

(١) البيارق جمع بيرق اسم للراية وهذا اللفظ تركي لا عربي والله أعلم .

من الشحاء ما في قلوب اخوانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه ثم أمر الإمام شيخنا أن يسير بمن معه مقدمة له إلى جانب
الجوف والظاهرة فركب شيخنا بمن معه حتى نزل نزوى وكان الجنبه
والدروع من جملة من خالف الإمام وأبوا عن الانقياد نخشى شيخنا
أموالهم التي لهم بطيمساً والرده ثم جاء البدو وهم الجنبه والدروع فكمنوا في
واد هنالك فجاء الصريح فخرجوا لهم فلم يروا احداً ثم رجعوا ثم جاء الصريح
الثاني فرجعوا إليهم فترات الفئتان فوقع بينهما بعض الرياح بالبنادق
وأصابت البدو غرة من أصحاب الشيخ ومن أهل نزوى فقتلوا منهم
رجالا ثم انحاز كل إلى موضعه ورجع الشيخ بمن معه إلى نزوى ثم لحقهم
الإمام بالجيش، وسمعت شيخنا يقول ان الإمام كان قد عزم على عزم رأى
أن يكون فيه الحزم وهو أن يتخذ نزوى وطناً وينتخب معه من شجيمان
العرب ألف راكب يحملهم عنده بنزوى يستغنى بهم عن جر الجيوش
فإن قبائل عمان لا تكاد تتفق القبيلة كلها على حربه بعد ماضى وان اتفقت
القبيلة على حربه فانه يصبحهم بألف راكب وهو فيهم فلا تقاومهم قبيلة
وهم منتخبون من شرارة العرب فيخف بذلك المغموم عن بيت المال وعن
الرعية وتستريح الرعية في أوطانها ويكفيهم الإمام بشرارته أمر الحروب
قال : وعلى هذا كان صمم عزمه قال وصلى في نزوى وطناً في هذه المرة غير
أن الداعي كان حينئذ فاختار الله له ما عنده قبل أن يتم هذا الحال ونرجوا
له من الله أجره أو لو أراد الله بأهل عمان خيراً لأبقى لهم إمامهم وأنتم له
عزمه وأقول إن هذا الرأي هو الرأي وينبغي أن يوصى به أول المسلمين
آخرهم فمن استطاعه منهم فليفعله ، ثم سار الإمام بجيشه من نزوى وكان قد

كتب لأمرائه بالباطنة أن يلاقوه بالجموع بالظاهرة ليرد الخارجين عن طاعته إلى الطاعة ويدخلهم في الجماعة وكان قد بقي لبرغش بن حميد حصن العينين ويبرين صفح عنهما الإمام حين واجهه بالنبي وأظهر له الطاعة ثم اغتر بأراء المنافقين ونزع يده من الطاعة وتجمع معه من عادي الإمام ونزلوا معه بيبرين فمر عليهم جيش الامام فناقموهم قليلا بالتفق أرادوا أن يخرجوهم من يبرين للقتال فلم يخرجوا وتحصنوا بيبرين وغرب الإمام بجيشه إلى الظاهرة وكان أهل الباطنة من جموعه قد سبقوا إليها وخرجت لهم الغافية من عبري فاقتتلوا بلجمة عبري قتالا ثبتت فيه أهل الباطنة ثباتا حسنا حمدت فيه موافقهم فرجعت عنهم الغافية القهقري ثم وصل الامام بجيشه الظاهرة وأحاط بحصن العينين وكان فيه عمال برغش بن حميد فحاصره مدة يسيرة ثم فتحه الله له وألقى الله الرعب في قلوب الأعداء وتشتتوا أيادي سبأ وهربوا في البوادي فكبر ذلك على المنافقين من قوم الامام وكان الامام قد هم بالمسير إلى ضنك فأرسل المنافقون إلى رءوس الأعداء أن لا قوا الامام بضنك ونحن أهل الشرقية لسنا معه ولا نسير معه ، وكانت الأعداء تهاب أهل الشرقية أكثر من غيرهم ، فلما أرسلوا إليهم بذلك تجمعوا بضنك وفيهم تركي وهم الامام بالمسير إليهم فأظهر له رؤساء الشرقية الخلاف وكانوا قد أشاروا إليه أن يتأخر عن ضنك فلم يسمعهم فعملوا ذلك سببا للخلاف فأظهروا ما أضمروا وبركوا في مباركهم فمات بهم من شاء الله من الأفاضل ونصحوهم عن خذلان إمامهم وخوفوهم عقوبة الخلاف فأعاروهم أذنا صماء فركب الامام بمن أطاعه من أهل الباطنة وغيرهم فسار بهم وتخلف أهل الشرقية ، فلما قرب الامام ركب

أهل الشرقية مشرقاً إلا شيخنا ومن معه فلزمهم ساروا مع الامام وكانوا من أكبر أنصاره فجاءوا إلى ضنك من مدخل الوادي وكانوا قد أخذوا معهم بنى زيد أهل فدى وكانوا قد قدموهم على مضيق الوادي ليمنعوا العدو مقاعد القتال وكان في نفس بنى زيد ما في نفوس الخائنين وكان الامام قد أعدم له فصاروا عليه فلما توسط الجيش الوادي جاءهم الضرب من بنى زيد وغيرهم فكانت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم خلق كثير وأكثر المقتولين من أهل الباطنة ، فاستشهد من أفاضلهم خلق واستشهد سالم بن سيف الفرعى وكان والياً للامام على بديّة وكان فاضلاً ناسكاً زاهداً معرضاً عن الدنيا ، ويقال أنه لما رأى الجيش انهزم تقدم هو نحو العدو وقال لمثل هذا جئنا يعنى الشهادة فاستشهد رحمه الله عليه ، ويقال أنه ما وجد في خروجه بعد موته إلا سروال يصلى به ومسواك يتسوك به ولم يترك إلا كتباً بيعت في صداق امرأته الآجل ، وقيل أنه قيل له ان الناس انهزموا فقال عاهدته على أن لا أفر ثم رجع المسلمون فكانت هذه الحالة أول حالة ظفرت بها الأعداء وماهى بالظفر لو عقلوا وانماهى النار بل أول حالة ظفروا بها بالردة فى الوقعة التى كانت بأطراف نزوى والله الملك الدائم ثم رجع الامام إلى مسكد وخافت الخوثة على نفوسها القتل وعلموا أنهم قد أظهروا الخلف للامام وما كان الامام أراد بهم قتلا وانما خافوه على أنفسهم فى زعمهم فبالغوا فى زوال الدولة ونزع الملك من يد الامام وبذلوا فى ذلك كل البذل وتكاتبوا من شرق البلاد وغربها وسار سعيد بن ناصر رئيس آل وهيبية إلى بنى بوعلى وأقام معهم قدر شهرين يحرضهم على الامام وجاء ناصر بن عامر رئيس الحبوس إلى غبى بديّة فقام عند بعض رؤساءها

المنافقين وبقيت المكاتبه فيما بينهم والطروس تتراسل من جعلان إلى الغبي
ومن الغبي إلى جعلان ومنهم إلى الغافرية الذين بعمان والظاهرة فلم يزالوا
على ذلك حتى عقدوا من نفاقهم سرايا فجاءت سرية فيها أكثر آل وهيبة
وبعض الناس من غيرهم وعليها تركى بن سعييد قصدوا إلى سمد الشان
وتلقاهم فيها فيصل بن حمود وشيخنا بجيش ، فنزل البغاة بالميسر وجيش
المسلمين بسمد وبقوا كذلك بعضهم يرصد بعضاً ، ثم جاء البغاة من واد
غربى سمد يريدون أن يدخلوا سمد من أعلاها فوقف لهم حبوس الروضة
أعلى الوادى فمنعهم عما أرادوا ورجعوا القهقرى وسار تركى إلى سناو
وأقام بها وقامت قاعة من جعلان فيها بنى بوعلى وناس من بنى بحسن
وقادهم سيف بن سليمان آل بو سعيدي الذى كان والياً لسالم بن ثوينى على
مطرح فساروا إلى مسكد من جانب وادى مجلاص حتى نزلوا بسدروى
وقامت قاعة من الهشم على وادى بنى خالد وقامت قاعة من العبريين
وغيرهم وفيها برغش بن حميد على بهلى فاحاطوا بها وكان فيها شيخنا ماجد
ابن خميس العبرى واليا للامام وعسكره العوامر وكان قد تهيأ فيها لحصار
ثمانية عشر سنة وبالجملة فكل من كان له ضغن أو حقد ثار يومئذ وجمع الكل
البنى وشغل كلا ما يليه ، ولم يكن يبال المسلمين أن سرية جعلان تصيب
غرضها لقله عددهم ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فخرج من حضر
من المسلمين للبغاة الذين بالسد فيقال أنه جاءت سحابة فأمطرت على
جماعة المسلمين فبطلت تفاقهم ولم يكن من ذلك شىء على جماعة البغاة فرجع
المسلمون إلى السيران ، وسار بالليل إليهم البغاة فتسوروا مطرح والامام
يقاتل من أعلى السور وجاءت ضربة تفق فأصابت الامام فاستشهد رضى

الله عنه ، وقيل إن الضربة كانت من الذين معه في داخل السور والله أعلم بحقيقة الأمر . وقتل على السور فائد البغاة سيف بن سليمان ودخل البغاة مطرح ثم قصدوا مسكد وكان فيها الشيخ الخليلي وإبراهيم بن قيس أخو الامام فسمعت بعض شيوخنا أن الشيخ الخليلي دعا إبراهيم لينصبه إماماً على الناس بعد قتل أخيه فشاور إبراهيم هلال بن زاهر الهنائي وكان هلال من جملة من نافق فقال له إن هذه دولة ذاهبة فتدارك صحار لئلا تذهب عليكم وهي مملكة آبائك ، فركب إبراهيم إلى صحار فقال الشيخ الخليلي خذك الله كما خذلتنا فما قامت لإبراهيم بعدها قاعة كلما أخذ بلدة جاء السلطان فأخرجه منها كما سيأتي ذكره . وتحصن الشيخ الخليلي في الكوت الشرقي ومعه بعض بني راحة وأرسل البغاة إلى تركي فجاءهم وحاصر الشيخ حتى خانته من معه ولم يقدر عليهم أن يهربوا ، ويقال إنه جاء للشيخ بعض رؤساء الهناوية أن ينزل على أيديهم فلم يقبل أن ينزل على أيديهم لما علم من خيانتهم ونزل على يد قنصل النصارى^(١) ظناً منه أنهم لا يرضون في ذمتهم ورأى أنه قد استوثق لنفسه فخانه القنصل وسلمه إلى تركي فلما جرى به بين يدي تركي قال له أخرجتمونا من أوطاننا وفعلتم وفعلتم ، قال الشيخ ما فعلنا إلا ما تقتضيه الشريعة فأمر به فقيده هو وولده محمد بن سعيد وحمل إلى الكوت فتركا هنالك فلم يخرج خبرهما والله سائله عما صنع ، وقيل إن تركي كان منتظراً في قتل الشيخ وأن بعض عماله

(١) ولا يخفى أن النصارى يريد بهم المؤلف الانجليز وهم أصحاب الدسائس هنالك أن والمدبرون لهذا الانقلاب . فليتأمل مغزى خيانة قنصلهم للعلامة الخليلي رحمه الله بعد أن استناب له ونزل على يده واسكن الاستعماريون لاذمة لهم ولادين إلا بقدر الحاجة .

وهو ثويني بن محمد خاف أن يعفوا عنه تركي فسار إليه بغير إذن فقتله هو وولده فسلط الله على ثويني من قتله في مأمنه ، ويقال أن الإمام بقي ثلاثة أيام لم يدفن فلم يتغير ثم دفن بعد ذلك في جبروه من مطرح فكان أول إمام دفن بها فيما علمنا ، وكان قتله ليلة ثامن من ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومائتين وألف ودخلت البغاة مطرح يوم ثامن وكان وصول البغاة بالسد يوم رابع وكانت مدة إمامته سنتين وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، رضى الله عنه .

وكان رجل من بني بو حسن وهو منذري الأصل يقال له ابن الصباغ واسمه محمد بن حمد بن جميع وكان من أنصار الامام وكان مشهوراً بالبأس ، فلما أخبر عن قتل الامام هوى على جيش البغاة فلم ينزل يقاتلهم حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم سارت بشارت البغاة إلى البلدان يبشر بعضهم بعضاً . وكان الحصار على بهلى قائماً فنادوا الوالي وهو شيخنا ماجد أن الامام قد قتل فلمن تحرب ، قال فظننت أنها خدعة ، فضربت فألا في المصحف قال نخرج لى قوله تعالى « نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » . قال فعلمت ان الأمر قد قضى وصممت على أن لا أنزل من الحصن بل أدافع عنه ، قال : فقامت على العسكر وقالوا لا نحرب معك بنفسك ونحن نخشى على بلداننا التضيق فإن شئت فخذ لنفسك وجهها وإلا خرجنا عنك وكان معه العواصر . قال : فقلت أما أنا فلا آخذ وجهاً فأخذت العسكر لأنفسهم أماناً وتدلى الشيخ من الحصن بجبل إلى الأرض وذلك لئلا يكون قد مكن البغاة من معقل المسلمين ، ثم نجا بنفسه حتى أصبح من الليل بمسجد البياضة من الرستاق ، وكانت الرستاق والحزم قد

بقيتا في يد فيصل بن حمود ابن عم الامام وسيأتي تمام خبرهم إن شاء الله تعالى في الباب الآتي .

ذكر أحكام الإمام عزان بن قيس

وقد تقدم ذكر أكثرها فمن ذلك التفريق لأموال الجبارة المستغرقة في الجبايات والمظالم ، ومنها جبره الرعايا على الجهاد بأموالهم وأنفسهم لأنه دفاع عن المصر والدفاع يلزم كل بالغ قادر ، ومنها جواز أخذ القرض على بيت المال من الرعية لأجل الدفاع عن المصر وقد فعلوا ذلك في مسيرهم إلى البريمي لدفاع أهل نجد .

ومنها إنفاذ ما فضل من غلة مال مسجد شبيب الذي بالظاهرة في مصالح الدولة الإسلامية وفي نظر مصالح الإسلام على قول من يقول إنها من أموال الله تعالى وهو قول موجود في الأثر .

ومنها حجب أكل الحلوى والفواكه من أموال مسجد الرستاق وكان قد وجد لأهلها فيها التوسع بمثل ذلك وأمر أن ينفذ فضلة غلتها في المتعلمين وكتب في ذلك كتاباً إلى والي الرستاق وهو شيخنا عبد الله بن محمد الهاشمي ، قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من إمام المسلمين عزان بن قيس إلى الشيخ المحب المكرم المحترم الناصح العزيز الثقة الفاضل الأخ عبد الله بن محمد الهاشمي وكافة المتعلمين سلمكم الله تعالى وعافاكم وحرسكم وحماكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن بخير نحمد الله على ما أولانا من سبوغ نعمه ، ونعرفك فالواصل إليك سالم بن هاشل الجرادي قد بعثناه إلى بلدكم

معلمنا في النحو وقد جعلنا له كل شهر ثمانية قروش ومن كان من أهل البلد فلا شيء له إلا الفقراء ومن كان من الغرباء فله قرشان ويكون ذلك من أموال المتعلمين التي عندكم ومن فضلة أموال المساجد وقد حجبنا أكل الحلوى والفواكه بالفضلة ورأينا عرفها في هذا الأمر الذي يربى العلم ويقوى الدين ويكون التعليم في جميع المساجد وكل وقت يقيم المتعلمون في مسجد فقيامهم^(١) واحرص على ذلك وذمهم وشمم بنفسك وانصحهم واغلظ لهم القول وسارعوا إلى إحراز هذه الخصلة الشريفة ، ومنها تجوزيه أخذ المغرم من أموال أهل الرستاق حتى من لا يملك أمره لينفذ في حرب الحزم لأن اليعاربة الذين كانوا فيه كانوا قد بغوا على أهل الرستاق وعلى أموالهم واشتهر ذلك وعرفوا به فكان الأخذ من الأموال في هيئة الدفاع عنها وقد تقدم ذكر ذلك .

ومنها طنى الزكاة في رؤوس النخل فيأخذها المستطنى بقيمة مخصوصة يدفعها إلى الامام ويأخذ الزكاة لنفسه وقد وقع بينهم في جواز هذا الحال مباحثة فأول من أشار بفعله شيخنا صالح واستنكره شيخنا ماجد وطلب الوجه فيه فكتب شيخنا صالح بذلك إلى المحقق الخليلي فأجابه بقوله منك وإليك يعود: يعنى أنت أجب عنه بنفسك ثم كتب شيخنا ماجد في ذلك كتاباً لشيخنا الهاشمي وإلى الامام على الرستاق فأرسله إلى الكتاب إلى الامام فأرسله الامام إلى الشيخ الخليلي فأجاب عنه ونقض ما اعتل به وأثبتوا ذلك رأياً لهم وعملوا به لمصلحة رأوها .

(١) في هذه العبارة خرم : ولعل صوابها : فقيامهم على تلك الأموال . وقوله : وذمهم : أراد عنفهم على الكسل والتخلف عن دروسهم . والله أعلم

ومنها صلاته الجمعة في أسفاره وكان الأصحاب لا يرون للإمام أن يصلي الجمعة إذا سافر ، وممن رأى جواز ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وتبعه على ذلك هذا الامام ، ولعلمهم رأوا في ذلك مصلحة قد خفيت علينا وما يراه الحاضر لا يراه الغائب ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة في شيء من أسفاره ولا صلاحها أئمة المسلمين من قبل عزان بن قيس إلا في أوطانهم غير صحار فإنها لم تنقطع الجمعة عنها من عهد الصحابة إلى يومنا هذا يصلونها فيها خلف البار والفاجر والعاذل والجار ، لأنها من الأمصار الممصرة ، وقد صلت الصحابة الجمعة في الأمصار الممصرة خلف البار والفاجر والله أعلم .

ذكر كرامات الإمام عزان بن قيس

وقد ذكر والده كرامات كثيرة نحفظ بعضها وغاب عنا الأكثر .
فإنها ما ذكره أنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لم يدفن وهو مع ذلك لم يتغير يذكرون أنه كشف عن وجهه فرأوه كأنه حي . ومنها ما قدمنا ذكره عند قيامه على سالم بن ثويني أن الطاعون نزل على أنصار عدوه وشغلهم عن نصرته ولم يصب أحداً غيرهم أصلاً ، وبقي فيهم حتى خلصت مسكده .
ومنها ما حدث به رجل من أهل الشرقية أنه قال : كان لي مال بوادي بني خالد قد كنت منه ستين جراباً ولي مال آخر أدبت زكاته لعامل الامام وأخفيت نصف الستين الجراب وهي غلة مال الوادي بل قلت لهم إنه جاء ثلاثون جراباً فأخذ مني زكاة ثلاثين جراباً قال فأما المال الذي أخرجت جميع زكاته فبقي تزيد غلته ، وأما المال الذي أخفيت نصف

غلته فلم يزد على ثلاثين جراباً من عهد الامام إلى وقته هذا وكانت المدة قدر عشرين سنة تقريباً فتميل له لملك عطشته أو لم تسعده ، قال بل زدته ماء وسماً . ومنها كثرة الخيرات في زمانه ونمو البركات وزيادة الغلال على المعتاد زيادة لم يروها قبله ولا بعده ، ونعمت في أيامه الرعية وعاشت في ظل عدله وأمانه ، يسير الواحد فيها حيث شاء لا يخشى إلا الله تعالى . ومنها أن المنافقين الذين جأروهم بالعداوة من قومه ذهب أكثرهم في الفور حتى أن بعضهم لم يصل بيته بل سلط الله عليهم الموت بعضهم بالجدري وبعضهم بغيره وبعضهم مات فجأة من غير مرض ومن مات منهم مات في أسوأ حال ومن عاش منهم عاش في شر معيشة ثم سلط على ذراريهم فمنهم من انقرض ولم يعقب عقباً ، ومنهم من سلب عزته التي كان فيها ، ومنهم من سلب نعمته . ومنها أن رجلاً من أهل النفاق سمع الثناء على الامام من الحاضرين ، فقال اسكتوا لئلا أتغوط من في يدي أنه سيقول كلاماً خبيثاً فسلط الله عليه بالحال آفة صار بها يخرج غائطه من فيه ثم مات . ومنها أن الله تعالى سلط على المتاملين عليه الخوف من بعضهم بعض واغرى بينهم العداوة والبغضاء فهم يتقاتلون ويتناهبون دائماً ووقعت بينهم الملمات العظيمة فهم على ذلك إلى يومنا هذا ، ومنها أن الله تعالى أرسل عليهم بعد قتله ريحاً شديدة قلمت أكثر نخيلهم وصارت عبرة للناظرين ويسمون تلك الرياح ضربة الشلى ولشهرتها بينهم يتذاكرون بها تاريخ ما جهلوا تاريخه ؛ ومنها أن برغش بن سعيد سلطان زنجبار لما بلغه قتل الامام ضرب مدفعاً فرحاً مائة ضربة وضربة وذلك لأنه خاف على ملكه فأرسل الله عليهم ريحاً شديدة حشرت زنجبار وكسرت المراكب وخربت

البيوت فيقال إنها كانت تأخذسقوف البيت ومصايجه ، والنجا برغش إلى المسجد فقال له بعض الأفاضل هذه المائة الضربة والضربة فلم تبق بزنجبار شجرة قاعة الا ما غرس بعد ذلك إلا قليلا من ذلك ، ويقال إن طرفها قد تعمت من كثرة ما وقع من جذور الشجر . فاعتبروا يا أولى الالباب .
هذا ما حضرنا من ذكر كراماته رضى الله عنه . وأما فضائله فكثيرة وناهيك أنه قد باع نفسه لله وحسبك بثناء العلماء عليه وقد أطنبوا في ذلك كما تقدم ، والله أعلم .

باب دولة السلطان تركى بن سعيد

ابن سلطان بن الإمام

وهو الذى خرج على الامام عزان وقد تقدم ذكره غير مرة ولما قتل الامام رضى الله عنه ودخلت البغاة البلاد أرسلوا إلى تركى وهو بسناو فسار إليهم واستوى على الكرسي ملكا بالقهر والغلبة على طريقة آباءه وكان ابراهيم بن قيس قد سار إلى صحار وفيصل بن حمود إلى الرستاق ، وكان بلوى عامل للإمام يقال له محمد بن سعيد الهنأى فركب السلطان في مركب وجاء في البحر ومر على صحار وفيها ابراهيم والوالى عنده فلم يكن منه بصحار أمر بل جاوز عنها إلى لوى فركب عاملها من صحار إليها فلما أصبح أخذ من حضر وهم قدر خمسة وأربعين رجلا ونزل بهم الساحل لينلقى جنود السلطان عند نزولهم من البحر فوجدهم قد نزلوا في سور هنالك فدخل الوالى ومن معه في نخل مقابل للسور وترابطوا هنالك قليلا ثم انحاز الوالى إلى الجانب الغربى من السور وتستروا بيوت هنالك ووقف

الوالى فى سكة غير مستتر ينظر من يسير ويجىء فكما رأى واحداً وثب عليه بالسيف وثبة الأسد وهرب منه بعض القوم حتى دخلوا البحر ثم جاءت رصاصة فضربتة فى مدمع عينه فرفعته من الأرض قدر ذراع ثم سقط ميتاً ، فلما رأى أصحابه ذلك هربوا وبقى منهم أربعة أرادوا حمله فأدركهم الضرب فأخذ واحد منهم التفق والثانى الكتارة والثالث الخنجر بلا قطاعة ثم نجوا بأنفسهم إلى الحصن وفيه ولده سيف بن محمد وكان شاباً فقام بالحرب أعوانه وجاء قوم السلطان فمثلوا بالوالى مثلة منكرة حتى أنهم قطعوا احليله والقموه فاه وجاءت به من الغد نساء فى سمة خباط كاللحم المقطع ثم نزل السلطان بمن معه وجرّ الجاردي على الحصن وقام الحرب ثلاثة أيام وسار بينهم الناس وواجه سيف بن محمد ونزل من الحصن وولى عليه السلطان والياً ثم رجع وجهاز جيشاً ولى عليه بدر بن سيف بن سليمان البوسعيدى وحاصر صحار وفيها ابراهيم وطاولهم فى الحصار حتى خرج ابراهيم منها وجاء إلى الرستاق وفيها ابن عمه فيصل بن حمود وكان فيصل هذا قد غلبه أمر السياسة وأحب التخلّى عن المملكة وانفق رأيه ورأى من حضر من المسلمين أن ينزل عن الحصون التى فى يده ويدفعها إلى ابراهيم فقطع لنفسه قطعاً من بيت المال واشترط أن تكون لنفسه قواماً فأنعموا له ونزل من الحصون وأقام بيت القرن وكان فى حياة ابراهيم مكرماً محترماً وقام ابراهيم بأمر المملكة وأرسل إليه السلطان غارة فصبجته أول النهار وهو فى الحزم نائم فأناه الصريح فقام من فورده وركب حصاناً وخرج إلى القوم فهزمهم وهو بنفسه قبل أن يلحق عليه غيره وفى القوم أو أكثرهم من لا يجب قتله للمصيبة الباطنية وألجام هنالك إلى مضيق

واستجار به بعضهم فأجاره ، ويقال إن في القوم خيالا وهو من خدام
اليعاربة فقصده ابراهيم ليقتله فهرب على فرسه فسقطت خنجره من حزامه
فقال له ابراهيم سقطت خنجرك يا خادم فقال ما عليها خنجر ، وما كان همه
إلا النجاة بنفسه وخلصت للسلطان تركي حصون الساحل كلها. وأما حصون
عمان فإنها تفرقت على الرؤساء الذين كانوا بها قبل الإمام ، فرجعت نزوى
إلى حمد بن سيف الذي أخذها الامام من يده ، ورجعت بهلى إلى برغش
ابن حميد الغافري وسعد نزوى إلى الريامي ، ثم إن برغش بن حميد قبض على
شيوخ العبريين بسياسة من بعضهم لبعض وقتلهم في سجنه بعض أقاربهم
ثم سلط الله على برغش أخاه ناصر بن حميد فقتله وقتل أخاه راشدا
وصارت بهلى ويبرين إلى ناصر وهو صاحبهما اليوم. وأما نزوى فإنها بقيت
في يد حمد بن سيف زمانا وكان عسكره بنى هناة وكان قد اتخذ عمالا بن
زاهر رئيس بنى هناة صاحبها خاصا فاحتال هلال على حمد فأخرجه منها
وقبضها هلال لنفسه وأظهر للناس أنه فيها نائب السلطان ثم انكشف الحال
بعد ذلك انه ليس بنائب بل هو مستقل بها لنفسه وبقي فيها مدة طويلة
حتى مات حمد بن سيف وجاء ولده إلى نزوى فضرب هلالا بتفوق فقتله
وكان ذلك في أيام السلطان فيصل بن تركي فأرسل إليها عامله فخر بها فأخذها
من أولاد هلال بن زاهر وولى عليها سيف بن حمد قاتل هلال .

ثم سار ابراهيم بن قيس إلى المصنعة فأخذها من عامل السلطان فأرسل
السلطان إليها مركبا للنصارى فخر بها فخرج منها ابراهيم وجاء سالم بن ثويني
إلى الشرقية وأقام ببديّة يطلب النصره على عمه السلطان تركي فلم يتفق له ذلك
ثم مضى إلى الهندومات بها وفي آخر ذي القعدة من سنة تسعين ومائتين وألف

خرج شيخنا صالح بن علي الحارثي - وهو المراد عند إطلاق لفظه شيخنا - بمن معه من المطاوعة وغيرهم على السلطان فساروا وتمجّل الشيخ بمن معه من مقدمة الجيش اينال غرة من مسكد ، فطلع عليهم الفجر دونها فرجعوا وأناخوا بسوبح الحرمل وتجمع الجيش هنالك وكان قد صادفهم بعض الخطابين فأخبروا عنهم في مسكد وكان السلطان مرابطاً نخرجت إليهم جنوده وأكثرهم الوهايبة وعليهم رؤساء الدولة فجاءوا إلى السويح بعدم وعديدهم فالتقاهم بوادر الجيش فاقتتلوا يسيراً ثم انهزمت جنود السلطان فركبهم الجيش قتلاً وأوسعهم طعناً وضر باقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم دخلوا مطرح ونزل الجيش بها وسالمهم الكوت وأرسل السلطان إليهم عامله بدر ابن سيف ليرضيهم بما أرادوا فقال الشيخ لا نرضى إلا بدخول مسكده فقال العامل أنا أدخلكم إياها فليصحبني من شئت من قومك وكان ذلك تلطفاً منهم ليتمكنوا من المكيدة فأرسل الشيخ عنده سبعين رجلاً وفيهم رئيس الحجريين هلال بن سعيد وحمود بن سعيد الجحافي فدخلوا مسكد واتفقوا أن يأتيهم الشيخ بالجيش من الغد وما كان عند السلطان لهم مدافعة لكونه مريضاً ولأن أنصاره من القبائل لم تصله ، فاستحضر السلطان حمود الجحافي وشكى له الحال وتلطف به وخلع عليه الخلع ومناه الأمانى وقال له ردّ عنى القوم بما شئت ولك ما شئت . قال شيخنا فلما كان الغد نخرجت بالجيش من مطرح إلى مسكد فلما صرنا بالعقبة إذا نحن بحمود مقبلاً قال فأخذني في ناحية وقال إن السلطان يمد لك الفرائض ويعنيك بما تحب ويمطيك الآن ستة آلاف قرش وترجع عنه ، قال فقلت اتق الله ما لهذا جئنا إنما جئنا لإظهار العدل وتقويم الأمر

قال نحن لا نريد ملكا فاما أن تأخذ هذا الوجه واما أن أفرق هذه الدراهم في الجيوش وأخذهم بها ، قال وقد علمت انه إن لم أقبل سيفعل ما قال فقلت له إن لم يكن لك بد عن هذا فيخذلنا منه خمسين ألفا ، قال يكفيكم هذا ، قال شيخنا فلم نقدر عليه إلا بما يريد وعلمت أنه سيفسد على القوم فطاوعته وخرجنا من مطرح ثم قاموا على السلطان مرة أخرى وكتبوا لابراهيم بن قيس أن يلاقيهم فلاقاهم بمن معه وجاءوا على الراوية وحاصروها ثم تخاون القوم ورجعوا من غير شيء ، ثم قاموا على السلطان قياما ثالثا وفيهم أخو السلطان عبد العزيز بن سعيد فساروا حتى أفلوا^(١) السلام على سيران مسكد فقصرت السلام فسقط بعضها على الأرض وجنود السلطان تضربهم من أعلا السيران فرجعوا عنها من غير شيء .

وسبب خروج عبد العزيز عندهم على أخيه ما وقع بينه وبين أخيه من الضغن على الدولة ، وذلك أن عبد العزيز كان بالهند وأرسل إليه أخوه السلطان وضمه إلى نفسه واستعان به على أمره ، واستخلصه على مملكته حين خرج لحرب النزار من أركى ، وكان السلطان قد قدم بعض رؤساء الهناوية ، فاحتالوا عليه حتى خرج من مسكد وسار إلى جوآذر وملكوا أخاه عبد العزيز بن سعيد طمعا فيما عنده فلم يجدوا عنده ما تأملوا فكاتبوا السلطان تركى أن يأتى إليهم بمسكد وعملوا الحيلة لعبد العزيز فأخرجوه من مسكد إلى سمائل وعقب السلطان لمسكد وخرج عبد العزيز من سمائل إلى الشرقية وأقام بسمد الشأن زمانا وخرج على أخيه

(١) فى الأصل قلوا فإن لم تكن هذه لغة عمانية فصوابه أفلوا أى رفعوا كما صححناه والله أعلم .

فلم يتفق له مطلوبه ، ثم سار إلى الهند في أيام فيصل بن تركي وأقام بها زماناً ومات فيها ثم أن السلطان بعد رجوعه من جؤاذر قبض على الرؤساء الذين احتالوا عليه وفيهم حمود بن سعيد الجحافي فقيدهم وسجنهم فما فكهم منه إلا شفاعة شيخنا وكان له عنده كلمة ، ثم خرج إبراهيم بن قيس ملك الرستاق فأخذ المصنعة مرة أخرى وجعل عليها عاملاً ورجع من هنالك وأحاط بالعوابي ، ثم جاء السلطان بجنوده إلى المصنعة فجاء إبراهيم إلى آل سعد يطلب نصرتهم وأقام بالملدة بعدونه فلم يفواله حتى خلصت المصنعة للسلطان ورجع جيش إبراهيم عن العوابي خالياً ورجع إبراهيم إلى الرستاق ثم جاء أهل سرور يستنصرون على جيرانهم بنى جابر وطلبوا من شيخنا أن ينصرهم وأقام رئيسهم عند عبد العزيز بن سعيد بسعد الشان يطلب منه النصرة فاتفقوا على نصرته فساروا جميعاً حتى مكثوا في أماكنهم وأذلوا خصمهم وكان السلطان قد مال بعصبية إلى بنى جابر فأخرج إليهم بعد ذلك بعض أولاده فسار شيخنا وأقام بوادي الراك من الجرداء فرجع جيش السلطان ولم يكن بينهما قتال ثم خالف السلطان بنوا بطاش فبقوا كذلك مدة ثم تمكن السلطان من رئيسهم فقتله وجمع لهم جنداً فسار إليهم يقدمهم ولده فيصل فدخلوا بلادهم وتمكنوا منها .

ثم خرج إبراهيم بن قيس وأخذ حصن السويق من الباطنة فجاءه مركب للنصارى من قبل السلطان مخاطبه بالخروج فخرج قبل أن يضرب ثم رجع من هنالك إلى الرستاق وأقام بها زماناً ثم خرج فأحاط بالعوابي وحاصرها بضعة عشر يوماً وضرب حصنها بمدفع خلصت له وكان ذلك آخر عمر السلطان تركي .

وفي سنة إحدى وثلاثمائة وألف مات الشيخ محمد بن سليم الغاربي
رحمة الله عليه ، وكان موته بالخربة من الباطنة وفيها قبره ، وفي هذه السنة أيضاً
مات بالشرقية الشيخ سعيد بن علي الصقري ، وكان رجلاً فاضلاً يأوي
الاخيار ويحب العلماء ويدينه وبين علماء المغرب مكاتبة^(١) وله عندهم
خصوصية وفي آخر سنة خمس وثلاثمائة وألف مات السلطان تركي بن
سعيد واستوى من بعد ولده فيصل بن تركي على الكرسي .

(١) رأيت له مكاتبات مع شيخنا قطب الأئمة وكان يرسل إليه بعض تأييفه
ايبرزها إلى عالم المطبوعات منها كتبه الثلاثة في البلاغة كتب على كل منها بخط القطب :
يرسل إلى الشيخ سعيد الصقري ايطبعه ثم يرده : وقد رأيت مثل هذا على كثير من
تأييفه الاولى ويظهر أنه كان عازماً على طبع كثير من تأييف شيخنا ، ولم تسعفه
المقادير فعجلته بالموت رحمهما الله وله ثواب نيته فنية المؤمن خير من عمله ، والحمد لله

باب دولة السلطان فيصل بن تركي

ابن سعيد بن سلطان بن الامام

ولى السلطنة في اليوم الذي مات فيه أبوه ، وكان هو أوسط اخوته ، وكان أحسنهم سياسة وحزماً ، فاستوى على الكرسي وأرسل رسله إلى شيخنا يذكر له وفاة والده ويطلب منه المهادنة والصلح ، فعقدوا الصلح بينهما ثم أخذ في جمع الجيوش وخرج بها إلى الرستاق في أول سنة ست وثلاثمائة وألف وعسكر ببركا وأتاه بعض الرؤساء يكلمه في الرجوع عن الرستاق وترد إليهم العوابي لأنها أخذت منهم قريباً فظنوا أن الخروج لأجلها فلم يقبل ذلك ومضى بنفسه في الجيش حتى دخل الرستاق وعسكر في برج المزارعة وسحبت المدافع وقربت من الحصن وضرب بها الحصن وفيها يومئذ إبراهيم بن قيس وأولاد أخيه الامام عزان وكان ممن اشتهر يومئذ بالدفاع سعود ابن الامام فإنه كان أكثر ملوكها دفاعاً وبقي الحرب كذلك زماناً ثم تخاونت جنود السلطان وجاء أهل الباطنة لنصر إبراهيم بجيش عظيم وتبين للسلطان الخيانة في قومه فرجع عنها بدون شيء وبقيت العوابي في يد إبراهيم ورجع السلطان إلى مسكد . وفي أول سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف دخل شيخنا وادي دما وكان بها بنوا شهيم قوم أظهروا البغي وطلب منهم شيخنا الحق فأبوا وسار إليهم بالجنود ودخلها بعد أن ظنوا أنها مانعة لا يقدر عليها: ودما هذه غير دما المشهورة في الكتب فإن المشهورة هي السيب وليست بمانعة لأنها أرض من الباطنة وهذه واد قد اكتشفته

الجبال الشاخنة ثم وقع بين السلطان وبين شيخنا بعض أشياء في النفوس وكتب إليه شيخنا كتابا ذكر له فيه أنه لا يملك إلا نفسه يعني أنه لا يعطيه ذمة إلا عن نفسه ، فقبل أن السلطان استنكر الكتاب ، وقال له قائل : أن هذا الكتاب يشعر برد البرى فأعرض السلطان عن الكتاب وجعله كالأشياء ولعله إنما فعل ذلك رغبة في استبقاء الصحبة .

ثم خرج عبد الله بن صالح بن علي الحارثي وسار إلى نزوى في جماعة عديدة لأمر مهم هنالك ثم رجع من نزوى على طريق أزكى ثم على وادي بني رواحة ثم على سمائل ثم دخل مسكد فقابلهم السلطان بالآكرام فلما كان بعض الليالي هجموا على بيت السلطان وعلى سائر المقابض فتمكنوا منها وخرج السلطان إلى الكوت ثم جاء شيخنا بالجيش ومعه سعود ابن الامام حتى نزلوا بسويح الحرمل وكتب للسلطان كتابا كشف له فيه القناع أنه حرب له ، فقام الحرب في مسكد ونصرت الغافرية السلطان والهناوية الشيخ ، وكذلك الرحبيون نصروا الشيخ وقام الحرب نيفا وعشرين يوما ثم دخل الناس بالصلح بينهم ودفع السلطان إلى الشيخ اثني عشر ألف قرش وتوثقوا على أشياء لم يف السلطان بشيء منها وكانت هذه الدخلة في شعبان من هذه السنة ثم رجع الشيخ إلى وطنه القابل من الشرقية وأقام بها .

وفي اليوم السابع من ذي الحجة وقت الضحى من سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف مات عبد الله بن شيخنا صالح بن علي ، وسبب وفاته مرض أصابه بين أهله بعد رجوعهم من واقعة حرب مسقط الأخير بعدة تزيد على الشهرين قليلا وقد كان في وقته منفردا بالسياسة في الحروب

والتدبير في الدول والبسالة في الأمور والشجاعة في الإقدام وكان على وفق مراد والده المذكور ، وقد سارت بسمعته الركبان واشتهر بهذا الوصف في جميع البلدان مع صغر سنه فانه توفي وهو ولد عشرين سنة أو فوقها بقليل ، وفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف في يوم الأربعاء وقت العصر لست مضين من ربيع الآخر توفي شيخنا الصالح صالح بن علي بن ناصر بن عيسى بن صالح الحارثي ، وسبب وفاته أنه خرج مجاهداً في جيش ، فحمل على بلد الجيلة - وكانت من أعوان الجبارة - في ضحى ذلك اليوم فأصابته رصاصة في فخذه فبقي جريحاً حتى توفي شهيداً في وقت العصر . ولم يمت رضى الله عنه حتى أقر الله عينه بنيل مطلوبه في أهل الجيلة ، فان أولاده الكرام حملوا بمن معهم من الأفوام على أولئك الظلمة ، فاستفتحوا دارهم ومحو آثارهم ، فبقي القوم بين طريد وأسير وقتيل ثم أمر به ابنه عيسى فحمل إلى علالية سمائل فدفن فيها ، غفر الله له ورحمه ورضى عنه وبرد مضجعه آمين . وقد كان رضى الله عنه أعلم أهل زمانه في الحلال والحرام وأشدهم حرصاً على قوام الإسلام وأكثرهم خصالاً في صفات الكرام ، وكان أحد الثلاثة الذين دارت عليهم مملكة إمام المسلمين عزان بن قيس رضى الله تعالى عنه . وأما قريناه الآخران فهما شيخنا سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي الخروصي وشيخنا محمد ابن سليم الغاربي ثم استشهد ذلك الإمام ووزيره شيخنا الخليلي وبقى هذا الشيخ من بعدها محارباً للجبارة ومسارحاً إلى أعمال الآخرة ، وله في ذلك وقائع مشهورة وأحاديث مذكورة ، وقد استشهد رضى الله عنه وعمره يناهز الستين سنة ، وتأمّر بعده ولده عيسى بن صالح ورجع من

الجميلة إلى وطنه فلما وصل وطنه بلغه أن السلطان جمع الجيوش لحرب بني رواحة وكان بنو رواحة من أنصار الشيخ وكان السلطان قد طمع بموت الشيخ أن يصيب من أنصاره غرة فجمع الجموع وأرسل إليه عيسى يكاتبه بالتأخير عن الحرب ويعنيه بالوجوه الجميلة فلا يرى في أجوبته إلا الخشونة، فجمع السلطان جنوده وسار إلى وادي سمائل ونزل بسيجا وكان بنو جابر من أعوانه وأنصاره، وركب الأمير عيسى بن خف معه حتى نزلوا العلاية من سمائل وفيها أولاد الشيخ الخليلي، وكان أحمد بن سعيد ولد الشيخ الخليلي عالما فاضلا وكان قد رأى في منامه قوله تعالى « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فاستبشر الشيخ وبشر إخوانه، فلما جاوز السلطان إلى سيجا وكانوا يظنون أنه يقصد العلاية أراد الأمير عيسى أن يركب إلى الوادي الغربي ليحميه خوفا عليه من السلطان فقال رؤساء العلاية إن هذه مكيدة من السلطان وإنه لم يقصد الوادي وإنما قصده العلاية فعمل الأمير ومن معه حيلة فأرسلوا من بصيح بالقوم فركبوا في هيئة من يثبت الصائح حتى دخلوا الوادي الغربي ونزلوا فيه وأخذوا مقاعدهم للقتال وكان السلطان قد أرسل إلى رؤساء بني رواحة أن يواجهوا فواجهوا على يد شيوخ بني غافر ومنهم - وهو كبيرهم - ناصر بن حميد صاحب بهلي، فلما وصلوا أمر بهم السلطان فقيدوا فكلمه الشيوخ فيهم فأبى أن يطلقهم ورأى أنه لا خفر لهم عليه لأنه ساطانهم، فدخل ذلك في نفس الشيوخ لأنهم يرونه نقصا في منزلتهم وتضييعا لذمتهم وكان ذلك سببا لخذلان السلطان، فشى بعض الشيوخ إلى بعض واتفقوا أن لا يجتهدوا في حربه فأمر بالمسير إلى الوادي وخرج هو في أولهم فخرج الجيش

أجمع ، فلما قربوا من الوادى انحاز الشيوخ الذين اتفقوا على خذلان السلطان على جانب فى موضع يستترهم عن الضرب جبيل ، واندفع باقى جنود السلطان إلى الوادى وأكثروهم بذلا فىهم بنوا جابر فوق الضرب من الجانبين و كانت الصمم يومئذ قليلة لا يوجد منها عند الأمير وأصحابه فى ذلك الوقت إلا قدر ثلاثين تفقا وهى التى هزمت القوم . وأما جند السلطان فكان عندهم من الصمم شىء كثير قيل إن عددها فى دفتر السلطان كان أربعة وعشرين مائة تفق^(١) . وأما عدد الرجال من جنود السلطان فقد كانوا آلافا كثيرة فوق الضرب من الفريقين وضرب مدفع السلطان ، ثم وقعت على المدفع خلة قيل إنها انكسرت رجلاه ثم انكشفت جنود السلطان بعد أن كادوا يشارفون الوادى فأصيب منهم قتلى تزيد على أربعين رجلا فيما قيل فرجعوا على أعقابهم وكان السلطان بنفسه يحرصهم على فرس قدامهم ، فلما انهزموا رجع السلطان إلى حصن سمائل ثم منها إلى مسكد ولم يقتل من أصحاب الأمير أحد إلا رجل كبير السن من بنى رواحة كان فى زرع هنالك فجاءته رصاصة سائبة فقتلته ، فرجع الأمير بمن معه بالنصر والسلامة ، وفى شوال وقت المغرب ليلة أربعة وعشرين من هذه السنة وهى سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف . توفى سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدى بيندر مطرح وكان قاصدا لحج بيت الله الحرام بالأجرة عن غيره فأصابه فيها ألم الجدرى فمات منه ودفن فى ذلك البندر بالموضع المعروف بالبريانة ، غفر الله له ورضى

(١) لعله أراد ألفان وأربعمائة أو سقط الواو للناسخ والأصل أربعة وعشرين

عنه وكان من أهل سناو فانتقل منها إلى الفتح من بلدان الشرقية ، وكان مسارعاً إلى الخيرات معروفًا بالسكينة والوقار تاركًا لحظوظ النفس ومتصفًا بالسكالات الإنسانية ، مجداً في تحصيل العلم النافع وفي الاستفادة والإفادة فيه ، ومهر في العلم مع صغر سنه فإنه توفي وعمره نيف وعشرون سنة على التحرى ، ومات بعد أن شرع في التصنيف فإنه قد صنف منظومتين فائقتين في فهمهما : إحداهما في الرد على من بدعى قدم القرآن نونية سماها فيض المنان ، والثانية لامية في الدفاع والجهاد سماها « علم الرشاد » .

وفي سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف في اليوم التاسع عشر من شعبان توفي أبو عبد الله حمد بن سيف بن سعيد بن راشد البوسعيدى رضى الله عنه . وسبب موته رحمة الله عليه أنه خرج حاجاً من عمان عن غيره ، وكان قد حج عن نفسه فتوجه أولاً [إلى] أرض السواحل ، ومر على ساحل الهند ، فأصابه ألم الجدرى بالبندر المعروف « بمبي » وهو يومئذ في يد النصارى أخزاهم الله تعالى وأذلهم وقد كان عالماً فاضلاً نبياً فظناً نزيهاً اتفق كل من يعرف حاله على تفضيله على سائر فضلاء مصره في دهره وكان سنه يوم توفي نيفاً وأربعين سنة بل كان إلى الخمسين أقرب ، وفي سنة ستة عشر وثلاثمائة وألف في اليوم الرابع من المحرم عند غروب الشمس توفي والدى حميد بن سلوم السالمى في بندر جدة من ألم الجدرى ، وفي يوم أحد عشر من هذا الشهر المذكور توفي إبراهيم بن قيس أخو الامام بالريستاق وكان ملكها ، وملكها من بعده سعود بن الامام عزاز بن قيس وكان إبراهيم قد خلف ولدين أحدهما صغير جداً يقال له أحمد بن إبراهيم والثانى رجل شاب يقال له سعيد بن إبراهيم ، وكان إبراهيم قد جعل عسكر

قلعة الرستاق من بني هشام ورئيسهم ناصر بن محمد المخطوم فاتفقوا هم ومن حضر من رؤساء الهناوية على تقديم سعوود فلما دخل سعوود الحصن هرب سعيد على فرس ومعه رجلان أو ثلاثة أهل خيل حتى جاءوا الحزم وكانت رؤساء الهناوية قد جعلوا في الحزم نائبا من أهل الباطنة يقال له حمدان ليمنع الحصن من سعيد ، فلما جاء سعيد صادف حمدان على باب الحصن فأمسكه وقال لا بد من فتح الحصن أو أقتلك فناداهم أن افتحوا له ففتحوا له فدخل فلما دخل سعيد الحصن ظهرت حجته على من فيه فأخرجهم منه وبقي هو وأعوانه وكان سعوود بن عزان ثقة تقياً فاضلاً مرضياً كان شيخنا يفضله على أيه الامام قبل عقد الإمامة وكان قد هم بعقد الإمامة عليه بالقبائل من الشرقية وكتب للقبائل أن يحضروا البيعة فجاءت القبائل بعضهم قد وصل وبعضهم في الطريق فكان من الأمر المقدر أن حصلت موانع عن تمام ذلك العزم ، ولا حاجة إلى ذكر مامنع . فلما تولى سعوود الرستاق كتب إلى أفاضل المسلمين ورئيسهم عيسى بن صالح فحضروا معه بالرستاق وفيهم أيضاً ابن عم الامام فيصل بن حمود ووصل شيخنا ماجد بن خميس العبري وقال سعوود بن عزان قد كنتم تحاولون معقلاً للمسلمين تقيمون فيه العدل وقد مكنتي الله من هذا المعقل فقبضته لكم حتى تصلوا فإما أن تكونوا شركائي في الأمر وإما أن أخرج إلى بيتي فقال له المسلمون كين مكانك ونحن إن شاء الله تعالى من ورائك ومن أعوانك ، وهذه ثقات الرستاق يعينونك على مهماتك الحاضرة وتكلموا فيما بينهم أن ينصبوه إماماً على المسلمين وعلى ذلك صم عزمهم ، وكانت الناس من الأطراف ينتظرون تقديمه اماماً

لعلهم بأهليته . وكتب بعض الأفاضل من بعض الأطراف في ذلك قصيدة ميمية أحفظ منها قوله :

فإن شاء الإله فعن قريب يقال له الامام ابن الامام
فلم يقدر الله ذلك ولا يكون إلا ما يريد الله وكما تكونوا يولى عليكم ،
فانفشل الأمر وضعف العزم ورجع كل إلى بلده ومات حمود بن سعيد
الجحافي بالرستاق في هذه المرة وبقي سمود بن عزان أميراً عادلاً على
الرستاق وما يتعلق بها والعوabi وسار فيما ملك سيرة حسنة وولى أمره
العلماء والثقات وجعل نفسه كواحد منهم .

وفي شوال من هذه السنة قصد الأمير عيسى بن صالح وبعض أصحابه
الحج على طريق البر فر على سمود بن عزان بالرستاق ، ثم على زايد بن
خليفة في بوظبي ثم إلى قطر ثم إلى الأحساء ثم إلى نجد ثم إلى المدينة ثم
إلى مكة وكان بنو هشام وهم عسكر قلعة الرستاق قد شق عليهم مارأوه
من عدل سمود وحسن سيرته وشق على رؤساء النفاق من أهل الرستاق
وغيرهم ذلك فخافوا أن يكبر أمره وقد رأوه يكبر فعملوا المكيدة فيه
واحتالوا عليه بواسطة أخيه حمود بن عزان فأدخلوا حموداً الحصن خفية
ليلة ثمانى وعشرين من شوال من سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف فلما طلع
الفجر خرج سمود بن عزان للصلاة بالجماعة الذين لازموا في غرفة الصلاة
فصلى بهم ركعة من فريضة الفجر ، فلما قام إلى الثانية نعت فيه من ورائه
النفاق فقتلته من حينه وضربت رجلاً من ورائه من حبوس الروضة كان معه
يسمى محمد بن مطر وهو خال حمود بن عزان ، والضاربون فيهم بعض رؤساء
بنى هشام ومكنوا حمود بن عزان وهو أخو سمود من الحصن ودفن سمود

تحت الحصن من الجانب الغربي فقبل إنهم كانوا يرون الأنوار عليه
ساطعة ، وبقى حمود في يد بني هشام آلة ووسيلة لهم على ظلم أهل الرستاق
وأما العوabi فان واليها بعد قتل سعود سلمها إلى سعيد بن إبراهيم ثم أساء
سعيد في أهلها السيرة فتمصبوا بالعبريين فأحاطوا بها وأخرجوا عسكر
سعيد وتمكن منها السلطان فيصل فصارت له إلى اليوم وفسدت أمور
الرستاق وسلط الله عليهم الآفات من جدري وطاعون ، وسلط عليهم
الظلمة يسومونهم سوء العذاب وقامت قاعة من أكابر آل سعد أهل
الباطنة وأرادوا أن يحتالوا على حصن الرستاق ليدخلوه ويمسكوه عن بني
هشام ففطنوا لهم فوقع بينهم ضرب وقتل في الفريقين وقتل ناصر بن محمد
رئيس بني هشام وذلك كله داخل الحصن وترأس بعده أخوه حارث
ابن محمد وبقيت الرستاق لحمود بن عزان اسما ولحارث بن محمد معنى
وفسدت أمورها واختصمت رعيتهما واحترب أهل الغشب وتمصبوا
بالقبائل الخارجية ووقعت بينهم حروب فلما رأى حمود بن عزان وحارث
ابن محمد فساد الأمور عليهم واختلاف الرعايا كتبوا للأمير عيسى أن
يصلهم وكان الأمير قد تأخر عنها لأنه لا يعرف لها قابضا أميناً ، فمن
قدر الله تعالى أن أظهر سعيد بن إبراهيم المتاب وكتب بعض ثقات
الرستاق بتوبته وكان ذلك منه مخادعة للمسلمين يطالب بها الرستاق فيما
ظهر من أمره بعد ذلك .

إذا سبحت قيطون همت بسرقة فخذرك من قيطون حين تسبح
فركب الأمير ومن معه من الشرقية وكان السلطان قد نشب
أظافيره بالرستاق طمعا فيها حتى قيل إنه كان بنو هشام يعدونه بها ،

فأرسل ولده تيمور وخادمه سيف دولته سليمان بن سويلم في مركب فأنزلهم
بالسيب ثم ارتفعوا الى الخوض ورأسلوا قوما من بني جابر فقطعوا عقبة
القرط على طريق الأمير وكان طريقاً ضيقاً فجاء الأمير على سرور ثم منها إلى
فنجاً بعد مناقمة حصلت بين بعض القوم وبين أهل العمقات من السيايين
بعد طلوع الشمس بنحو ساعة ثم قالوا بفنجا ثم راحوا منها وانحدروا
في وادي فنجا فوافقوا بعض سبور قوم السلطان هنالك فأمسكوه معهم ،
فقبل غروب الشمس بقليل وصلوا قرب عقبة القرط فرآهم الرصد فنقموا
فيهم فعقل القوم ركابهم وركضوا على من بالعقبة فانهزموا وولوا
الأدبار ولا ندرى مالذي وقع فيهم . وأما قوم الأمير فلم يصب أحداً منهم
بأس لاني أول النهار ولا في آخره ، ثم ساروا حتى عرسوا بفليج السيد
ثم نشروا حتى قالوا بوادي المعاول في بلد حبرى ثم راحوا حتى باتوا بين
العوابي والرسناق ثم صبحوا الرسناق فتلقاهم حمود بن عزان بأهل الخيل
في عناية الرسناق للتجليل والإكرام ، ثم ساروا معه حتى أنزلهم مسجد
البياضة وهنالك واجهه أمراء العسكر من بني هشام فذكر لهم ما كتبوه
له ووعدوه به وهو أن تسكن الدار داره والحصن حصنه فلم يجد منهم
وفاء ، وأقام ثلاثاً يراجعهم في الوفاء بما وعدوا فامتنعوا ، نخرج مفاضباً
وهو يعزم على أن يأتوا بسعيد بن ابراهيم من الحزم ويقاوموا الحصن
بحرب ، وكان حمود بن عزان قد مل الإقامة بين بني هشام لكونهم قد
استطالوا عليه وحكموا المقابض دونه ، فأرسل إلى الأمير أن ينتظره
أو يصل إليه بصباح الشرجة فأرسل إليه الأميراني أنتظر بك بمسجد
قصرى فوصل حمود بن عزان مسجد قصرى وأظهر التسليم

والإذعان وقال لا أحب أن أكون هنا بين بني رواحة إلا أن
تريلوهم عنى فكث عندهم وأرسلوا إلى سعيد بن إبراهيم وجاءوا به وبقي
حارث بن محمد يماكرهم ويمدهم ويمنيهم وكان السلطان قد نزل بالمصنعة
وأرسل ولده تيمور بجيش وأقام في جما وأرسل خادمه وعامله سليمان بن
سويلم بجيش وأقام بالمعواجي ، وكان ولده نادر بن فيصل يبركا ومعه قوم
والسلطان في مركبه بازاء المصنعة وتارة يشرق به وتارة يغرب والكل
يحاولون الرستاق وحارث يماكر الجميع وأقاموا على ذلك شهراً ، ثم ان
حارث بن محمد وهو أمير الحصن أرسل إلى الأمير عيسى والى سعيد بن
إبراهيم أن يدخلوا عليه الحصن للمشورة والنظر على شرط أن لا يزيد من دخل
على سبعة أنفس فشاور الأمير من حضره يقول يسعنى أن ادخل معه
فأجيب أن الدخول ليس بتمليك ولو كان سعيد جائراً جازلك الدخول معه على
هذا الحال فإنه دخول للمشورة فقط ، فدخلوا وبقوا في المشورة وحارث
يشترط الشروط على سعيد : أنك تكون أنت الملك على شروط ذكرها
فلم يتفقوا تلك الليلة ثم أصبحوا فلم يتفقوا إلا بعد الظهر أو بعد الظهر
وذلك أن حارثاً يشترط على سعيد أن لا يبرز في الحصن ولا يدخله إلا بأربعة
أعبد وعسكر الحصن كله من جماعة حارث وكانوا يريدون غير هذه
الشروط فأبى حارث إلا التمسك بها ولا قدرة لهم على زواله بالقهر ، فلما رأوا
ذلك أعطوه ما طلب ، وضربت المدافع اعلاما بأن الملك سعيد بن إبراهيم
وأطلق حارث الباب فارتفع الأمير ووجوه قومه في الحصن وأقاموا في
الغرف وحارث مع ذلك يماكر السلطان ويمده ويمنيه والسلطان مقيم على
ما تقدم ، ثم انكشفت لهم أحوال حارث واطلعوا على بعض مكاتبتة

للسلطان وكان يعد السلطان بادخاله في حصن الرستاق وكان حصن
المزاحيط في يد السلطان أعطاه إياه حمود بن عزان وقت مخالفته هو
وابن عمه سعيد بن إبراهيم وبقي في يده إلى اليوم ولم يكن للسلطان منه
فائدة لكن له بقبضه غوائل ، فوصل ولده تيمور يوماً ببعض قومه إلى
حصن المزاحيط ، ثم رجع إلى جما . ثم إن الأمير ووجوه قومه قد صمم
عزمهم على إخراج حارث ومن معه حين رأوا أنه مخادع فعملوا لذلك
الحيلة وأظهروا أن الأمير يقيم بالرستاق عند سعيد بن إبراهيم ويرخص
قومه برجعون إلى الشرقية فقالوا الوجوه لقوم من شاء منكم الرخصة
فليجيء بكرة عندنا وكان مقامهم بالحصن وكان مقام البدو خارجاً ، فلما
تعالموا بالرخصة جاءوا وقت الضحى واجتمعوا كلهم بالحصن ، وحارث لم
يفطن للمكيدة وكان من مخادعته أن أظهر أنه تائب يتعاطى النسك ،
وكان سالم بن عمير من وجوه القوم وكان حارث قد اتخذ صاحباً لا يفارقه
مكراً وخداعاً وأراد سالم بن عمير أن يكتب وصية عند القاضي راشد بن
سيف اللمكي فخرج في ذلك الوقت إلى القاضي بقصرى ليكتب له وصية
حارث والناس يجتمعون بالحصن لأخذ الرخصة في الظاهر ، وكان الأمير ومن معه
قد أخرجوا دفتر القوم الذي فيه كتابة نفقاتهم ، وأخرجوا كيس القروش وكل
من رأى ذلك من البدو قعد ، ولم يفارقهم كيلاً يكون الإنفاق وهو غائب .
ثم أبطأ عليهم حارث ، فقال قائل : أرسلوا إليه يذهب من هناك ، فأبى
الأمير إلا أن يأخذه بحجة وبيان . ثم خرج إليه الأمير بنفسه ولا أقول
منفرداً بل يحتمل أن يكون معه رجلان ، وكان قبل ذلك قد أرسل إليه
فلم يحضر ، فلما سار إليه تلاقوا بالطريق ، فقال حارث - أو سالم -

ما هناك قال سعيد بن ابراهيم أبي أن نرخص القوم وجماعة حارث في الحصن وقال أنه يخشى على نفسه منك ويخاف أن تصنعوا به مثل ما صنعتم بسعود فلما دخلوا الحصن ورأى حارث القوم مجتمعين فيه أيقن بالذل واستشعر العجز وعلم أنه لا محالة خارج من الحصن ، وقال له الامير ومن معه قد أعطيناك جواباً^(١) أن تكون في الحصن واليا ونحن نفي لك بذلك ولكن رخص جماعتك وابق عندك اثني عشر رجلا حتى يأمن سعيد بن ابراهيم من غوائلكم ، وقال حارث لا أقيم إلا بجماعتي ولا لي مقام بدمهم فقالوا له إذن يكون ذلك برأيك فلا تقل أخرجناك فحمل جميع ما في الحصن مما قدر على حمله وأعطوه عن الاثقال دراهم بقدر قيمتها وزيادة وأتوه بالركاب وخرج بين المغرب والعشاء وأرسلوا معه الخفراء وصحبوه إلى العوابي وفيها سليمان بن سويلم خادم السلطان وواليه فلما رأى السلطان ذلك أيس من الرستاق ورخص باقي الجنود ورجع إلى مسكد ، وكان هذا آخر رجب من سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والفر . وكان ركوب الأمير بمن معه من الشرقية إلى الرستاق في أواخر جمادى الاخرى من السنة المذكورة فمدة المرابطة قدر شهر ، ثم بقى سعيد بن ابراهيم في حصن الرستاق والحزم وكانوا يظنون فيه بعض الخير وكانوا يرون انهم لم يدخلوه في حصن الرستاق وإنما ادخله حارث لكنهم اخرجوا حارثا عنه وبقى هو وهم في الحصن وكانوا قادرين على اخراجه أيضا غير انهم لم يجدوا الأصلح في الحال ولم يتهيأ لهم ذلك الحين إلا السكوت عن التقديم والتأخير وكانوا يظنون منه

(١) كذا في الأصل ولعله أراد جواب طلب حارث وإلا فهذه اللغة عامية وقد استعملها المصنف كثيراً رعاية للسواد من العامة على ما يظهر أو احتفاظا بالأصل المأخوذ منه وكان الصواب : فأعطيناك كتابا أو عهداً فليتاامل .

غير ما وقع ، وكان قد أظهر لهم الجميل وأعطاهم اليهود فرخص الامير جنوده
وبقي هو ومعه خادم يخدمه عند سعيد في حصن الرستاق ليكون مطلعاً على
أحواله مقوماً لاعوجاجه وبقي سعيد يداريه ما دام عنده ، ثم آنس الامير
منه الانحراف عما كان تهاهدم عليه وكتب إلى بعض وجوه قومه يخبرهم
عن الحال الواقعة من سعيد فسار إليه منهم جماعة ورجعوا جميعاً إلى الشرقية
وبقي سعيد بن ابراهيم هنالك ، وأظهر بعد خروج الامير عنه ما كان
يستره من خبث السريرة وسوء السيرة وظلم الرعية ، وأفسد في الأرض
ولم تزل اليعاربة تحاول حصن الحزم حتى وجدوا له فرصة في أيام سعيد
خادعوا خادماً من الخدام قابضاً على الحصن فجاء بهم وأخفاهم في خيمة قرب
الحصن حتى أصبح الصبح وكان في وقت الضحى يجد لذلك فرصة وكان
قد أخرم لأجلها ، فلما كان ذلك الوقت أشار إليهم بدخول الحصن فجاءوا
إلى الباب فوجدوه مفتوحاً فدخلوا في البرج وكان في البرج رجل من بني
ريام يقال له خصيف ومعه ابنة فلما رآهم ظهروا من الدرجة ضربهم وقتل
منهم فرأوا أن يحاصروه لظنهم أنه لا مغيث له ولا شك فهو نازل فبقي
يمانهم ، وكان سعيد بن ابراهيم في الباطنة وسارت إليه الرسل فركب
في الحال وجاء أهل الرستاق وأحاط سعيد ومن معه بالحصن ، وأرسل لهم
خصيف حبلاً من دريشة البرج فصعدوا فيه فلم تشعر اليعاربة إلا والقوم
قد ملأوا الحصن فأيقنوا بالعلبة وخرجوا على يد ناصر بن راشد كبير
بني غافر بعد أخذ سلبهم وقتل من قتل منهم قبل الأمان فبقي سعيد على سوء
سيرته في الرعية حتى أخذه الله بغتة في مأمته : وذلك أنه في يوم
أربعة وعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٣٠ دخل أولاد فيصل بن حمود

ابن عزان وهما محمد و ابراهيم مع سعيد بن ابراهيم في الحصن باذن منه لهم
ومرادهم في ظاهر الامر ينظرون ولده وكان ابن اختهم وكان طفلا صغيرا
ودخل معهما رجل من اصحابهما يقال له سيف بن حمد القمشوعى وقد
باطنوا اربعة من خدامه واحدم مملوك سعيد فلما تمكنوا فوق الحصن
ضربوا سعيداً ثلاث ضربات تفق وثلاث ضربات خنجر فوق صريعا
ميتا بالحال وأرادوا قبض أخيه أحمد بن إبراهيم وكان في حد الاحتلام
فهرب عنهم بالحال وتوجه إلى الحزم، ثم التفتوا إلى باقى الخدام فقتلوا منهم
أربعة وركض إلى القلعة اثنان من الخدام الذين مع أولاد فيصل
والقمشوعى وخادم قبضوا برج الحديث الذى أعلا من الصباح وواحد من
الخدام فى برج الريح وهو مملوك سعيد واسمه مسعود وبقى النقع بينهم
وباقى خدام سعيد فى الصباحات ومع الخدم بنو غافر ومن أراد من أهل
البلاد يسير معهم منعه الخدام وبنو غافر وبقى النقع بينهم من الضحى إلى
صلاة الظهر ثم إن خدام سعيد نادوا خادمة تفتح لهم الصباح الداخلى
الذى يدخل إلى السكنة من الجانب التحتى فدخلوا على أولاد فيصل من
هناك فلم يشمروا إلا والضرب من تحتهم وورائهم فضرب عليهم الخدام
المسمى الفيل فعند ذلك ركضوا إلى القلعة أعنى محمد وإبراهيم فضرب
إبراهيم على باب القلعة، ثم ضرب الخدام المسمى سالم بن الحميدى على ستار
القلعة ثم ركض بنو غافر والخدام إلى برج الحديث فضربوا الباب
فأصابت سيف القمشوعى فمات فاستجار الخدام المسمى درويش ثم جاءوا
إلى القلعة وبقى النقع بينهم ومحمد بن فيصل فالجأوه إلى غالة منها بعد
ما ضرب منهم جملة بين قتيل وجريح فاستجار بهم فلم يجيروه وتعلق بمن

يرجو منه النفع منهم فلم يجبه أحد فخرقوا عليه بالنار فلما أحس بالهلاك
التي نفسه من دريشة ضيقة إلى خارج الحصن فضربوه قدر عشر ضربات
تفق فمات والخدام الذي في برج الريح أخذ شملة فدلاها إلى خارج الحصن
فهرب إلى بلد العوابي فقبضه عامل السلطان فيصل ، ثم رجع أحمد بن
ابراهيم وهو أخو سعيد المقتول إلى الرستاق بوفوده من بني غافر وأهل
الحوقين وغيرهم فدخل الحصن وصار عدد القتلى ثمانية خدام والسادة ثلاثة:
الجملة أحد عشر قتيلا وخمسة جرحى منهم زهران بن شيخان الغافري ثم
مات من جراحته وطرشوا آل سعد ووصلت فرقة منهم لتركيده الأمور
وأرسلوا بذلك رسولا إلى الأمير بالشرقية فكتبوا له بهذا الواقع وذكروا
له أن القائم فيها الآن أحمد بن ابراهيم وطلب منه بعضهم الوصول لتركيده
الأمر فلم ير للوصول معنى لما رأى من انقلاب حال سعيد بن ابراهيم
بعد ما تمكن ، فأحمد بن ابراهيم هو الآن ملك الرستاق ، فهذه أحوال
الرستاق بعد ابراهيم بن قيس إلى الآن ، ذكرتها لك متتابعة على طريق
الاختصار لاستحضار الفائدة وجمعها في موضع واحد وإن خالف أسلوب
التاريخ .

وأما حارث فإنه لما خرج من الرستاق سار إلى الوادي الغربي من
وادي بني رواحة وهو وطنه فأقام بها حتى قتل : سلط الله عليه ثلاثة أنفس
كانوا أعوانه فيما قيل على قتل سعود بن عزان فقتلوه غيلة في مأمنه ثم
قتل الثلاثة بعده قتلهم جماعة حارث وهذه كلها عقوبات تتبعهم من خيانتهم
في قتل الشهيد سعود ابن الإمام عزان رحمهما الله وكذلك سلط الله على
من عاونهم ولو بمشورة فلم نعلم أن أحداً تشهر بمعونته في ذلك إلا وقد

سأط عليه فقتل ومن بقي منهم ينتظر القتل وكان شيخ المعاول ناصر بن محمد قد تشهر بذلك فسلط الله عليه رجلا من جماعته فقتله في مأمنه نهراً ومازال أهل الدنيا يتقاتلون على الدنيا يقتل بعضهم بعضاً .

تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل

وفي أول سنة تسع عشرة جرى فليج الظاهر بالشرقية بعلاية بديّة على يد شيخنا الفاضل جمعة بن سعيد بن علي المغيري رحمه الله فجاء نهراً مباركا وتوفي هذا الشيخ ليلة رابع من ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين ووصلني نعيه بمسكة يوم رابع ذى الحجة وكان قد مات في صلاة العشاء الآخر بمسجد الظاهر وهو يصلي بالناس وما كان به من بأس فحين قام إلى الركعة الثالثة خرم ميتاً رحمة الله عليه ، وفي أول سنة تسع عشرة أيضاً خرج من مسكد بالوز الانجايز ويقال له القنصل ومعناه بالعربية الوالى^(١) فجاء على طريق قريبات ومنها إلى صور ومنها إلى وادى مسلق وكان قد استأذن السلطان في ذلك وكان قد هم أن يدخل الشرقية من رفصة المشاركة وانتدب لمنعه شيخنا الأمير ورؤساء القبائل وتعاقدوا على منعه خوف غوائله وكتبوا بذلك إلى رئيس المشاركة وركب الأمير إلى بديّة ثم إلى جعلان في معارفة الناس لدفع الشر المتوقع بمنعه وكتب بالوز إلى السلطان فيصل بالواقع فداخلته الحمية في رد هذا القنصل إذ كان عن إذنه خرج فركب بمن حضر معه البحر ونزل بصور وكان قد حمل معه ما يحتاج إليه فيقال إن متاعه من الدراهم غرقت به الماشورة عند التنزيل من المركب ثم أرسل السلطان إلى بعض رؤساء الصواويع وهم من شيوخ بني بحسن فدمرهم عند بالوز وأرسل معه ولده تيمور

(١) صوابه : نائب الدولة أو وكيل الدولة الوالى فهو حاكم الولاية

وكان يومئذ يقارب الاحتلام فركب الأمير من القابل ومعه وجوه قومه ونزلوا بالمنترب من بديّة وركب معهم رئيس الحجرين هلال بن سعيد ومعه كثير من مطاوعتهم وبعض قومه وساروا جميعاً حتى نزلوا بالفليج من بلدان المشارقة ، ثم ركبوا من هنالك قاصدين الرخصة لمنع البالوز وأعوانه ، فإذا هم قد دخلوا الرخصة فرجع الأمير ومن معه والبالوز ومن معه يسرون وراهم ولم يعاجلوهم سياسة منهم خافوا الفرقة بين المسلمين ورجعوا متحرفين لقتال ومنتظرين للفرج حتى وصلوا موضعاً يقال له أم الخم وهو مرصد للقتال أحاطت به الجبال والطريق بين الجبال في الوادي فهناك قبضوا عليهم الطريق ، وكان الوقت حراً والشمس في كبد السماء فوجهت إليهم التفاق وهموا بقتلهم إن لم يرجعوا إلى أعقابهم ، ثم رأى الأمير أن يكلم تيمور لعله أن يرجع من غير قتال فأتى إليه وسط قومه والنصراني قد جلس في الأرض ماداً رجليه متحيراً فسلم الأمير تيمورا في ذلك قبل إطلاق التفاق فأجابه برفق ولين واتفقوا على أن ينزلوا جميعاً بالفليج ويكتبوا بالواقع إلى السلطان وكان بصور فنزلوا بالفليج وقد أمن بعضهم بعضاً وقد كان في أول الأمر إنما وصل عند الأمير وجوه القوم وحين نزلوا بالفليج صارت تأتيهم الرجال متوالية وصار السلطان ينفق على الفريقين ولما أيس البالوز من وصول الشرقية طلب أن يرى معدن الصخام - ويسمى الفحم وهو جبل فيه حجر يحمل لو قيد النار في المراكب وغيرها وأكثر عمل المراكب عليه - فاقتضى رأيهم أن يسمحو له برؤيته ولم يرض بعض الناس بذلك فقطعوا له في طريق المعدن وكان معه تيمور بن فيصل وبعض الناس من أصحاب الأمير فأطلق القاطعون فيهم التفاق وأصابته ضربة منهم الحصان الذي تحت البالوز فقتله ووقع البالوز على بطنه في

الأرض فصار يرفص برجليه كهيئة السابح في البحر فوثب بعض من كان معه من أصحاب الأمير فكفوه عن النقع ثم ساروا حتى وصلوا جبل الصخام فأروه إياه على عجل وأزعجوه في الرجوع فلم يتمكن من رؤيته كما أراد ثم رجعوا إلى منزلهم وأرسل البالوز إلى الأمير أن يأتيه أو يأذن له في إتيانه فقال الأمير لا أراه ولا يراني ثم رجعوا إلى صور وواجه رئيس الحجريين السلطان بصور ومعه بعض الناس من وجوه القوم وأعطاهم السلطان عطايا وأرسل للأمير هدابا فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ورد الله كيد البالوز في نحره . نسأل الله أن يحفظ بلاد الإسلام .

وفي ذى القعدة من هذه السنة قتل شيخ بنى علي وهو حاكم ينقل من الظاهرة وهو هلال بن غصن وكان فيما سمعنا رئيساً فاضلاً آمراً ناهياً شديداً على أهل المناكر كثير العبادة والتلاوة واصطلحت في أيامه بلدانه واستراحت رعاياه وكان هلال بن غصن قد جهز جيشاً لحرب فدى فقتل والجيش محاصراً لها وكان قد أمر على الجيش ابن أخيه سليمان ابن سنان وكانوا ينتظرون فتحها وبقتله تفرق الجيش عن أميره ورجعوا عنها بعد ما عاينوا الظفر وكان قتله على يد ابن أخيه خلف بن سنان ابن غصن وهو أمير ينقل اليوم ويقال إن قتله كان عن شوري من السلطان وواليه سليمان ومن رغبة في خلف في الملك بعد عمه ويقال إن هلال بلغه إن خلفاً سيقتله قال ما أصنع به ؟ يقضى الله ما كان قاضياً لا يحل لي أن أقتله بالهمة ولا يجر لي أن أشتت أقاربي ، فبينما هلال جالس بعد صلاة العشاء الأخيرة في المسجد يذكر الله إذ دخل عليه خلف فقال كيف تأخرت إلى الآن يعني عن الصلاة وهو يظن انه جاء ليصلي فقال الآن جيئت ثم أرسل أهل بيت هلال إلى هلال الخادمة لتنذره

وتحذره من خلف فدعته ليخرج إليها فحين خرج إليها تقع فيه خلف من ورائه بتفق فوق على الأرض وهو يقول : لا إله إلا الله . ثم قضى نحبه ولم يتمكن خلف من ملك ينقل إلا بعد أن قتل جملة من أقاربه وخدامهم ، ثم دانت له الأمور والله الأمر كله .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وألف خرجت من بيتي بالقابل قاصداً حج بيت الله الحرام ومررت على السلطان فيصل ذاهباً وراجعاً فقابلني هو وأولاده بالإجلال والاحترام ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وطلبت منه الخلوة على لسان ولده تيمور وكتبته في اجتماع الشمل والقيام بالعدل وجمع العرب تحت راية واحدة فقال إن حصل لكم ذلك يقول عمي نريد غيره وأراد بعمة عبد العزيز بن سعيد ، ومعنى قوله إنكم إن اجتمعتم على هذا الحال لا نريدك بل نريد عمك فتجاهلت له كأني لم أفطن لما أراد وقلت له من غيرك ؟ أى لا يوجد غيرك بمن هو أهل لهذا والحجة عليه في هذا فقال إن الوالى سليمان سيخرج إلى الشيخ عيسى لمواعدة بينهما والجواب يكون على لسانه فما ينقله عنى فهو منى وكنت قد كتبت له عند رجوعى من الحج فى المركب برفع العشور والكرتينة عن الحجاج فرفعهما من تلك السنة إلى هذا العام إلا سنة واحدة لم يكن هو فيها بمسكد فكترتن الحجاج وعشروا ثم رجعت إلى الوطن سالماً شاكرآ والحمد لله تعالى ، وكنت قد اجتمعت فى مكة برجال من علماء قومنا وكان رجل منهم يقال له الزبير ابن على الأصغر من أهل عظيم آباد من أرض الهند قد سبقنى إلى مكة ولما سمع بوصولى أتى إلى فى بيت الرباط وسألنى عن أصول المذهب وفروعه وأهله ومحلّه فشرحت له ذلك شرحاً وافياً كافياً وطلب منى بعض كتب المذهب فدفعت إليه مشارق الانوار وكان لم يحضر غيرها والكلام

في ذكر جميع ما سأل عنه يطول به الكتاب ثم بقي يتردد على مرارا
وينظرني في الخلاف الواقع بيننا وبينهم وكان رجلاً أديباً حسن الجدل
ذا ذكاء وفطنة لا يكابر الحجة إذا رآها وكان هو السبب في الاجتماع بعلماء
الآفاق في ذلك العام وقد منّ الله علىّ باظهار الحجة على جميعهم واعترف
بعضهم بالحق الذي في أيدينا ، فمنهم من قال إن الاباضية أقرب الفرق إلى
الحق وقائل ذلك عبد الرزاق البغدادي ، ومنهم من قال أعلم أن الأصلح
والأسلم ما أنتم عليه وقائل ذلك الزبير وكان يكنى أبا عبد الله ، فقلت له
حاشاك أبا عبد الله أن تترك الأصلح والأسلم فسكت ولم يجب ولم يكن
بعد هذه المقالة بيني وبينهم مناظرة

وفي آخر سنة أربع وعشرين جاء الوالي سليمان بن سوبلم إلى الشرقية
للمواعدة التي جرت بينه وبين الأمير فقابله الأمير ووجوه قومه بالإجلال
والاحترام وفي ليلة إحدى عشر من شهر الحج من هذه السنة مات
الشيخ المرحوم أحمد بن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وكان عالماً فاضلاً
فجاء الخبر والوالي عند الأمير بالقابل ثم قصد الوالي سليمان راجعاً إلى
السلطان وصحبه وجوه الناس من أهل الشرقية وكان السلطان قد جعل
سليمان سيف دولته وكان قد أذل له كثيراً من القبائل وكانت القبائل قد
أظهرت لسليمان العداوة ومنهم السيبايون فوقف له فتية من رجال
السيبايين على طريق العق وكنوا له في جبل هنالك على الطريق حيث
لا يراه المار ، فبينما الوالي ومن معه يسرون ضحى إذ تقعت التفاق في
الوالي وهو على ناقته فسقط ميتاً وانكب عليه خادم له فضرب فوقه فالتفت
القوم إلى الضارب فإذا هم قد صعدوا الجبل كالظباء ونقعوا فيهم فلم يصبوا

أحدآ واختفوا عنهم بالجبل ثم هم السلطان بحرب السيايين وسخط الامير عليهم بما صنعوا حيث قتلوه وهو خارج من بلاده وعنده وجوه قومه وجاء شيوخهم ليرضوا الامير فلم يقبل منهم ، ثم رجعوا إلى بلادهم وكاتبوا السلطان فكتب لهم بالعمفو في الظاهر وهو يريد أن يأخذهم بالحيلة فرجعوا بكتاب السلطان إلى الامير وأروه إياه وطلبوا منه المسامحة فسأحهم ، ثم رجعوا إلى بلادهم وأخرج السلطان ولده نادرا إلى سمائل وولاه عليها وأظهر نادرا أنه يأمر فيها وينهى وشد على أهل الماكر وهو مع ذلك يعمل الحيلة لرئيس السيايين سيف بن محسن وكان رجل من بني هناة يقال له سعيد بن خميس بن حويسن قد واطأ نادرا على قتل سيف وبقى يعمل الحيلة يظهر لسيف التودد ويريه الخطوط التي تأتيه من السلطان وأولاده وكشف له أخبارهم فكان يأتيه بخبر كل حادثة تزيد عندهم وللناس غوائل والمأخوذ غافل فاطمأن سيف بن محسن إلى قوله وصدقه في زعمه وكان لا يمتنع منه متى جاء وهو مع ذلك لا يظن أن مثله يقوى على مثل ذلك فأتاه يوماً ومعه رجل من العسكر كأنه يصحبه في الطريق فأرسل إلى سيف بن محسن ليحيثه في موضع من أطراف نغما فأتاه منفرداً وقيل ان بعض قومه أراد أن يصحبه فمنعه فلما وصل تلقاه سعيد بن خميس بالترحيب واللين وأعطى سيف رجلاً بنال يخدم قهوة ويشغل العسكرى ودخل هو وسعيد في مسجد هنالك ليأخذ منه السر الذي جاءه به فجلس سيف على دريشة في المسجد فجاء العسكرى من ورائه وتقع فيه من خارج الدريشة وخر ميتاً ووثب سعيد والعسكرى الذي معه إلى حصن بدبد وضربوا المدافع سروراً وكانوا يرون أنهم قد أخذوا ثار واليهم سليمان بن

سويلم ، وبعد ذلك رجع نادر إلى حضرة أبيه بمسكد وترأس من بعد سيف ابن أخيه محسن بن زهران بن محسن وكان فيما قيل يطلب غرة من السلطان وأولاده حتى كان ذات يوم خرج السلطان إلى نخل وأناخ بها وكان في قومه رئيساً بنى عمر : سالم بن مرهون ، وخليفة بن عبيد وكان قاتل سيف بن محسن من جماعة هذين الرئيسين ، فلما كانا في هجعة من الليل تقعت التفاق في سالم وخليفة فماتا من ذلك واشتد لذلك غضب السلطان وقيل له إن السيابيين هم القاتلون ورجع من نخل حتى وصل فليج السيد وأرسل ولده نادراً وبعض القوم إلى بدبد ومضى هو إلى مسكد ثم جمع الجموع وأرسلها إلى ولده بيدبد ثم أرسل ولده تيمور وغصت بدبد بالجنود وواجه رؤساء السيابيين وهم مع ذلك ينكرون القتل فأخذوا أعينهم وقيدوهم ثم أرسلوا إلى بعض البنيان بنفعا فهدموه وحملوا المقائيد إلى مسكد وحبسوا بالكوت زماناً ثم أطلقوهم .

وفي يوم اثنى عشر قبل العصر بقليل في جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وألف مات فيصل بن حمود بن عزان بن عم الإمام ببلد الواصل من بديّة وفيها قبر ، وكان قد تردد عليها مراراً وتزوج منها وسكن فيها وحمل المرأة إلى الرستاق وكانت فاضلة صالحة وماتت بالرستاق وجاء في هذه المرة الأخيرة في أواخر سنة سبع وعشرين وأقام أياماً وتزوج منها بامرأة أخرى ، فما طالبت أيامه حتى مات بالتاريخ المتقدم وكان معه ولداه محمد وإبراهيم ، وبعد أيام العزاء ركبا إلى الرستاق وأقاما بها حتى قتلا بالحصن على حسب ما تقدم والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

قد تم الجزء الثاني

من السيرة المسماة « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان »

تأليف شيخنا العلامة « نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد بن

سلوم السالمي » ، رحمه الله وغفر له ونور ضريحه .

كلمة لمصحح الكتاب

أحمدك على آلائك يا من جعل التاريخ عبرة وذكرى ، وأشكرك على عونك وتوفيقك إياي إلى إظهار هذا الكتاب الجامع لكثير من سير الأئمة والسلف الصالح أهل المزايا العظمى ، والصلاة والسلام على المبعوث بالحسنى ، سيدنا محمد رسول الهداية إلى أعظم الزاني ، وآله وأصحابه الذين نالوا بجلال أعمالهم الدرجات العلى .

وبعد فقد تم طبع الجزء الثانى من (تحفة الأعيان ، بسيرة أهل عمان) فأكمل به هذا الكتاب الفريد الذى كشف لنا حال قطر من أعظم الأقطار الإسلامية تاريخاً وأهمها شوكة ودولة ، وقد كان تاريخ عمان - ولا يزال معظمه - عنا غامضاً ، ولكن هذا الكتاب يبين لنا عن صفحات منه جليلة ، وأطوار نفيسة ، وذكريات تحمل إلينا أنباء جميلة وأخرى عليلة أسيفة ، وكم بين طيات التاريخ من عبر ، وآيات بينات كان منها نذير للبشر ، وتقلبات هى إحدى الكبر ، ولقد أحسن المؤلف رحمه الله فى ترتيب أطوار الحكم بعمان من إمامة وملكية حسب الزمان ، منذ ظهور الحكم المستقل فى عهد التابعين إلى آخر أيام المؤلف ، فكان حسن هذا الترتيب إحدى مزايا الكتاب ، ولئن فات المصنف أن يضم إلى كتابه كثيراً من رسائل أئمة العلم إلى أئمة الحكم إذ لها علاقة بتاريخهم فإنه لم يدخر وسعاً فى جمع عهود الأئمة إلى ولاتهم وقوادهم وأمراتهم ، وكبأنه رحمه الله يرى أن يحفل بشأن الأئمة حيث كان يذكر ما احتوى كل إمام عليه من كرائم الفعال ومحاسن الخصال ، وما ازدهر به عهده من علم وعدل ودين ومساواة بين الناس فى الحق ، ومشاورة أهل الحل والعقد

من العلماء في تصرفاته ، بحيث يخرج القارىء من مطالعته وقد تصورت له صفحة من تاريخ الحكم الشورى كما كان في عهد الخلفاء الراشدين ومقتضى ما يرشد إليه الكتاب العزيز - وإنه لتمزيق رب العالمين - ولم يحفل بذكر أطوار الحكم الفردى وما فيه من سوء الاستبداد واقتراف المنكرات ، والظلم من شيم تلك النفوس غالباً ، وكان من مقتضى التاريخ أن يلم بكل أدوار الأمة التى يكتب عنها الكتاب إلا أنه ربما يعتذر عن المؤلف بأن علماء الشريعة يتورعون عن ذكر حوادث الجورة وما يأتونه من الجرائم بدعوى أن ذلك من قبيل نشر الباطل ، والحق أن هذا ليس بعذر وأخطأ من يلتمسه ، وإنما المصنف لم يحفل فى تاريخه هذا بعهد الجورة تفصيلاً لعدم وقوفه عليه وقوفاً يجعله واثقاً بما يكتب ، ويدلك على هذا أنه ذكر بعض وقائع من هذا القبيل وكشف عن أسرار بعض المستبدين وما يتوه من حيل توصلوا بها إلى الحكم وسفك دماء بريئة صعّدوا على جشها إلى أريكة الملك ، وامتطوا غواربها إلى أطماعهم فكانوا وبالاً على الأمة حيناً من الدهر كما وقع فى عصر بنى نهان ، والحق أن عمان ليفتخر بعظمتها التاريخية : عظمة العلم والفتح ونشرلواء الإسلام فى كثير من أقطار الشرق والأقطار الإفريقية الشرقية وجهاد أمتة وكثير من ملوكه فى حفظ استقلاله ، ويحق له أن يباهى بأمتة الهداة الراشدين الذين رفعوا فيه منار الحق والدين ، وأقاموا حدود الله بلا هوادة ، ولم يخافوا لومة لائم ، قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فهرست

الجزء الثاني

من كتاب : تحفة الأعيان

الصفحة	الموضوع
٣	باب إمامة الإمام ناصر بن مرشد اليعربى وما جرى له من فتوحات وطرده البرتغال
١٠	ذكر قتل مانع بن سنان الميمرى
١١	ذكر فتح الصير ، وهى جلفار وقد تجمع فيها الفارسيون والبرتغاليون
١٦	ذكر كرامات الإمام رضى الله عنه
٢١	ذكر ثناء العلماء على الإمام ناصر بن مرشد
٢٤	ذكر عهود الإمام إلى عماله وولاته وفيه ذكر بعض كلامه المأثور
٤٥	باب إمامة سلطان بن سيف ابن مالك بن عم الإمام ناصر بن مرشد
٤٦	ذكر وصف بعض المؤرخين لهذا الإمام
٤٧	ذكر عهده إلى عماله وولاته
٥٧	كتابه إلى ملك اليمن وجواب هذا له
٦١	ذكر فتوحات هذا الإمام - منظومة
٦٢	الكلام على إنشاء مدينة مسقط
٦٧	رسالة العلامة سعيد بن أحمد إلى أحد هذين الإمامين
٧٣	قصيدة فى بعض فتوحات الإمام
	باب إمامة بلعرب بن سلطان ، ذكر بعض مسائل وأقوال بعض علماء عصره
٧٦	وشروحها
٨١	ذكر وفود الشيخ عمر بن سعيد الجربى على عمان فى عصر هذا الإمام ورسالته إليه
٨٥	مدح الشعراء والعلماء لهذا الإمام

الصفحة	الموضوع
٨٦	ذكر ترجمة الحبسي الشاعر وهو شاعر عصره
٩٠	ذكر حصن بيزين وهو أعظم حصون عمان وبناء هذا الإمام له
٩٥	ذكر خروج سيف بن سلطان على أخيه الإمام وحصاره له بيزين
٩٧	باب إمامة سيف بن سلطان قيدا للأرض
٩٨	ذكر ما لهذا الإمام من الخيل - منظومة -
١٠٠	ذكر بعض فتوحاته في شرق إفريقيا وذكر أسطوله
١٠١	وفاته وراثؤه - منظومة -
١٠٤	حادثة غريبة - منظومة -
١٠٨	ذكر بعض مكاتبات من البرتغال إلى هذا الإمام وجوابه له
١١٠	باب إمامة سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن أبي العرب اليعربي
١١١	ذكر بعض فتوحاته وحروبه
١١٤	ذكر وفاته وتاريخها
١١٥	باب إمامة مهنا بن سلطان وما وقع فيها
١١٧	باب إمامة يعرب بن بلعرب
١٢٠	باب الأحوال الواقعة بعد تغلب يعرب بن ناصر
	باب اقتراق أهل عمان إلى غافرى وهناوى وهو من أسباب فشل الملك فيه
١٢٥	وفاته
١٣٤	باب إمامة محمد بن ناصر الغافرى وذكر بعض حوادث
	باب إمامة سيف بن سلطان بعد أن بلغ الحلم وكان تحت الوصاية وذكر عزله
١٤١	وما جره من حروب المعجم وغيرهم
١٤٤	باب إمامة بلعرب بن حمير وحروبه مع المعجم - الإيرانيين وغيرهم
	باب تغلب سيف بن سلطان على الأمر وقطعه دابر المعجم من أكثر بلاد عمان
١٤٨	وخلمه بأحدائه
	باب إمامة سلطان بن مرشد وهو آخر أئمة اليعاربة وذكر حروبه مع سيف
	المخلوع والمعجم الذين استنصر بهم سيف وفي هذا الباب مبدأ ظهور الابوسعديين

الصفحة	الموضوع
١٥٠	وأولهم الإمام أحمد بن سعيد والى سحرار يومئذ
١٦٠	باب إمامة بلعرب بن حمير أيضاً
	كتاب العلماء إلى هذا الإمام في أمره بمصادرة أموال سيف بن سلطان
١٦١	وجوابه إليهم
	ذكر الأحداث التي ذكرها حبيب بن سالم في سيرته للإمام بلعرب بن حمير
١٦٤	وخلمه بها من الإمامة
١٦٧	ذكر مقتل بلعرب بن حمير
	باب انتقال الدولة من آل يعرب إلى آل أبي سعيد وهم ملوك اليوم وأول
١٦٨	ملوكهم الإمام أحمد بن سعيد ، وفي هذا الباب أحوال ووقائع
١٧٠	كتاب الشيخ سعيد أحمد الكندي إلى هذا الإمام يذكر له فيه أحداثه
١٧٢	ذكر وفاة هذا الإمام وذكر أولاده ومن ملك منهم
١٧٣	ولاية الإمام سعيد بن الإمام أحمد وكان أديباً
	باب الأحوال الواقعة في عهد هذا الامام وفيه كثير من الوقائع وسبب إطلاق
١٧٥	السلطان عليه
١٧٩	كتاب الشيخ جاعدين خميس إلى هذا الامام في حادثة
١٨١	ذكر خروج العلامة أبي نهبان على هذا الامام وما وقع فيه من الحوادث
١٨٥	ذكر دخول أبي نهبان ومن معه المقر لإظهار أمرهم وما تبعه من الحوادث
١٩١	ذكر خروج سلطان بن الامام على أخيه سعيد بن الإمام
١٩٥	باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان سعيد بن سلطان
	ذكر ولاية طالب بن الإمام على الرستاق وكان أعمى جباراً وما جرى في ولايته
١٩٩	من الحوادث
٢٠٩	بيان ما كان من ولد العبادي عامر بن علي وكان والياً على نزوى
٢١٥	ولاية سعود بن علي بن سيف على الرستاق بعد طالب
٢١٦	اهتمام أهل العلم والرأى برد الإمامة وذكر بعض حوادث

- ذكر تقليد حمود بن عزان للمسلمين بعد أن استخلص من السلطان كثيراً من
الحصون والقلاع فولى جمعاً من أئمة العلم على ولايات ٢١٨
- ذكر موت محمد بن ناصر الجبري ، وذكر شيء مما جرى في ولايته على بعض
عمان ٢٢٤
- ذكر ظهور الشراة من خيار أهل الباطنة وذكر بعض حوادث لهم ٢٢٥
- ذكر موت السلطان سعيد بن سلطان ، وذكر أولاده واقتسام الملك بينهم
ذكر بعض مآثر السلطان برغش بن سعيد سلطان زنجبار
٢٢٩
- ذكر ولاية ثويني بن سعيد ملك عمان ٢٣٠
- باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان ثويني بن سعيد
٢٣٤
- مقتل السلطان ثويني غيلة وولاية ابنه سالم الملك
٢٣٦
- باب الأحوال الواقعة في دولة السلطان سالم بن ثويني
باب إمامة عزان بن قيس وهو إمام بالإجماع وحوادثه قبل البيعة واتخاذه مسقط
قاعدة الإمامة ٢٤١
- ذكر بيعة هذا الامام وصفة بيعته ٢٤٧
- كتاب أهل عمان إلى أصحابنا بالمغرب بخبر البيعة وجوابهم ٢٤٩
- ذكر سرية إبراهيم بن قيس أخى الإمام إلى قتل وزير السلطان سالم
٢٥١
- ذكر مواجهة القبائل للامام ووفود الأعيان والرؤساء إليه ٢٥١
- ذكر واقعة نفما ٢٥٢
- ذكر سرية فيصل بن حمود إلى نحو المشرق ٢٥٦
- ذكر الحكم على أموال الملوك من آل بوسعيد ٢٥٦
- ذكر فتح الجوف ٢٥٨
- ذكر فتح منح ٢٦٢
- ذكر فتح أزكى ٢٦٣
- ذكر فتح نزوى وهى تحت الملك وهى بيضة الإسلام وكرسى مملكة العرب
٢٦٤

صفحة	الموضوع
٢٦٥	ذكر غزوة جملان وفيها التعريف بالوهابية
	ذكر مسير الإمام بالجنود إلى البريمي لقتال الوهابية وكتاب شيخ الإسلام
٢٦٧	العلامة الخليلي إليه يستحثه إلى ذلك
٢٦٩	فتوى شيخ الإسلام للإمام بأخذ القرض من الأمة لأجل القتال
٢٧٣	ذكر فتح الحزم
٢٧٤	كتاب شيخ الإسلام إلى والي الإمام على الرسحاق في حرب الحزم
	ذكر خروج تركي بن سميد على الإمام وظهور دسائس الاستعمار الانجليزي
٢٧٦	بالفعل في القطر العمانى ونجد وفيه ذكر موت الإمام ومقتل شيخ الإسلام الخليلي
٢٨٣	ذكر شيء من أحكام الإمام عزان بن قيس
٢٨٥	ذكر كرامات هذا الإمام رضى الله عنه
٢٨٧	باب دولة السلطان تركي بن سميد وذكر بعض الحوادث
	باب دولة السلطان فيصل بن تركي وما جرى في عهده من الحروب الداخلية
٢٩٤	وغيرها من الحوادث
٣٠١	خروج أمير الشرقية إلى الحج من البر وذكر بعض حوادث بعده
٣٠٩	قتل سعود بن عزان رحمه الله
٣١٠	محاولة دخول القنصل الانكليزي إلى الشرقية ومنع العرب له وما حدث في ذلك
٣١١	ذكر وجود الفحج الحجري بالشرقية
٣١٢	قتل شيخ بني علي وما حدث بعد
٣١٣	خروج المؤاف إلى الحج
٣١٤	حوادث سنة ١٣٢٤ هجرية وما بعدها
٣١٦	حوادث سنة ١٣٢٨ هجرية
٣١٨	كلمة لمصحح الكتاب

